The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Ossoul Ed-deen
Master of creed and contemporary doctrines

الجامعة الإسلامية – غزة
شؤون البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
ماجستير العقيدة والمذاهب المعاصرة

قضايا العقيدة فى ضوء سورة الرعد بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

Matters of Faith in the Light of the Thunder between Declaratory Ibn Kathir Many Shawkaani

إِعدَادُ البَاحِثِة

كفاح بنت عبد الرحيم بن محمود النجار

إِشرَافُ الأُستَاذ الدُكتُور

جابر بن زايد بن عيد السميرى

قُدمَ هَذا البحثُ إِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فى العَقِيدَةِ والمَذَاهِبِ المُعَاصِرَةِ بِكُليةِ أُصُولِ الدْينِ فى الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

رجب/ 1438هـ – أبريل/ 2017م

إقـــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

قضايا العقيدة فى ضوء سورة الرعد بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

Matters of Faith in the Light of the Thunder between Declaratory Ibn Kathir Many Shawkaani

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الأخرى ن لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism، and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	كفاح عبد الرحيم النجار	اسم الطالب:
Signature:	كفاح	التوقيع:
Date:	٣/٧/٢٠١٧م	التاريخ:





الجامعة الإسلامية-غزة
The Islamic University of Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا   هاتف داخلي 1150

الرقم: Ref:
ج س غ/35/
التاريخ: Date:
2017/06/11م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **كفاح عبد الرحيم محمود النجار** لنيل درجة الماجستير في **كلية** ***أصول الدين***/ قسم العقيدة الإسلامية وموضوعها:

قضايا العقيدة في ضوء سورة الرعد بين تفسيري ابن كثير والشوكاني

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الأحد 16 رمضان 1438هـ، الموافق 2017/06/11م الساعة الواحدة ظهراً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. جابر زايد السميري	مشرفاً و رئيساً	....
أ.د. محمود يوسف الشوبكي	مناقشاً داخلياً	....
د. عبد الرحمن يوسف الجمل	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين**/ قسم العقيدة الإسلامية.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

ملخص الدراسة باللغة العربية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى أله وصحبه، أما بعد..

فقد اشتملت هذه الرسالة العلمية والتي هي بعنوان (قضايا العقيدة فى ضوء سورة الرعد بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني) على مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة.

فأما المقدمة: فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

وأما التمهيد: فاشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: سبب تسمية السورة الكريمة، وسبب نزولها، وفضائلها، ومقاصدها. المبحث الثاني: واشتمل على ترجمة الإمام ابن كثير، وبينت فيه عقيدته، مع ذكر لشيوخه وتلاميذه ومصنفاته وثناء العلماء عليه.

المبحث الثالث: ذكرت فيه ترجمة الإمام الشوكاني، وبينت فيه نشأته وطلبه للعلم، مع بيان معتقده، وذكرت بعضاً من شيوخه وتلاميذه ومصنفاته.

وأما الفصل الأول: فبينت فيه أنواع التوحيد فى سورة الرعد، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات، مع ذكر نواقض كل قسم من هذه الأقسام، وبيان لرأي الإمامين ابن كثير والشوكاني رحمهما الله تعالى فى هذه القضايا، كما تناولت فى هذا الفصل مسألة القرآن كلام الله وموقف الفرق منه.

وأما الفصل الثاني: فقد تحدثت فيه عن البعث والنشور كما جاء فى السورة الكريمة، وبينت فيه رأي الإمام ابن كثير والشوكاني، كما تناولت الرد على منكري البعث والحساب.

وأما الفصل الثالث: وتحدثت فيه عن القدر ومراتبه بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني، وتناولت الآيات الكريمة التي تتحدث عن ذلك، كما بينت فيه فوائد الإيمان بالقدر وآثاره التي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

وأما الفصل الرابع: فقد تكلمت فيه عن الغيبيات الواردة فى السورة الكريمة، مع بيان معنى الغيب وأقسامه وأهميته، وبيان لأقوال ابن كثير والشوكاني رحمهما الله تعالى فى ذلك.

وأما الفصل الخامس: فتحدثت فيه عن أوصاف السعداء من المؤمنين، وأوصاف الأشقياء من الكفار، وبينت فيه الجزاء لكلا الفريقين، مع ذكر لبعض صفات اليهود الواردة فى السورة.

وأما الفصل السادس: فقد تكلمت فيه عن الأمثال القرآنية، وأهميتها البالغة فى تقرير العقيدة، مع ذكر لأقسام الأمثال فى القرآن الكريم.

وأما الخاتمة: فاشتملت على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

Abstract

Praise is due to Allah alone, and may peace and prayers be upon the Final Messenger Muhammad, and his family and companions. To proceed:

This dissertation titled “Issues of creed in the light of Surat Al-Ra’d between Tafsir of Ibn Kathir and Tafsir Al-Shawkaani” includes an introduction, a preface, six chapters and a conclusion.

As for introduction, it highlights importance of the subject, the reasons for its selection, its objectives, the implemented approach it, the previous similar studies, and the research plan.

The preface included three sections. The first section presented the reason for naming this noble Surah, the cause of its revelation, its virtues, and its purposes. The second section included a biography of Imam Ibn Kathir, his believes, sheikhs, students, books, and recommendations made by the scholars.

The third section presented a biography of Imam Al-Shawkani, his early life and knowledge seeking, his believes, sheikhs, students, and books.

The first chapter highlighted the types of Tawheed as mentioned in Surat Al-Ra’d, which are Tawheed Al-Ruboubeyyah, Tawheed Al-Ulouheyya, and Tawheed Al-Asmaa’ and Al-Sifat. The chapter also mentioned the nullifiers of each type and the opinions of Imams Ibn Kathir and Al-Shawkani in this regard. This chapter also discussed the issue of describing the Noble Qur’an as the word of Allah and the stance of the difference sects in this regard.

The second chapter tackled the issues of resurrection as stated in Surat Al-Ra’d, explained the opinions of Imams Ibn Kathir and Al-Shawkani in this regard, and argued the opinions of those denying resurrection and judgment.

The third chapter discussed the issue of destiny and its ranks as mentioned in the Tafsirs of Ibn Kathir and Al-Shawkani, and addressed the related verses in Surat Al-Ra’d, in addition to the benefits of believing in destiny and its impact on individuals and societies.

The fourth chapter highlighted the unseen issues mentioned in Surat Al-Ra’d, with a statement on the unseen concept, divisions, importance, and opinions of Imam Ibn Kathir and Al-Shawkani in this regard.

The fifth chapter presented description of the blessed believers, and description of the miserable disbelievers, and the fate of both categories. The chapter also mentioned some attributes of the Jews as mentioned in Surat Al-Ra’d.

The sixth chapter tackled the Qur’anic examples and its extreme importance in fortifying the Islamic creed. The chapter also mentioned their divisions in the Noble Qur’an.

The conclusion included the most important findings and recommendations reached in this research.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾.

[هود: 88]

اْلإِهدَاْءُ

إلى قائدي، وقدوتي، وحبيبي، وشفيعي محمد صلى الله عليه وسلم إيماناً وتسليماً وتصديقاً

إلى والدي العزيزين حفظهما الله تعالى ورعاهما وأطال أعمارهما وأحسن أعمالهما

إلى زوجي الغالى الذي سهر بجانبي وانشغل بانشغالى يعينني ويشجعني

إلى زينة الحياة الدنيا، زهراتي الجميلات، حبيبات قلبي نور وإيمان

إلى روح ابنت أختي الطاهرة رفيف رحمها الله تعالى وأسكنها جنَّاته

إلى إخواني وأخواتي وأصدقائي الذين لم يحرموني دعواتهم

إلى أسّرانا المعتقلين الذين أفنوا شبابهم وأعمارهم فداء للوطن الحبيب

إلى الأكرم منا جميعاً إلى الشهداء الذين بذلوا أرواحهم رخيصة فى سبيل الله

إلى هذا الصرح الشامخ الساطع نوراً جامعتنا الغراء زادهاً الله عزاً وشموخاً وحفظها من كل مكروه وسوء

أهدي هذا البحث المتواضع

سائلة الله عز وجل أن يتقبله منّي

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى أله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم إلى يوم الدين. وبعد،

فإني أشكر الله تعالى على نعمه الجليلة التي لا تعد ولا تحصي، ومن هذه النعم أن وفقني الله وأمدني بفضله وعونه وتوفيقه على إتمام هذه الرسالة، فله الحمد وله الشكر لا أحصي ثناء عليه.

ثم عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[1]، فإني أتقدم بالشكر والثناء والعرفان إلى أستاذي الأستاذ الدكتور/ **جابر بن زايد السميرى**، الذي أشرف على هذا البحث، ومنحني من جهده، ووقته، وإرشاداته الطيبة، وتوجيهاته وتقويمه، وملاحظاته، ودعمه المعنوي، مما كان له الأثر البالغ فى إثراء هذا البحث، والله تعالى أسأل أن يعظم له المثوبة، وأن يبارك فى علمه وعمله وعمره.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى عضوي لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور الفاضل / محمود الشوبكي ، حفظه الله، مناقشاً داخلياً.

والأستاذ الدكتور الفاضل / عبدالرحمن الجمل ،حفظه الله، مناقشاً خارجياً.

لتفضلهما بقبول مناقشتي وإبداء الإرشادات والتوجيهات والملاحظات، التي تثري البحث وتكسبه القوة والمتانة والرصانة، فجزاهم الله خيراً وبارك الله فيهما.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل وجميل الامتنان إلى والدايّ العزيزين حفظهما الله ورعاهما، وأطال الله فى أعمارهما، ولا يفوتني أن أشكر عمي وزوجته اللذين شجعاني ووقفا بجانبي، وكانا بمنزلة الأب والأم الحنونين، بارك الله فيهما ووفقهما لكل خير.

والشكر كل الشكر إلى زوجي الحبيب الذي كان له الفضل بعد الله عز وجل في مساعدتي في إنجاز هذا البحث، فله مني كل الشكر والتقدير والامتنان.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الكرام في كلية أصول الدين، أسأل الله العظيم أن يجزيهم خير الجزاء.

والشكر موصول إلى إدارة الجامعة الإسلامية الغراء، وإلى عمادة الدراسات العليا وأخص بالذكر كليه أصول الدين، وقسمها الشامخ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

وأخيراً أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من ساهم في إخراج هذا البحث وكان له يد العون في ذلك، فجزى الله الجميع عنى كل خير ووفقهم لما يحب ويرضي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) [الترمذي: سنن الترمذي ، رقم 1954، 339/4] حكم عليه الألباني: صحيح.

فهرس المحتويات

إقـــرار ....أ
ملخص الدراسة باللغة العربية.................................ب
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية ....ت
آية قرآنية...ث
ٱلْإِهدَاْءُ....................................... ج
شكرٌ وتقديرٌ .... ح
فهرس المحتويات.................................... خ
المقدمة..1
أولاً: أهمية البحث:.................................2
ثانياً: أسباب اختيار البحث: 2
ثالثاً: أهداف البحث 3
رابعاً: منهج الدراسة.................................3
خامساً: منهج البحث 3
سادساً: الدراسات السابقة:..............................4
سابعاً: خطة البحث 4
الفصل التمهيدي.................................9
المبحث الأول تعريف بسورة الرعد 10
أولا: سبب التسمية.................................10
ثانيا: فضائلها.................................13
ثالثا: مقاصدها.................................14
رابعا: سبب نزولها.................................15
مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها 16
أولا: مناسبة سورة الرعد لسورة يوسف.........................16
ثانيا: مناسبة سورة الرعد لسورة إبراهيم.........................17
المبحث الثاني ترجمة الإمام ابن كثير.........................21
أولا: اسمه ونسبه ولقبه وميلاده ونشأته 21

ثانيا: طلبه للعلم... 22
ثالثا: عقيـدتـه... 22
رابعا: شيوخه وتلاميذه... 24
خامسـا: مؤلفاتـه... 26
سـادسـا: وفـاتـه... 29
المبحث الثالث ترجمة الإمام الشوكاني... 30
أولا: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه... 30
ثانيا: مولده ووفاته... 30
ثالثا: شيوخه وتلاميذه... 31
رابعا: نشأته وطلبه للعلم... 33
خامسا: مذهبه وعقيدته 34
سادسا: مصنفاته العلمية وثناء العلماء عليه 36
الفصل الأول... 42
تمهيـد:... 43
التوحيد لغةً واصطلاحاً:... 44
المبحث الأول توحيد الربوبية ونواقضه... 45
المطلب الأول: توحيد الربوبية... 45
المطلب الثاني: نواقض توحيد الربوبية... 60
المبحث الثاني توحيد الألوهية ونواقضه... 66
المطلب الأول: توحيد الألوهية 66
المطلب الثاني: نواقض توحيد الألوهية 94
المبحث الثالث توحيد الاسماء والصفات ونواقضه 101
المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات... 101
المطلب الثاني: نواقض توحيد الأسماء والصفات... 156
المبحث الرابع القرآن كلام الله تعالى وموقف الفرق منه 166
المطلب الأول: القرآن كلام الله تعالى... 166
المطلب الثاني: موقف الفرق من القرآن... 179

الفصل الثاني البعث والنشور بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني................ 200
المبحث الأول البعث والحساب.. 202
المطلب الأول: البعث... 202
المطلب الثاني: الحساب... 210
المبحث الثاني إنكار الكفار للبعث والحساب والرد عليهم........................... 218
المطلب الأول: إنكار الكفار للبعث والحساب.................................. 218
المطلب الثاني: الرد على منكري البعث والحساب............................. 221
المبحث الثالث أهمية الإيمان بالبعث والحساب.................................. 230
الفصل الثالث: القدر ومراتبه بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني.................. 236
المبحث الأول مراتب القدر.. 240
المطلب الأول: مرتبة العلم 240
المطلب الثاني: مرتبة الكتابة... 243
المطلب الثالث: مرتبة المشيئة 246
المطلب الرابع: مرتبة الخلق 251
المبحث الثاني فوائد الإيمان بالقدر وأثره على الفرد والمجتمع..................... 257
المطلب الأول: فوائد الإيمان بالقدر 257
المطلب الثاني: أثر الإيمان بالقدر على الفرد والمجتمع 259
الفصل الرابع الغيب فى سورة الرعد بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني......... 263
المبحث الأول معنى الغيب وأقسامه وأهميته 265
المطلب الأول: معنى الغيب لغةً واصطلاحاً.. 265
المطلب الثاني: أقسام الإيمان بالغيب 268
المطلب الثالث: أهمية الإيمان بعالم الغيب 273
المبحث الثاني الملائكة... 279
أولا: الملائكة فى اللغة... 279
ثانيا: الملائكة فى الاصطلاح... 279
ثالثا: معنى الإيمان بالملائكة... 280
رابعا: كيفية الإيمان بالملائكة... 281
خامسا: مادة خلقهم... 282

سادسا: ذكر بعض أعمال الملائكة.. 282
المبحث الثالث الجنة والنار.. 288
المبحث الرابع اليوم الأخر.. 292
الفصل الخامس أوصاف الناس كما وردت فى سورة الرعد بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني.. 294
المبحث الأول السعداء من المؤمنين.. 296
المبحث الثاني الأشقياء من الكفار.. 308
المبحث الثالث صفات اليهود فى سورة الرعد.. 313
الفصل السادس المثل القرآني.. 317
المبحث الأول أهمية المثل فى تقرير العقيدة.. 321
المبحث الثاني أقسام المثل فى القرآن 330
الخاتمة.. 336
النتائج: 337
التوصيات.. 339
قائمة المراجع 340

المقدمة

الحمد لله الواحد المعبود، عمّ بحكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، أحمده سبحانه وأشكره وهو بكل لسان محمود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغفور الودود، وعد من أطاعه بالعزة والخلود، وتوعد من عصاه بالنار ذات الوقود، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، صلى الله عليه وعلى أله وأصحابه، الركع السجود، والتابعين ومن تبعهم من المؤمنين الشهود.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: 1].

أما بعد...

فمما لاشك فيه أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للنبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين، ومن أسمى ما نزل به القرآن لتقريره وترسيخه في النفوس العقيدة الصحيحة السليمة.

فالتوحيد هو الأساس لقبول الأعمال، وهو المعيار الوحيد للحكم على صحة إيمان المرء أو بطلانه، فلذلك لا يقبل من الإنسان أي عمل إذا كانت عقيدته فاسدة أو منحرفة ، قال تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: 65].

فوجب على كل مسلم في كل زمان ومكان أن ينهل من النبع الصافي ألا وهو القرآن الكريم وسنة نبيه، مخافة الوقوع في الضلالات والشبهات، ولئلا تضعف العقيدة في نفوس المسلمين.

والعقيدة الإسلامية من أشرف العلوم وأجلها؛ لأنه العلم بالله تعالى، وآياته، وأسمائه وصفاته، وكذلك الإيمان بالملائكة والرسل عليهم الصلاة والسلام، والكتب المنزلة عليهم، واليوم الآخر وما فيه من مشاهد وأحداث، والقدر خيره وشره، إلى غير ذلك من مسائل العقيدة المتعلقة بهذه الأركان وما يجب على المسلم اعتقاده، وكل ذلك مقرر بالكتاب والسنة الصحيحة.

لذلك فقد تناولت في بحثي هذا أغلب الموضوعات العقدية الواردة في سورة الرعد، مع بيان أراء الإمامين ابن كثير الشوكاني فيها، وبيان الفوارق الدقيقة بينهما إن وجدت.

يقول الشوكاني -رحمه الله- تعالى :

" وأما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها، ويشير إليها في جميع سوره وفى غالب قصصه وأمثاله فيه ثلاثة مقاصد، يعرف ذلك من له كمال فهم وحسن تدبر وجودة تصور وفضل تفكر، المقصد الأول: إثبات التوحيد، المقصد الثاني: إثبات المعاد، المقصد الثالث: إثبات النبوات... ولا ريب أن من آمن بالله وبما جاءت به رسله ونطقت به كتبه، فإن إيمانه بهذه الثلاثة المقاصد هو أهم ما يجب الإيمان به وأقدم ما يتحتم عليه اعتقاده ؛ لأن الكتب قد نطقت بها، والرسل قد اتفقت عليها اتفاقاً يقطع كل ريب، وينفى كل شبهة ويذهب كل شّك".[1]

واشتملت هذه المقدمة على ما يلي:

أولاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في:

1- كون هذا الموضوع يتعلق بالقرآن الكريم، الذي هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي.
2- يتعلق بسورة الرعد التي تتناول قضايا عقدية مهمه جداً في حياة الإنسان المسلم، مثل الآيات التي تتحدث عن توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتفرده بالألوهية، والآيات التي تتحدث عن البعث والنشور، والقدر، والمحو والإثبات، واللاستواء، والغيبيات، والتي تحقق العبودية لله وحده، ونبذ ما عداه من الشركاء والأنداد.

ثانياً: أسباب اختيار البحث:

يرجع سبب اختياري لهذا البحث إلى:

1- الحرص على دراسة هذه السورة حيث لا توجد دراسة سابقة مفردة لسورة الرعد من جهة موضوعها المتعلق بالجانب الاعتقادي.
2- معرفة الفروق الدقيقة بين الإمام ابن كثير والإمام الشوكاني في بعض مسائل العقيدة، في ضوء سورة الرعد.
3- الرد على الفرق التي تؤول آيات القرآن حسب ضلالتهم وأهوائهم وآرائهم بذكر أراء العلماء من سلف هذه الأمة.

---

(1) الشوكاني، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد (ج3/1).

ثالثاً: أهداف البحث

1- الرغبة الشديدة والملحة في طلب العلم الذي جعله الله طريقاً إلى الجنة، وابتغاءً لمرضاته سبحانه وتعالى.

2- تقوية الإيمان بالله عز وجل، وغرس العقيدة الصحيحة القويمة في نفوس المسلمين.

3- بيان آراء الشوكاني وابن كثير في بعض مسائل الاعتقاد.

4- الرد على منكري البعث واليوم الآخر بإقامة الحجة والبرهان والدليل عليهم من خلال تفسير ابن كثير والشوكاني.

5- التعرف على مظاهر كمال القدرة الإلهية، ببيان الأدلة التي تدل على عظيم خلقه في العالم العلوي والعالم السلفي.

6- بيان أسماء الله الحسنى الواردة في السورة، وكذلك صفاته العلياالواردة في السورة.

رابعاً: منهج الدراسة

ستتبع الباحثة المنهج المقارن بين أقوال الإمامين ابن كثير والشوكاني ، وكذلك المنهج الوصفى التحليلي.

خامساً: منهج البحث

1- عزو الآيات إلى سورها، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية التي وردت فيها .

2- تتبع كتب التفسير والحديث وأمهات كتب العقيدة التي تخدم البحث، والاستفادة منها قدر المستطاع.

3- توثيق المصادر والمراجع يكون بذكر اسم المؤلف ثم اسم الكتاب ، ثم رقم الجزء والصفحة، ثم المحقق، ثم دار ومكان النشر، ثم رقم وسنة الطبعة.

4- ترجمة الأعلام و شخصيات البحث المبهمة.

5- توثيق ما ينقل من كلام العلماء، وذلك بعزوة إلى مواضعه في مصنفاتهم

6- توضيح وشرح الكلمات المبهمة التي وردت في البحث.

7- الرجوع إلى المصادر الأصلية، بالإضافة إلى الكتب الحديثة، والتزام الدقة في العزو والتوثيق.

8- تخريج الأحاديث: فإن كان في الصحيحين أو أحدهما عزوت إليهما، وإن كان الحديث في الكتب الستة ذكرته مبينه حكمه.

سادساً: الدراسات السابقة:

بعد التحري والاطلاع، والبحث في الدراسات السابقة في هذا الموضوع، وسؤال أهل العلم، والكشف في المكتبة الكترونية بالجامعة الإسلامية غزة، وكذلك كتاب الكشاف عن رسائل الماجستير بالجامعة، لم أجد رسالة علمية تناولت البحث في سورة الرعد من الجانب الاعتقادي، فأردت أن أفرده في موضوع محكم ومفصل، وذلك بتتبع الآيات القرآنية التي تتحدث عن العقائد.

والدراسة العلمية التي وجدتها في هذا المجال، والتي تحدثت في جوانب معينة من السورة هي:

- براهين إيمانية في سورة الرعد– رسالة ماجستير للباحثة: أمل أحمد سيف على السميرى، إشراف د.صالح بن يحيى صواب، وهي رسالة في التفسير وعلوم القرآن في اليمن 1426هـ – 2005م، وهي رسالة غير منشورة.

سابعاً: خطة البحث

وضعت الباحثة خطة لهذا البحث مكونه من مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمه، موزعه على النحو التإلى:

المقدمة

وفيها أهمية البحث، وسبب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث، وطريقة البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف بسورة الرعد.

المبحث الثاني: ترجمة الإمام ابن كثير.

المبحث الثالث: ترجمة الإمام الشوكاني.

المبحث الأول:– تعريف بالسورة الكريمة

أولاً: سبب التسمية.

ثانياً: سبب النزول.

ثالثاً: فضائلها.

رابعاً: مقاصدها.

المبحث الثاني:- ترجمة الامام ابن كثير- رحمه الله -

أولاً: اسمه ونسبه ولقبه وميلاده ونشأته.

ثانياً: طلبه للعلم.

ثالثاً: عقيدته.

رابعاً: شيوخه وتلاميذه.

خامساً: مؤلفاته العلمية.

سادساً: ثناء العلماء عليه.

سابعاً: وفاته.

المبحث الثالث:- ترجمة الامام الشوكاني - رحمه الله -

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

ثانياً: مولده ووفاته.

ثالثاً: نشأته وطلبه للعلم.

رابعاً: مذهبه وعقيدته.

خامساً: شيوخه وتلاميذه.

سادساً: مصنفاته العلمية وثناء العلماء عليه.

الفصل الأول

التوحيد في سورة الرعد ونواقضه بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: توحيد الربوبية ونواقضه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: نواقض توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: توحيد الألوهية ونواقضه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: نواقض توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات ونواقضه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: نواقض توحيد الاسماء والصفات.

المبحث الرابع: القرآن كلام الله تعالى وموقف الفرق منه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القرآن كلام الله تعالى.

المطلب الثاني: موقف الفرق منه.

الفصل الثاني

البعث والنشور بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: البعث والحساب.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: البعث.

المطلب الثاني: الحساب.

المبحث الثاني: إنكار الكفار للبعث والحساب والرد عليهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إنكار الكفار للبعث والحساب.

المطلب الثاني: الرد على منكري البعث والحساب.

المبحث الثالث: أهمية الإيمان بالبعث والحساب.

الفصل الثالث

القدر ومراتبه بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

تعريف القدر لغةً واصطلاحاً.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مراتب القدر.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مرتبة العلم.

المطلب الثاني: مرتبة الكتابة.

المطلب الثالث: مرتبة المشيئة.

المطلب الرابع: مرتبة الخلق.

المبحث الثاني: فوائد الايمان بالقدر وأثره على الفرد والمجتمع.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فوائد الإيمان بالقدر.

المطلب الثاني: أثر الإيمان بالقدر على الفرد والمجتمع.

الفصل الرابع

الغيبيات في سورة الرعد بين تفسير ابن كثير والشوكاني

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: معنى الغيب و أقسامه وأهميته.

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: معنى الغيب لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أقسام الغيب.

المطلب الثالث: أهمية الإيمان بعالم الغيب.

المبحث الثاني: الملائكة.

المبحث الثالث: الجنة والنار.

المبحث الرابع: اليوم الأخر.

الفصل الخامس

أوصاف الناس كما وردت في سورة الرعد بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: السعداء من المؤمنين.

المبحث الثاني: الأشقياء من الكفار.

المبحث الثالث: صفات اليهود في سورة الرعد.

الفصل السادس

المثّل القرآني

تعريف المثّل في القرآن الكريم

وفيه مبحثين

المبحث الأول: أهمية المثّل في تقرير العقيدة.

المبحث الثاني: أقسام المثّل في القرآن.

الخاتمة:

وذكرت فيها الباحثة أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال عملية البحث.

الفهارس

وقد ذكرت الباحثة مجموعة من الفهارس وأهمها:

1- فهرس المصادر والمراجع
2- فهرس الآيات القرآنية.
3- فهرس الأحاديث والآثار.
4- فهرس الأعلام.
5- فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيـدي

المبحث الأول

تعريف بسورة الرعد

أولا: سبب التسمية

سورة الرعد هو الاسم الذي اشتهرت به من عهد السّلف، وذلك يدل على أنها مسماه بذلك من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يختلفوا في اسمها فهو توقيفي.

وقد ورد عن السلف تسميتها بذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما: " نزلت سورة الرعد بالمدينة".[1]

وجه التسمية:-

سميت بإضافتها إلى الرعد لورود ذكر الرعد فيها في قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد: 13].

فسميت بالرعد؛ لأن الرعد لم يذكر في سورة قبل هذه السورة، فإن هذه السورة مكية كلها أو معظمها، وإنما ذكر الرعد في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ [البقرة: 19]،. وهي نزلت بالمدينة، وإذا كانت آيات " هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً " إلى قوله " وهو شديد المحال " مما نزل بالمدينة، تعين أن ذلك نزل قبل نزول سورة البقرة. [2]

وقيل " سميت بالرعد لتلك الظاهرة الكونية العجيبة التي تتجلى فيها قدرة الله وسلطانه كما في الماء الذي جعله الله سبب الحياة وأنزله بقدرته من السحاب، والسحاب جمع الله فيه بين الرحمة والعذاب فهو يحمل المطر ويحمل الصواعق، وفى الماء الإحياء وفى الصواعق الإفناء وجمع بين النقيضين من أسرار قدرته، هذا السحاب به ماء وبه نار فما أجمل وأعظم قدرة الله"[3].

---

(1) السيوطي، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور (ج4/ 80).

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج75/13).

(3) الصابوني، صفوة التفاسير (ج72/2).

المكي والمدني [1] في سورة الرعد:

سورة الرعد من السور التي وقع الخلاف بين العلماء في كونها مكية أو مدنية مع أن جل المفسرين يقولون بمدنيتها، غير أن موضوعاتها ناطق بمكيتها [2] ، ومن ذهب إلى مدنيتها ابن عباس[3]، وقتادة[4]– رحمهما الله – قالا بمدنيتها[5] ، " والإمام البيضاوي– رحمه الله – [6] اعتبرها مدنية "[7].

" وممن قال أنها مكية ومدنية " مقاتل[8] في تفسيره[9] ، والعز بن عبد السلام – رحمه الله– [10] في تفسيره.[11]

---

(1) وللعلماء فى المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة أشهرها:

الأول: أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها،سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح، أو عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار.

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة

الثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لاهل المدينة، انظر: السيوطي، الإتقان فى علوم القرآن (ج37/1–38).

(2) انظر: النسق والتناسق وأثره فى التفسير سورة التين نموذجا (11) بتصرف.

(3) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو العباس، الهاشمي، روى أكثر أحاديث النبي عند هذا الحي من الأنصار، مات سنة 68 وهو بالطائف، انظر: القرطبي، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (ج933/3). البخاري، التاريخ الكبير (ج3/5).

(4) هو قتادة بن دعامة السدوسي يكني أبا الخطاب، بصري، تابعي، ثقة، وكان ضرير البصر، قال ابن سرين: قتادة أحفظ الناس، وقال الإمام أحمد: قتادة عالم بالتفسير، ووصفه بالحفظ والفقه، وكان أحفظ أهل البصرة فمات بواسط سنة (118هـ – 737م) انظر: الزركلي، الأعلام (ج189/5). البغدادي، الطبقات الكبرى (ج171/7)، البخاري، التاريخ الكبير (ج185/7).

(5) انظر: الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (ج87/3).

(6) هو عبدالله بن عمر بن محمد بن على الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، قاض، مفسر، علامة. ولد فى المدينة البيضاء بفارس قرب شيراز من تصانيفه " أنوار التنزيل وأسرار التأويل "و " وطلائع الأنوار " و" فى التوحيد " و" منهاج الوصول إلى علم الأصول "و " لب اللباب فى علم الإعراب " توفي سنة (685هـ – 1286م) انظر: الزركلي، الأعلام (ج110/4).

(7) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج63/7).

(8) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأذدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها. وتوفي بالبصرة. كان متروك الحديث. من كتبه " التفسير الكبير جزء منه " و " نوادر التفسير " و" الرد على القدرية " و " متشابه القرآن " و" الناسخ والمنسوخ "و " القراءات " و "الوجوه والنظائر " توفي سنة 150هـ– 767م. انظر: الزركلي، الأعلام (ج281/7)

(9) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (ج167/2).

(10) هو عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، أبو محمد، عز الدين، الملقب بسلطان العلماء، شيخ الاسلام والمسلمين وأحد أئمة الأعلام ، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى زمانه المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها ولد سنة سبع أو سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، روي عنه تلامذته شيخ الاسلام ابن دقيق العيد، توفي سنة 660هـ. انظر: السُّبكي، طبقات الشافعية الكبرى (ج209/8).

(11) ابن عبد السلام، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) (ج134/2).

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه قال:" والذي لا إله غيره، ما من سورة إلا وأنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني، تبلغه الإبل، لركبت إليه"[1] ، وقد علّل الباقلاني[2] – رحمه الله – بقوله " يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم مع معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ليعرف الحكم الذي ضمنها ". [3]

وقد جاءت سورة الرعد في المصحف في سلسلة من السور المدنية، التي تبدأ بحروف مقطعة مماثلة لما بدأت به سورة يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر، غير أن ما احتوته من تقريرات وتنبيهات وأمثال وصور مماثلة لما في السور المكية [4] ، " وكذلك نظامها الذي يبدو عليه الطابع المكي، ولمضامين آياتها التي تعرض آيات الله تعالى، الدالة على قدرته فيما أبدع وصور في هذا الوجود، وذلك هو الغالب على القرآن المكي ". [5]

قال ابن عاشور رحمه الله فالذين قالوا: هي مكية لم يذكروا موقعها من ترتيب المكيات سوى أنهم ذكروها بعد سورة يوسف، وذكروا بعدها سورة إبراهيم.

والذين جعلوها مدنية عدوها في النزول بعد سورة القتال وقبل سورة الرحمن وعدوها سابعة وتسعين في عداد النزول ". [6]

ويجمع بين الاختلاف ما رواه السيوطي وغيره بأنها مكية إلا آيات منها نزلت بالمدينة، يعني قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد: 12-13]،. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: 43].. [7]، وهذا هو الراجح.

---

(1) [أخرجه مسلم فى صحيحه، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما، (ج1913/4)، حديث رقم (2463).

(2) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. وسكن بغداد. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. من كتبه" اعجاز القرآن" و" الإنصاف " و" مناقب الأئمة "توفي فى بغداد سنة 403هـ – 1013م انظرالزركلي، الأعلام (ج176/6).

(3) الباقلاني، الانتصار للقرآن (ج247/1).

(4) انظر:عزت، انظر التفسير الحديث (ج515/5).

(5) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج63/7).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج134/12).

(7) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج134/12).

ثانيا: فضائلها

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال:" اقرأ ثلاثا من ذوات آلر " فقال كبرت سني واشتد قلبي وغلظ لساني، قال " فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم " فقال مثل مقالته، فقال "اقرأ ثلاثا من المسبحات " فقال مثل مقالته ، فقال الرجل أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم " إذا زلزلت الأرض " حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أفلح الرويجل مرتين ". [1]

وسورة الرعد من المثاني التي أخبر بها الرسول[2] صلى الله عليه وسلم فعن واثلة بن الأسقع[3] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل" [4].

(1) [أبو داوود، سنن أبو داوود، كتاب الصلاة/ باب تحزيب القرآن، (ج57/2)، حديث رقم (1399)]، و[البيهقي، شعب الإيمان، باب تخصيص سورة الملك بالذكر، (ج127/4)، حديث رقم (2282)]. و[النسائي، فى عمل اليوم والليلة، باب من قرأ مائة أية فى ليلة، (ج436/1)، حديث رقم (761). والحديث إسناده حسن لأن فيه عيسى بن هلال وهو صدوق، كما قال الحافظ فى التقريب، (ص441)، وبقية رجال إسناده كلهم ثقات، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: (بل صحيح) أي فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين (ج580/2).

(2) انظر البغوي، معالم التنزيل فى تفسير القرآن (ج5/3)، ابن القيم (ج299/4)، البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (ج189/2)، السيوطي، أسرار ترتيب القرآن (/97).

(3) هو واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل الليثي الكناني: صحابي، من أهل الصفة. كان قبل اسلامه، ينزل ناحية المدينة فأعلن إسلامه للرسول وشهد تبوك معه، وقيل خدم النبي ثلاث سنين وشهد فتح دمشق، وسكن قرية البلاط على ثلاثة فراسخ منها وكف بصره. وهو آخر الصحابة موتا فى دمشق له 76 حديثا وتوفي بها سنة 83هـ 702م، انظر: القرطبي، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (ج1563/4 1564)، الزركلي، الأعلام (ج107/8).

(4) [أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده (ج1403/6، ح 17256)]، وعلق على اسناده شعيب الأرناؤوط بأنه حسن، وأبو داود الطيالسي، فى مسنده (ج136/1، ح 1012)]، وأبو القاسم الطبراني فى المعجم الكبير، (ج75/22، ح186)]، وصححه الألباني فى صحيح الجامع الصغير وزيادته (241/1، ح 1059)]، وخلاصة القول أن الحديث حسن لشواهده، وانظر: طهروني، موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (ج29/1)، وانظر: السيوطي، الإتقان فى علوم القرآن (ج201/1).

والمقصود بالسبع الطوال، والمئين، والمثاني، والمفصل:

الأول: الطوال، وهي سبع: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلف في السابعة فقيل الأنفال والتوبة معاً، لأنهم كانوا يعدونهما سورة واحدة، لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل: إن السابعة هي سورة يونس.

الثاني: المئون: وهي ما يلي السبع الطوال، وسميت بذلك، لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية، أو تقاربها.

الثالث: المثاني: وهي ما يلي المئين، وسميت بذلك لأنها تثنى في الصلاة، وتكرر أكثر من الطوال، والمئين .

الرابع: المفصل: وهو ما يلي المئين، من قصار السور إلى آخر القرآن، وسُمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، وقيل لقلة المنسوخ فيه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضاً. [1]

والراجح أن أول المفصل (الحجرات)، وأول وسطه (عبس)، وأول قصار المفصل (والضحى) .

ثالثا: مقاصدها

بدأت السورة بإقامة الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته، من خلق السموات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والجبال والأنهار، والزروع والثمار، وأن الله تعالى منفرد بالخلق والإيجاد والإحياء والإماتة، والنفع والضر. ثم تلتها الآيات في إثبات البعث والجزاء، وأوردت الأمثال للحق والباطل، ولمن يعبد الله وحده، ولمن يعبد الأصنام، بالسيل والزبد الذي لا فائدة فيه، وبالمعدن المذاب، فيبقى النقي الصافي ، ويطرح الخبث الذي يطفو. وذكرت السورة أوصاف أهل السعادة وأهل الشقاوة، وضربت لهم المثل بالأعمى والبصير، وبينت مصير كل من الفريقين.

وختمت السورة بشهادة الله لرسوله بالنبوة والرسالة ، وأنه مرسل من عند الله ، وكذا شهادة المؤمنين من أهل الكتاب بوجود أمارات النبي في كتبهم، وبيان مدى فرح هؤلاء بما ينزل من القرآن مصدقاً لما عرفوه من الكتب الإلهية. [2]

---

(1) انظر: السيوطي، الإتقان (ج220/1)، الرومي، دراسات فى علوم القرآن الكريم (ج107/1).

(2) انظر: الزحيلي، التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج (ج106/7). وانظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج72/2).

رابعا: سبب نزولها

اختلف العلماء في سبب نزول قوله: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ [الرعد: 13]، وقد ذكر فيها عدة روايات، كان من أصحها:

عن أنس بن مالك [1] رضي الله عنه قال : بعث النبي " صلى الله عليه وسلم " رجلاً إلى رجل من فراعنة العرب [2]، أن ادعه لي، فقال: يا رسول الله، إنه أعتى من ذلك. قال: اذهب فادعه لي. قال: فأتاه فقال: رسول الله يدعوك فقال من رسول الله، وما الله ؟ أمن ذهب هو، أو من فضة، أو من نحاس ؟ قال: فرجع إلى رسول الله، فأخبره وقال: قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك قال لي كذا وكذا. فقال ارجع إليه الثانية فادعه. فرجع إليه فأعاد عليه مثل الكلام الأول، فرجع إلى النبي، فأخبره، فقال: ارجع إليه، فرجع الثالثة، فأعاد عليه مثل ذلك الكلام، فبينما هو يكلمني إذ بعث الله سحابة حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة قد ذهبت بقُحفَ [3] رأسه، فأنزل الله تعالى " وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ " [الرعد: 13]. [4].

نخلص مما سبق إلى أنه لا يوجد في سورة الرعد إلا هذه الآية، التي لها سبب نزول خاص فقط، بحيث أنه تجدر الإشارة إلى أن معظم القرآن ليس له سبب نزول ، إنما نزل لتقرير عقائد وبيان أحكام وآداب ... ، حتى سبب النزول هذا فيقال للعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(1) هو أنس بن مالك ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الإمام المفتي المقرئ المحدث، راية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي البخاري المدني، خادم رسول الله وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر الصحابة موتاً مات بالبصرة سنة 93هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج417/4)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج105/9)، ابن حجر، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (ج109/1)، الزركلي: الأعلام (ج24/2-25).

(2) هو ابن جعفر بن كلاب وهو أخو لبيد بن ربيعه لأمه وهو الذي أراد قتل رسول الله مع عامر بن الطفيل، وقتل بصاعقة. انظر: ابن بشكول، غوامض الأسماء المبهمة الواقعة فى متون الأحاديث المسندة (ج769/2).

(3) هو العظم فوق الدماغ من الجمجمة، والجميع: القحفة والأقحاف قطعة وكسره. انظر: الفراهيدي، العين (ج51/3)، الخطابي، غريب الحديث (ج153/2).

(4) [أخرجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده، (ج183/6، ح 3468)]، والبزار فى مسنده (المعروف بالبحر الزخار)، (ج361/13، ح7007)]، والطبراني، المعجم الأوسط ، (ج96/3، ح 2602)]، وإسناد صالح.

مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها

أولا: مناسبة سورة الرعد لسورة يوسف

فصّل في سورة الرعد ما أجمله في آخر سورة يوسف ، "وجه وضع سورة الرعد بعد سورة يوسف، حيث فصّل جلّ شأنه" [1] "ذلك أتمَّ تفصيل في مطلع سورة الرعد " [2]لمجمل خاتمة سورة يوسف عليه السلام،" فذكر الآيات السماوية والأرضية " [3] في سورة يوسف كقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: 105-108].

وبيان أي السموات في قوله تعالى في سورة الرعد ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: 2].

وبيان آي الأرض في قوله تعالى في سورة الرعد ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: 3] [4]

وقد أشار جلّ شأنه في سورة يوسف إلى أدلة التوحيد بقوله ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: 39]." ثم فصّل الأدلة بإسهاب في سورة

(1) البقاعي، نظم الدرر فى تناسب الأيات والسور (ج118/4)، وانظر: حجازي، التفسير الواضح (ج212/11)، الألوسي، روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (ج80/7).

(2) المراغي، تفسير المراغي (ج60/13)، حوى، الأساس فى التفسير (ج2722/5).

(3) البقاعي، نظم الدرر (118/4).

(4) انظر: الغرناطي، البرهان فى تناسب سور القرآن (ج232/1)، البقاعي، نظم الدرر (ج4/ 117-118)، والسيوطي، أسرار ترتيب القرآن (110)، القطان، تيسير التفسير (ج271/2)، شرف الدين، الموسوعة القرآنية – خصائص السور (ج185/3).

الرعد ، وذكر أدلة من الأيات لم يذكر في سالفها [1] ، "وهذا امتداد لدعوة التوحيد، وذكر كثير من صفات الله" [2].

"وجاء في السورتين من الآيات ما فيه تسلية [3] هذا مع اختتام سورة يوسف [4] في قوله تعالى ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يوسف: 111]. "بالدليل على حقيقة القرآن، وأنه هدي ورحمة لقوم يؤمنون ". [5]

اختتمت سورة يوسف ببيان حقيقة القرآن ، وأنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون ، وافتتحت سورة الرعد بالحديث عن القرآن، فهو افتتاح هذه بمثل ذلك، في قوله ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرعد:1]، وهو من تشابه الأطراف.[6]

وبعد أن أشار إلى كثرة ما يحسونه، من آياته في السموات والأرض في قوله تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ [يوسف: 105]، مع الإعراض عنها [7] ابتدأ سورة الرعد بذلك فقال تعالى ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرعد: 1] [8]

ثانيا: مناسبة سورة الرعد لسورة إبراهيم

ولما ختمت سورة الرعد بأنه لا شهادة تكافئ شهادة من عنده علم الكتاب، في قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ

---

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج60/13).

(2) حجازي، التفسير الواضح (ج 212/2).

(3) سدر، المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها ، (ج27/26).

(4) انظر: السيوطي، أسرار ترتيب القرآن (ج97/1).

(5) البقاعي، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (ج117/4-118).

(6) انظر: السيوطي، أسرار ترتيب القرآن (ج97/1).

(7) انظر: االهررى، تفسير حدائق الروح والريحان فى روابي علوم القرآن (ج156/14).

(8) انظر: الألوسي، روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (ج80/7)،الأنجري، البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد (ج5/3).

ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: 34]، أشار في قوله تعالى ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1]، إلى أن الكتاب هو الشاهد بإعجازه، ببلاغته، وما حوى من فنون العلوم [1] ، فتلك الشهادة التي تدل على أنه سبحانه أظهر المعجزات الدالة على كونه صادقاً، وهذا أعلى مراتب الشهادة، لأن الشهادة قول يفيد غلبة الظن بأن الأمر كذلك. أما المعجز، فإنه فعل مخصوص، يوجب القطع بكونه رسولاً من عند الله تعالى، فكان إظهار المعجزة أعظم مراتب الشهادة في معانيه [2] ، وكونه أعظم المعجزات الباقي على مر الاعصار [3] ، بإعجازه ببلاغته، وما حوى، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله، لأنه كامل ببيان الصراط الدال عليه،المؤدي إليه [4].

وارتباط سورة الرعد بالسورة التي بعدها من وجوه:-

- أنه قد ذكر سبحانه وتعالى في سورة الرعد أنه أنزل القرآن حكماً عربياً، ولم يصرح بحكمة ذلك في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾ [الرعد: 37]، وصرح بها في سورة إبراهيم، في قوله تعالى﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1].
- أن الله عز وجلّ ذكر في سورة الرعد قوله ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: 38]، وفى سورة إبراهيم ذكر أن الرسل عليهم السلام قالوا ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [إبراهيم: 11]،.
- أمر الله عز وجلّ في سورة الرعد نبيه محمد بالتوكل على الله في قوله تعالى ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: 30]، وفى سورة إبراهيم حكى عن إخوانه المرسلين أمرهم بالتوكل عليه جلّ شأنه، في قوله تعالى ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى

(1) انظر: البقاعي، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (ج165/4).
(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج73/19-74).
(3) انظر: الحسينى، البحر المحيط فى التفسير، (ج403/6).
(4) انظر: البقاعى، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (ج166/4).

ﭐللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12]، فهو خالقهم ومتولي أمرهم سبحانه. (1)

- اشتملت سورة الرعد على تمثيل الحق والباطل، كقوله تعالى ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد: 17].
- واشتملت سورة إبراهيم على ذلك أيضاً في قوله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18].
- ذكر الله عز وجلّ في سورة الرعد رفع السماء بغير عمد، ومد الأرض، وتسخير الشمس والقمر، في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: 2]، وذكر في سورة إبراهيم نحو ذلك، في قوله تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [إبراهيم: 19]، أن الله تعالى قادر على خلق السموات والأرض، فمن قدر على هذا الخلق البديع، فهو قادر على إفناء الناس والإتيان بخلق جديد. (2)
- ذكر الله عز وجلّ في سورة الرعد مكر الكفار، في قوله تعالى ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الرعد: 33]، وقوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 46]، ذكر من وصفه في سورة إبراهيم ما لم يذكر في سورة الرعد. (3)

---

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج122/13) بتصرف.

(2) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج122/13)، الزحيلي: التفسير الوسيط (ج1179/2) بتصرف.

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج122/13) بتصرف.

- ذكر الله عزوجلّ في سورة الرعد الأدلة المنصوبة في الآفاق والأنفس، كقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: 3]، وذكر في سورة إبراهيم نحواً من ذلك، في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [إبراهيم: 32].
- ذكر الله عز وجلّ في سورة الرعد وصفاً لعباده الذين يقيمون العبادات البدنية، ويؤدون الفرائض المالية، ومآلهم، في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 22]، وفى سورة إبراهيم، أمرهم الله تعالى بأن يتصفوا بصفاتهم، لينجوا من عذابه، في قوله تعالى ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾[إبراهيم: 31]،
- ذكر الله عز وجلّ في سورة الرعد بأن ما ينزل على نبينا محمد إنما هو الحق، وما يعقل هذا ويتذكر به إلا ذوو العقول السليمة [1] ، في قوله تعالى ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الرعد: 19]، وذكر الله عز وجل في سورة إبراهيم أن هذا القرآن بلاغ لجميع الناس، وإنذار لهم، وأن الله تعالى إله واحد، وليتذكر أولوا العقول عظمة ربهم [2] في قوله تعالى ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: 52].

(1) انظر: القطان، تيسير التفسير (ج283/2).

(2) عزت، التفسير الحديث (ج515/5) بتصرف.

المبحث الثاني

ترجمة الإمام ابن كثير

أولا: اسمه ونسبه ولقبه وميلاده ونشأته

الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشي الدمشقي الشافعي. لقبه عماد الدين، وكنيته أبو الفداء ونسبه القرشي يقول في البداية والنهاية: "الوالد هو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشي من بني حصلة، وهم ينتسبون إلى الشَّرف وبأيديهم نسَّب، وقف على بعضها شيخنا المزي فأعجبه ذلك وابتهج به، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك: القرشي ". [1]

ولد الحافظ – رحمه الله– سنة احدي وسبعمائة كما أخبر هو عن نفسه في تاريخه قائلا: "وفيها ولد كاتبه إسماعيل ابن كثير القرشي المصري الشافعي عفا الله عنه، والله سبحانه أعلم".[2]

"وكان مولده: بمجدل[3] القرية من أعمال مدينة بُصرى [4] في سنة احدى وسبعمائة ، إذ كان أبوه خطيباً بها ثم انتقل إلى دمشق في سنة ست وسبعمائة". [5]

نشأ الحافظ ابن كثير– رحمه الله – في بيت علم ودين، فأبوه عمر بن حفص بن كثير أخذ عن النووي والفزاري وكان خطيب قريته، وتوفي أبوه وعمره ثلاث سنوات أو نحوهما، وانتقلت الأسرة بعد موت والد ابن كثير إلى دمشق في سنة 707 هـ، بعد فقدها لوالدها، وعنه يقول الحافظ ابن كثير: " وقد كان لنا شقيقاً ، وبنا رفيقاً شفوقاً، وقد تأخرت وفاته إلى سنة 50 هـ فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله منه ما تيسر وسهل منه ما تعسر". [6]

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج4/36).

(2) المرجع السابق (ج4/25).

(3) اسم البلدة التابعة لبصري التي كان أبوه يخطب بها وهي بلدة صغيرة، انظر: الحنفي، التنبيه والإيقاظ لما فى ذيول تذكرة الحفاظ (ج1/25).

(4) بصرى بضم أوله وإسكان ثانيه وفتح الراء المهملة مدينة حوران. الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (ج1/253).

(5) الدمشقي، ذيل تذكرة الحفاظ (ج1/38).

(6) ابن كثير، البداية والنهاية (ج14/37).

ثانيا: طلبه للعلم

وأما عن طلبه للعلم ورحلاته في تحصيله " فقد قال تلميذه الحسيني – رحمه الله – انتقل إلى دمشق في سنة ست وسبعمائة وتفقه على الشيخ برهان الدين الفزاري وغيره ، وسمع ابن السويدي والقاسم بن عساكر وخلقاً، وصاهر شيخنا الحافظ المزي – رحمهم الله – فأكثر عنه وأفتى، ودرس، وناظر، وبرع في الفقه، والتفسير، والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل وولي مشيخة أم الصالح والتنكزية بعد الذهبي، ذكره الذهبي في مسودة طبقات الحفاظ وقال في المعجم المختص: هو فقيه متقن ومحدث محقق ومفسر نقاد وله تصانيف مفيدة ". (1)

"وولي مشيخة أم الصالح بعد موت الذهبي وبعد موت السبكي– رحمه الله – ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية مدة يسيرة ثم أخذت منه ". (2)

"وحفظ التنبيه، وعرضه سنة ثماني عشر، وحفظ مختصر ابن الحاجب، وتفقه بالبرهان الفزاري، والكمال لابن قاضي شهبه، ثم صاهر المزي، وصحب ابن تيمية ". (3)

ثالثا: عقيـدتــه

من الأمور الظاهرة التي لا تخفى أن عقيدة الإمام ابن كثير– رحمه الله – هي عقيدة السلف الصالح في توحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته وهذا واضح في تفسيره

يقول عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٦١ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: 61-63].

" يقول تعالى مقرراً أنه لا إله إلا هو ؛ لأن المشركين – الذين يعبدون معه غيره – معترفون أنه المستقل بخلق السموات والأرض ، والشمس والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم، واختلافها واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كلاً منهم، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستبد بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الامر كذلك فلم يعبد غيره ؟ ولم يتوكل على غيره ؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيراً ما يقر تعالى مقام الإلهية

---

(1) الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ (ج38/1).

(2) ابن شهبه، طبقات الشافعية (86/3).

(3) ابن حجر، أنباء الغمر بأبناء العمر (ج39/1).

بالاعتراف بتوحيد الربوبية. وقد كان المشركون يعترفون بذلك، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك". [1]

ويقرر عقيد السلف في باب الأسماء والصفات قائلاً:-

عند قوله تعالى " ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ [الرعد: 2]، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، وليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه- رحمهم الله تعالى- وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيِّف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر والمتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله سبحانه ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]؛ بل الأمر كما قال الأئمة – منهم نعيم بن حماد [2] الخزاعي [3] شيخ البخاري – رحمهما الله –(من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر). وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله النقائص، فقد سلك سبيل الهدى ". [4]

فكما هو ملاحظ أن عقيدته – رحمه الله – عقيدة سلفية مأخوذة من القرآن والسنة مبنية على فهم السلف الصالح رحمهم الله ورضي عنهم.

وأما في الفروع مذهب الإمام الشافعي رحمة الله على الجميع، ومما يؤكد انتسابه للشافعي ما جاء في الرد الوافر " أبو الفداء اسماعيل ابن الشيخ العالم الخطيب أبي حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن زرع القرشي البصري ثم الدمشقي الشافعي ". [5]

وقال في تذكرة الحفاظ " وسمعت مع الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصراوي الشافعي". [6]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج294/6).

(2) نعيم بن حماد بن معاوية، أبو عبد الله الخزاعي المروزي، صاحب التصانيف، كان من كبار أوعية العلم، لكنه لا تركن النفس إلى رواياته توفي سنة 229هـ، انظر :الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج17/9).

(3) هو على بن أحمد بن محمد بن الحسين الخزاعي، الشيخ الصدوق، العالم المحدث، أبو القاسم، توفي سنة 411هـ، انظر :الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج503/10).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج3/ 427).

(5) الدمشقي، الرد الوافر (ج92/1).

(6) الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج201/4).

وفى إنباء الغمر: " إسماعيل بن عمر ابن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع البصراوي ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي الحافظ ". [1]

رابعا: شيوخه وتلاميذه

تتلمذ الحافظ ابن كثير – رحمه الله – على كثير من أفاضل عصره وعلماء بلده فممن ذكرهم التاريخ:

- شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية – رحمه الله – وبه تخرج. [2]
- الحافظ أبو الحجاج جمال الدين يوسف المزي – رحمه الله –. [3]
- الشيخ أبو العباس أحمد الحجار الشهير بـ ابن "الشيخة " – رحمه الله –. [4]
- الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي – رحمه الله –. [5]
- الحافظ كمال الدين عبدالوهاب الشهير ب (ابن قاضي شهبة) – رحمه الله –. [6]
- الإمام كمال الدين أبو المعالي محمد الزملكاني – رحمه الله –. [7]
- محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن الحافظ بدر الدين أبو عبدالله بن الفويرة السلمي الحنفي – رحمه الله –. [8]
- الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى الشيباني – رحمه الله –. [9]
- الإمام علم الدين محمد القاسم البرزالي – رحمه الله –. [10]
- الشيخ شمس الدين أبو نصر محمد الشيرازي – رحمه الله –. [11]

---

(1) ابن حجر، إنباء الغمر (ج39/1).

(2) ابن تغري، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى (ج415/2).

(3) المرجع السابق (ج2/ 415).

(4) المنهل الصافى (ج2/ 415).

(5) الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين (ج98/1).

(6) هو أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبدالوهاب، تقي الدين، المعروف بابن شهبة وكنيته أبو الصدق، وهو مفسر ومحدث ومتصوف توفي بدمشق وعاش آنفا وأربعين سنة، انظر: ابن شهبة، طبقات الشافعية (ج114/1)، انظر: كحالة، معجم المؤلفين (ج57/3).

(7) ابن كثير، البداية والنهاية (ج151/14).

(8) الدمشقي، الدارس فى تاريخ المدارس (ج435/1).

(9) البداية والنهاية (ج14/ 132).

(10) المرجع السابق (ج313/13).

(11) المنهل الصافى (ج415/2).

- الشيخ شمس الدين محمود الأصبهاني – رحمه الله –. [1]
- عفيف الدين إسحاق بن يحيى الآمدي الأصبهاني – رحمه الله –. [2]
- الشيخ بهاء الدين القاسم بن عساكر – رحمه الله–. [3]
- أبو محمد عيسى بن المطعم – رحمه الله –. [4]
- الشيخ أبو بكر محمد بن الرضي الصالحي – رحمه الله –. [5]
- محمد بن السويدي، بارع في الطب – رحمه الله –. [6]
- محمد بن جعفر اللباد، شيخ القراءات – رحمه الله –. [7]
- الشيخ محمد بن الزرد – رحمه الله –. [8]
- برهان الدين الفزاري – رحمه الله –. [9]

تلاميـذه:

وأما تلاميذه فهم أيضاً كثر فمنهم:

- أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن رضوان شهاب الدين الدمشقي الشافعي–رحمه الله–[10].
- محمود بن عمر بن محمود بن إيمان نحوي دمشق شرف الدين الأنطاكي الدمشقي الحنفي – رحمه الله–. [11]
- الحافظ ابن حجي الشافعي، أحمد بن علاء الدين حجي بن موسى بن أحمد السعدي الحسباني[12] – رحمه الله – قال ابن حجي: ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه.
- محمد بن محمد بن خضر القرشي بن أبي العدل – رحمه الله –.[13]

---

(1) ابن حجر، إنباء الغمر (ج1/ 39).
(2) ابن تغري، المنهل الصافى (ج415/2).
(3) الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ (ج1/ 38).
(4) ابن تغري، المنهل الصافى (ج415/2).
(5) ابن حجر، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثمانية (ج445/1).
(6) الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ج38/1).
(7) ابن كثير، البداية والنهاية(ج131/4).
(8) ابن تغري، المنهل الصافى (ج415/2).
(9) الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ (ج1/ 38).
(10) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (ج2/ 81).
(11) المالكي، ذيل القييد فى رواة السنن والمسانيد (ج275/2).
(12) ابن حجر، إنباء الغمر (ج1/ 39).
(13) السيوطي، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة (ج222/1).

- شرف الدين مسعود بن عمر الأنطاكي النحوي – رحمه الله –. [1]
- محمد بن محمد بن الجزري، شيخ علم القراءات – رحمه الله – قال أخبرني شيخنا إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ من لفظه. [2]
- ابنه عبدالوهاب بن إسماعيل بن عمر بن كثير – رحمه الله –. [3]
- الإمام ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله –. [4]
- الحافظ أبو المحاسن الحسيني – رحمه الله –. [5]
- أحمد بن عبدالقادر المقريزي – رحمه الله – قال " وقد ذكر شيخنا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير في تاريخه أنه اجتمع به ". [6]

خامسا: مؤلفاته

أما آثاره العلمية فقد ترك لنا الحافظ ابن كثير تراثاً علمياً كبيراً في مختلف العلوم والفنون ومن ذلك:

- تفسير القرآن العظيم في خمسة مجلدات [7]، التفسير الذي لم يؤلف مثله أحد.
- فضائل القرآن: وهو ملحق بالتفسير. [8]
- وفى السنة وعلومها:– مسند أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –. [9]
- مسند عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –. [10]
- علوم الحديث. [11]
- جامع المسانيد، جمع فيه أحاديث الكتب الستة والمسانيد الأربعة. [12]

---

(1) الحنبلي، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (ج67/1).
(2) الجزري، غاية النهاية فى طبقات القراء (ج33/1).
(3) السخاوي، الضوء اللامع (ج5/ 98).
(4) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج220/1).
(5) الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ (ج38/1).
(6) المقريزي، السلوك لمعرفة الدول الملوك (ج183/4).
(7) ابن تغري، المنهل الصافى (ج415/2).
(8) السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ (ص 239).
(9) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج15/1).
(10) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية(ج225/6).
(11) السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ (ص361).
(12) كحالة، معجم المؤلفن (ج283/2).

- وكتب على البخاري ولم يكمله. [1]
- وخرج أحاديث مختصر ابن الحاجب. [2]
- التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، جمع بين كتاب التهذيب والميزان وهو خمسة مجلدات. [3]
- كتاب الهدي والسنن في أحاديث المسانيد والسنن، جمع بين مسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلي وابن شيبة إلى الكتب الستة. [4]
- وفى الفقه وأصوله كتاب كبير في الأحكام لم يتمه. [5]
- وفى التاريخ والسير كتاب البداية والنهاية في أربعة وخمسين جزءا [6] وهو في غاية الجّود[7].
- كتاب طبقات الفقهاء. [8]
- مناقب الشافعي. [9]
- طبقات الشافعية. [10]
- الفضول في سيرة الرسول. [11]

ثناء العلماء عليه:

حظي الحافظ ابن كثير بكثير من الثناء العطر من قبل أشياخه وتلاميذه ومحبيه ومن ذلك:

ما جاء في المعجم المختص [12] " هو فقيه متقن ومحدث محقق ومفسر نقاد وله تصانيف مفيدة ".

---

(1) ابن تغري، المنهل الصافى (ج415/2).
(2) المصدر السابق (ج415/2).
(3) الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ (ج38/1).
(4) المرجع السابق (ج38/1).
(5) السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ (ص 239).
(6) الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ (ج1/ 38).
(7) ابن تغري، المنهل الصافى (ج415/2).
(8) المرجع السابق (ج2/ 415).
(9) المرجع السابق (ج2/ 415).
(10) السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ (ص 239).
(11) كحالة، معجم المؤلفن (ج2/ 283).
(12) لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي (ج75/1).

وقال أيضاً "يدري الفقه وأفتى ويفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم وله حفظ ومعرفة ". [1]

وفى تذكرة الحفاظ " وسمعت مع الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصراوي الشافعي... وله عناية بالرجال والمتون والفقه، وخرج وألف وناظر وصنف وفسّر وتقدم ". [2]

" وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم، وكان يشارك في العربية ويستحضر التنبيه ويكرر عليه إلى أخر وقت وينظم نظما وسطا، قال ابن حجي [3] ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه، وقد لازمته ست سنين ". [4]

وقال عنه تلميذه ابن حجي أيضا:" أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث ، وأعرفهم بجرحها ورجالها ، وصحيحها وسقيمها وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا استفدت منه ". [5]

وفى الرد الوافر: " الشيخ الإمام العلامة الحافظ عماد الدين ثقّة المحدثين عمدة المؤرخين علم المفسرين أبو الفداء إسماعيل ابن الشيخ العالم الخطيب أبي حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن ذرع القرشي البصري ثم الدمشقي الشافعي ". [6]

قال العيني [7] رحمه الله – " كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ. وسمع وجمع وصنف ودرس وحدث وألف. وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ،

---

(1) الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين (ج75/1).

(2) الذهبي، تذكرة الحفاظ (399/8).

(3) أحمد بن حجِّي بن موسي بن أحمد بن سعيد السعدي الحسبانى الدمشقي الشافعي تلميذ ابن كثير، تقدم فى تلاميذه ت/ 810، انظر: السخاوي، الضوء اللامع (ج269/1).

(4) ابن حجر، إنباء الغمر (ج39/1).

(5) الذهبي، شذرات الذهب (ج6/ 432 433).

(6) الدمشقي، الرد الوافر (ص92).

(7) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، من كتبه "عمدة القاري فى شرح البخاري، " انظر: السيوطي، بغية الوعاة (ج275/2)، انظر: الزركلي، الأعلام (ج163/7).

واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير وله مصنفات عديدة مفيدة". [1]

قال ابن حجر– رحمه الله– " كان كثير الاستحضار وسارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع به الناس بعد وفاته ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالى ، وتمييز العالى من النازل وإنما هو من محدثي الفقهاء. قلت العمدة في علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله واختلاف طرقه ورجاله جرحاً وتعديلاً وأما العالى والنازل فهو من الفضلات لا من الأصول المهمة ". [2]

قال ابن العماد الحنبلي " كان كثير الاستحضار، قليل النسيان، جيد الفهم، يشارك في العربية، وينظم نظماً وسطاً ". [3]

سادسا: وفاته

" في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة توفي الحافظ ابن كثير بدمشق، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية – رحمه الله – وكانت جنازته حافلة مشهودة ودفن بوصية منه في تربة شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – بمقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق ". [4]

"وكانت وفاته بدمشق في خامس عشر من شعبان، وقد أجاز لمن أدرك حياته ". [5]

"وقيل يوم الخميس سادس عشر من شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة بدمشق، عن أربع وسبعين سنة، ورثاه بعض طلبته قائلاً:

لفقدك طلاب العلم تأسفوا	وجادوا بدمع لا يبيد غزير
ولو مزجوا ماء المدامع بالدما	لكان قليلا فيك يا ابن كثير "[6]

---

(1) الحنفي، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (ج123/11).

(2) السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ (ج1/ 239).

(3) الذهبي، شذرات الذهب (ج68/1).

(4)الدمشقي، الرد الوافر (ص 92)، و انظر: كحالة، معجم المؤلفىن (ج283/2).

(5) ابن حجر، إنباء الغمر (ج40/1).

(6) ابن تغري، المنهل الصافى (ج415/2).

المبحث الثالث

ترجمة الإمام الشوكاني

أولا: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

هو محمد بن على بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن على بن عبدالله الشوكاني، الخولاني، ثم الصنعاني (أبو عبدالله)[1]. فقيه، محدث، مفسر، عالم جليل، قال الكتاني: "هو الإمام خاتمة محدثيه المشرق، وأثريه العلامة النظار الجهبذ القاضي ". [2]

ثانيا: مولده ووفاته

ولد في وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة 1173هـ، في هجرة شوكان [3]، وتولى بعضهم مناصب القضاء ، ومن أشهرهم في العصر الحديث شيخ الاسلام محمد بن على الشوكاني [4] ، ونشأ في صنعاء، وتربى في كفالة والده، وكان والده من كبار علماء صنعاء وقضاتها، قرأ القرآن على جماعة من المعلمين، وجوّده على مشايخ القراءات بصنعاء، وتلقى علمه على شيوخ الزيدية .[5]

---

(1) انظر: كحالة، معجم المؤلفن (ج53/11)، وانظر: الشوكاني، ترجمته فى البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (ج214/2)، الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (ج1083/2)، باعتناء إحسان عباس، الأكوع، هجر العلم ومعاقله فى اليمن (ج2201/4 2253)، سركس، معجم المطبوعات العربية والمعربة (1160/2)، الزركلي، الأعلام (ج298/6)، عفيف، الموسوعة اليمنية (ج1790/3-1791).

(2) الكتاني، فهرس الفهارس (ج1083/2)، وانظر: كحالة، معجم المؤلفن (ج53/11).

(3) نسبة إلى" شوكان " وهي قرية من قري السحامية، إحدى قبائل "خولان " بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم، انظر: الشوكاني، البدر الطالع (ج480/1).

(4) انظر: عفيف ، الموسوعة اليمنية (ج1789/3).

(5) الزيدية إحدى الفرق الشيعية، نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن على زين العابدين الذي صاغ نظرية شيعية فى السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل فى سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعا، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الافضل، انظر: الشكعة، إسلام بلا مذاهب (225)، وانظر: الندوة العالمية لشباب الإسلام (الرياض)، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة (ج2/ 255).

توفي الإمام الشوكاني – رحمه الله – في جمادي الآخرة سنة 1250هـ عن ست وسبعين سنة، ودفن بخزيمة المقبرة المشهورة بصنعاء. [1]

" وقد أثنى عليه القاضي يحيى بن صالح السحولي –رحمه الله– في أبيات كتبها إليه قبل موته بنحو سنة، ولم يكن بينهما اتصال، قال فيها:

يـا أنفـع النـاس فـي التـدريس فـي البلـد	وبـــاذلا نفســـه فـــي طاعـــة الصـــمد
و يـا جمـال أولـي التحقيـق عـن كمـل	علـــى تواضـــع أهـــل الفضـــل والرشـــد
ومـن لـه القلـب يقضـي بالمحبـة فـي	حـــب المهـــيمن لا زالـــت علـــى الأبـــد
بقيـــت تحيـــي ربـــوع العلـــم مجتهـــدا	فـي نشـرها عـن أولـي التحقيـق والسـند
ولا شـــــغلت بآفـــــات العلـــــوم ولا	برحـت فـي اللطـف مـن خلاقنـا الأحـد[2]

ثالثا: شيوخه وتلاميذه

"نشأ الشوكاني في كنف والده الذي كان أحد كبار علماء صنعاء وقضاتها، فبذل له المال وساعده على طلب العلم والجلوس إلى العلماء والمشايخ، فكثرت مقروءاته ومسموعاته، وتنوعت في مختلف العلوم، وخاصة الدينية منها، وهذا يدلل على كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم العلم وقرأ عليهم وسمع منهم ومن هؤلاء العلماء والمشايخ[3].

- والده علي بن محمد الشوكاني.
- الفقيه حسن بن محمد بن عبدالله الهبل.
- العلامة عبدالرحمن بن قاسم المدني.
- العلامة أحمد بن عامر الحدائي.
- العلامة أحمد بن محمد الحرازي.
- إسماعيل بن الحسن أحمد بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد.
- العلامة عبدالله بن إسماعيل النهمي.
- العلامة القاسم بن يحيى الخولاني.
- العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي.
- على بن هادي عرهب.

---

(1) انظر: الأكوع، هجر العلم ومعاقله فى اليمن (ج4/ 2276ج)، وانظر: زيارة، نيل الوطر (ج302/2).

(2) الشوكاني، البدر الطالع (ج337/2).

(3) الشوكاني، البدر الطالع (ج215/2 218)، وانظر: الكتاني، فهرس الفهارس (ج1085/2).

- الإمام عبدالقادر بن أحمد الكوكباني.
- العلامة هادي بن حسين القارني.
- العلامة عبدالرحمن بن حسين الأكوع.
- العلامة على بن إبراهيم بن على بن إبراهيم بن أحمد بن عامر.
- السيد العارف يحيى بن محمد الحوثي.
- المحدث يوسف بن محمد بن علاء الدين المزجاجي الزبيدي وصديق بن على المزجاجي.

أما تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم فهم كثر، حيث كان يجتمع إليه التلاميذ قبل أن يفرغ من قراءة الكتب على شيوخه ، فإذا فرغ من كتاب قراءة أخذه عنه تلامذته، بل ربما اجتمعوا على الأخذ عنه قبل أن يفرغ من قراءة الكتاب على شيخه، وكانت تبلغ دروسه في اليوم والليلة إلى نحو ثلاثة عشر درساً، منها ما يأخذ عن مشايخه، ومنها ما يأخذ عنه تلامذته ، واستمر على ذلك مدة [1]، حيث تصدر للتدريس في جامع صنعاء، وأقبل عليه طلبة العلم من أماكن شتى ينهلون من معارفه الواسعة، وعلومه المتعددة المختلفة، وفيهم من كان من شيوخه [2]. وكانت هذه الدروس من مختلف العلوم، كالتفسير، والحديث، والفقه وأصوله، والعربية، والحكمة، ولم يقتصر في تدريسه على الكتب التي يرغب الطلاب في قراءتها عنده فحسب؛ بل كان يلقي إليهم الاهتمام بقراءة علوم القرآن والسنة النبوية [3] وهذا يدلل على جلوس عدد كبير من التلاميذ للتعلم على يديه.

ومن هؤلاء التلاميذ [4]

- القاضي عبد الرحمن بن أحمد اليهكلي.
- أحمد بن محمد بن على الشوكاني.
- محمد بن ناصر الحازمي.
- مؤرخ مكة الشهاب أحمد بن محمد الحضراوي المكي.
- يحيى بن أحمد المجاهد بن على التغري.
- أحمد بن حسن المجاهد.

---

(1) انظر: الشوكاني، البدر الطالع (ج218/2).

(2) الأكوع، هجر العلم ومعاقله فى اليمن (ج2252/4).

(3) انظر: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(4) الكتاني، فهرس الفهارس (ج1088/2 1086).

- الحسن الدين الباعلوي.
- أحمد بن على الشرفى اليمني.
- أبو الفضل عبدالحق العثماني المكي المناوي.
- لطف الله بن أحمد حجاف الصنعاني ومحمد بن أحمد مشحم [1].
- ومن أشهر تلاميذه محمد بن حسن الشجني صاحب "كتاب التقصار" في سيرته وذكر مشايخه وتلاميذه [2].

رابعاً: نشأته وطلبه للعلم

نشأ رحمه الله تعالى بصنعاء، وتربي في حجر أبيه على العفاف والطهارة، وأخذ في طلب العلم وسماع العلماء الأعلام، وفرغ نفسه للطلب وجد واجتهد، فقرأ القرآن على جماعة من المعلمين، وختمه على الفقيه حسن بن عبدالله الهبل، وجوّده على جماعة من مشايخ القرآن بصنعاء، ثم حفظ الأزهار للإمام مهدي في الفقه، ومختصر الفرائض للعصيفري، والملحة للحريرى، والكافية والشافية لابن الحاجب، والتهذيب للعلامة التفتازاني، والتلخيص في علوم البلاغة للقزويني، والغاية لابن الإمام، وبعض مختصر المنتهى لابن الحاجب في أصول الفقه، ومنظومة الجزري في القراءات، ومنظومة الجزار في العروض، وآداب البحث والمناظرة للإمام العضد، ورسالة الوضع له أيضاً. وكان حفظه لبعض هذه المختصرات، وقبل شروعة في الطلب كان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التاريخ ومجاميع كثيرة، ثم شرع في الطلب والسماع والتلقي من أفواه الرجال إلى أن صار إماماً يشار إليه. [3]

وكان لا يكتفي باستيفاء ما عند شيوخه من كتب، وإنما كان يطلع على كتب أخرى كثيرة بشكل مستقل عنهم، فقد تعلم العلوم الرياضية، والطبيعية، والإلهيات ، وعلم البيئة، وعلم المناظرة، وعلم الوضع وحده دون معلم مباشر، ودرس هذه العلوم أيضاً لتلاميذه. [4]

ومما ساعد الإمام الشوكاني على طلب العلم والنبوغ المبكر، وجوده وتربيته في بيت العلم والفضل، فإن والده – رحمه الله – كان من العلماء المبرزين في ذلك العصر، كما أن أكثر أهل هذه القرية كانوا كذلك من أهل العلم والفضل.

قال الشيخ الشوكاني – رحمه الله – عن والده وأهل قريته:

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج23/1).

(2) الزركلي، الأعلام (ج298/6).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج5/1)، وانظر: الشوكاني، البدر الطالع (ج215/2–218).

(4) انظر: الشوكاني، البدر الطالع (ج219/2).

"... وهذه الهجرة مغمورة بأهل الفضل والصلاح والدين من قديم الزمان، لا يخلو وجود عالم منهم من كل زمن، ولكنه يكون تارة في بعض البطون، وتارة في بطون أخرى ، ولهم عند سلف الأئمة جلالة عظيمة، وفيهم رؤساء كبار ، ناصروا الأئمة ولاسيما في حروب الأتراك، فإن لهم في ذلك اليد البيضاء، وكان فيهم إذ ذاك علماء وفضلاء، يعرفون في سائر البلاد الخولانة بالقضاة ". [1]

من هنا يتبين أن الشوكاني نشأ وتربى في بيئة علمية تهيئه لأن يصبح عالماً نابغاً في العلوم الشرعية، وكان لوالده الأثر الفعال في توجيهه إلى الاشتغال المستمر بتحصيل العلم.

خامسا: مذهبه وعقيدته

" نشأ الشوكاني – رحمه الله – في بيئة زيدية، ودرس وتفقه على علمائها، وقد بلغ مرتبة من النبوغ والتفوق المبكرين جعلته يفتي وهو في العشرين من عمره " [2]، " ويترك التقليد ويجتهد رأيه اجتهاداً مطلقاً غير مقيد وهو قبل الثلاثين " [3] ، أي أنه لم يلبث أن تخلى عن التقليد والتمذهب، وتحلى بمنصب الاجتهاد، وأصبح لا يتقيد بفرقة من الفرق أو مذهب من المذاهب، بل اعتمد اعتماداً مباشراً على الكتاب والسنة، مجتهداً في فهم نصوصهما، وفى استنباط الأحكام الشرعية منها، ولو خالف مذهب الزيدية أو المذاهب الأربعة كلها.

وقد دعا إلى مذهبه الاجتهادي، وأنكر بشدة على المقلدين في كثير من مؤلفاته وخاصة في كتابة القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، وآداب الطلب ومنتهى الأرب، والسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، وفى تفسيره للآيات[4].

وقد دعا الشوكاني– رحمه الله – دائماً إلى الأخذ بالدليل، وطرح ما لم يقم عليه دليل من الآراء المجردة، وكان يردد كثيراً في مؤلفاته قوله (كل قول لا دليل عليه ليس هو من العلم في شيء؛ بل من الجهل المحض). [5]

---

(1) انظر : الشوكاني، البدر الطالع (ج218/2).

(2) الشوكاني، البدر الطالع (ج219/2)،.

(3) المرجع السابق (ج224/2).

(4) انظر : الشوكاني، فتح القدير (7/1).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج524/2).

" أما عقيدة الشوكاني – رحمه الله تعالى– فكانت عقيدة السلف، من حمل صفات الله تعالى الواردة في القرآن والسنة الصحيحة على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف، وله رسالة في بيان ذلك اسمها التحف في مذهب السّلف ". [1]

" وقد دعا إلى جانب ذلك إلى نبذ كلام المتكلمين، وتطهير عقيدة التوحيد من مظاهر الشرك، وتخليص ما دخل على حياة الناس وتدينهم من البدع والخرافات. ويظهر هذا جلياً في كثير من كتبه، وبخاصة كتابه قطر الوليّ على حديث الولي ". [2]

" وكان يرى الشوكاني– رحمه الله – أن طرق المتكلمين لا توصل إلى يقين، ولا يمكن أن تصيب الحق فيما هدفت إليه ؛ لأن معظمها . كما يقول . قام على أصول ظنية، لا مستند لها إلا مجرد الدعوى على العقل، والفرية على الفطرة. فكل فريق منهم قد جعل له أصولاً تخالف ما عليه الآخر، وقد أقام هذه الأصول على ما رآه عنده هو صحيحاً، من حكم عقله الخاص المبني على نظره القاصر، فبطل عنده ما صح عند غيره، وقاسوا بهذه الأصول المتعارضة كلام اللّه ورسوله في الإلهيات وما يتصل بها من العقائد، فأصبح كل منهم يعتقد نقيض ما يعتقده الآخر". [3]

وقد نهج منهج السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة، وصرح بأنه لا ينبغي لعالم أن يدين بغير ما دان به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة، وإبراز الصفات كما جاءت، ورد علم المتشابه إلى الله سبحانه، وعدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدونة في هذا العلم (أي علم الكلام) المبنية على شفا جرف هار من أدلة العقل التي لا تعقل، ولا تثبت إلا بمجرد الدعاوي والافتراء على العقل بما لا يطابق الهوى، ولا سيما اذا كانت مخالفة لأدلة الشرع الثابتة في القرآن والسنة، فإنها حديث خرافة ولعبة لاعب، فلا سبيل للعباد يتوصلون به إلى معرفة ما يتعلق بالرب سبحانه، وبالوعد والوعيد، والجنة والنار، والمبدأ والمعاد، إلا ما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وليس للعقول وصول إلى تلك الأمور. [4]

يتبين مما سبق أن مذهب الشوكاني – رحمه الله – في الاعتقاد هو مذهب أهل السنة والجماعة إلا في الغالب ، وسأوضح ذلك في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج7/1).

(2) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(3) العفاني، زهرة البساتين من مواقف العلماء الربانيين (ج53/2).

(4) الشوكاني، انظر أدب الطلب ومنتهى الأرب (ج1/ 146).

سادساً: مصنفاته العلمية وثناء العلماء عليه:

يُعد الشوكاني – رحمه الله – إمام عصره ومن كبار علماء اليمن ، فقيهاً، مجتهداً، محدثاً، أصولياً، مؤرخاً، أديباً، نحوياً، متكلماً، حكيماً، والذي أهله لأن يجمع كل هذه الصفات والألقاب اهتمامه بالعلم وجلوسه للتعلم ومتابعته للعلماء، فقد أقبل على طلب العلم بهمة لا تعرف الكلل أو الملل فكثرت مقروء اته ومسموعاته والتي كان لها الأثر الكبير في وصوله إلى تلك المكانة الرفيعة في العلم فقرأ القرآن وجوّده على جماعة من مشايخ القرآن بصنعاء، ثم حفظ الأزهار للإمام المهدي ، ومختصر الفرائض للعصيفري والملحة للحريرى والكافية والشافية لابن الحاجب، والتهذيب للتفتازاني، والتلخيص للقزويني، والغاية لابن الإمام وبعض مختصر المنتهى لابن الحاجب، ومنظومة الجزار في العروض وآداب البحث للعضد، ورسالة الوضع له أيضا وكان حفظه لهذه المختصرات قبل الشروع في الطلب وبعضها بعد ذلك، ثم قبل شروعه في الطلب كان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التواريخ ومجاميع الأدب من أيام كونه في المكتب فطالع كتباً عدة ومجاميع كثيرة. [1]

هذه الكتب والمجاميع التي حفظها قبل الطلب، وبدأ في قراءة ما حفظه إلى مشايخه وعلماء عصره في اليمن، إضافة إلى كتب أخرى مثل: شرح الأزهار وشرح الناظري لمختصر العصيفري، وبيان ابن مظفر والملحة وشرحها في النحو، وكذلك قواعد الإعراب وشرحها للأزهري، وشرح السيد المفتي على الكافية، وشرح الخبيصى على الكافية وحواشيه، وشرح الرضي على الكافية، وقرأ شرح الشافية للطف الله الغياث، وشرح التهذيب للشيرازي، وشرح الشمسية وحاشية الشريف، وشرح التلخيص المختصر للسعد وحاشيته للطف الله الغياث، والشرح المطول للسعد التفتازاني وحاشيته للشلبي، وشرح الغاية، وشرح العضد على المختصر وشرح جمع الجوامع للمحلي، وشرح القلائد للبخري، وشرح المواقف العضدية للشريف، وشرح الجزرية، وشفاء الأمير الحسين، وكذلك قرأ البحر الزخار وحاشيته وتخريجه، وضوء النهار على شرح الأزهار والكشاف وحاشيته. [2]

هذه من مقروءات الشوكاني– رحمه الله– على مشايخه التي تبين مدى إلمامه بالعلوم المختلفة فلم يقتصر على علم واحد؛ بل جمع علوماً كثيرة جعلته بحق إمام عصره وقاضياً ومفتياً ومجدداً، بل جلس إلى العلماء وكانت له مسموعات كثيرة كان لها دور في زيادة ثقافته وسعة علمه ومن هذه المسموعات، سمع البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي، وبعض موطأ مالك

---

(1) انظر: الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات (ج1086/2).

(2) انظر: البدر الطالع (ج215/2).

وبعض شفاء القاضي عياض وبعض جامع الأصول، وبعض سنن النسائي وبعض سنن ابن ماجه، وسمع جميع سنن أبي داود وتخريجها للمنذري، وبعض المعالم للخطابي وبعض شرح ابن رسلان، وبعض المنتقى لابن تيمية ، وشرح بلوغ المرام، وبعض فتح الباري، وبعض شرح مسلم للنووي، وبعض شرح العمدة، والتنقيح في علوم الحديث، والنخبة وشرحها، وبعض ألفية الزين العراقي وشرحها، وجميع منظومة الجزاز، وشرح أدب البحث وحواشيه في الفرايض والضرب والوصايا والمساحة وطريقة ابن الهايم في المناسخة، وبعص صحاح الجوهري وبعض القاموس [1].

هذه المسموعات تعطينا صورة كاملة عن شخصية الشوكاني، وما ستكون عليه في المستقبل بعد إلمامه بتلك العلوم والآداب، التي كان لها أثر في صقل شخصيته، وجعلت العلماء يحبون مجالسته وتعليمه، وجعلت الطلاب يلتفون حوله ويتعلمون منه.

" وقد كان الشوكاني – رحمه الله – المذكور شامة في وجه القرن المنصرم (الثالث عشر الهجري) وغرة في جبين الدهر، انتهج من مناهج العلم ما عمي على كثير ممن قبله، وأوتي فيه من طلاقة القلم والزعامة ما لم ينطلق به قلم غيره، فهو من مفاخر اليمن بل العرب ". [2]

" وكانت الدروس التي يعطيها لطلابه في فنون متعددة، واجتمع منها في بعض الأوقات التفسير والحديث والأصول والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه والجدل والعروض".[3]

" وكان الشوكاني – رحمه الله – مفتياً لأهل صنعاء ومن حولها وهو في العشرين من عمره، فقد كان في أيام قراءته على الشيوخ وإقرائه لتلامذته يفتي أهل صنعاء ؛ بل ومن فد إليها؛ بل ترد عليه الفتاوى من الديار التهامية وشيوخه إذ ذاك أحياء، وكادت الفتيا تدور عليه من أعوام الناس وخواصتهم، واستمر يفتي من نحو العشرين من عمره فما بعد ذلك ". [4]

وكذلك ولي الامام الشوكاني – رحمه الله – القضاء وهو ما بين الثلاثين والأربعين من العمر، حيث عاصر ثلاثة أئمة أولهم: المنصور على بن المهدي عباس... الذي عهد إلى الشوكاني بالقضاء الأكبر واعتبر الشوكاني ذلك امتحاناً [5]، وذلك في أخر شهر رجب سنة

---

(1) انظر: الشوكاني، البدر الطالع (ج218/2-217).

(2) الكتاني، فهرس الفهارس والاثبات (ج1086/2).

(3) الشوكاني، البدر الطالع (ج219/2).

(4) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، وانظر :سركس، معجم المطبوعات العربية والمعربة (ج1160/2).

(5) انظر: عفيف ، الموسوعة اليمنية (ج1791/3).

1209هـ خلفاً للقاضي يحيى بن صالح السحولى –رحمه الله– على غير رغبة منه، ولا استشراف [1].

وقد حاول الشوكاني في حياته ومن خلال مصنفاته أن يواجه أدواء عصره ومفاسده، وأن يرد على المقلدين والرافضة والزيدية، خاصة التي تعلم على أيدي مشايخها، إلا أنه عرف انحرافهم عن السنة، فألف كتابه " السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار " والذي التزم فيه بالسنة وجافَ بدع الزيدية، فتمسك بالسنة النبوية، وبحب الصحابة، ودافع عن عقيدة السلف، حيث أفرد لها بعض الرسائل مثل رسالة " التحف في مذاهب السلف " و" كشف الشبهات عن المشتبهات".[2]

وكذلك دعا إلى تطهير الاعتقاد، ورفض ما أدخله الغلاة من الشيعة والمتصوفة من رفع للقبور، وتعظيم للموتى، كما في كتابه " شرح الصدور بتحريم رفع القبور " ودعا إلى إخلاص التوحيد، ودافع عن الصحابة وأهل البيت من خلال كتاب " إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي " ورسالة " زهر النسرين الفائح بفضائل العمرين ".

ويرى سيد العفاني أن دواء الشوكاني– رحمه الله – لقومه وأمته لم يكن منحصراً في التأليف فقط، وإنما كان موزعاً على ثلاث شعب [3]:

1- الجانب العلمي: وتبلغ مؤلفاته وأبحاثه ورسائله المئتين أو تزيد، تناول فيها كل ما يهم الإنسان من تبصرة بأمور دينه ودنياه.
2- الجانب العملي: وحياته كلها جهاد متواصل لتمكين الشريعة ونشر السنة، ويمكن إجمالها في تدريسه لكتب الحديث، وتطهير لجهاز القضاء من الجهلة والظلمة، وحثه للإمام المنصور على أخذ الزكاة عيناً بحسب مقاديرها في الشريعة، وإلغاء المكوس، ومحو الأمية الدينية، بنشر المعلمين في الأرياف والقرى على حساب الدولة.
3- الجانب التوجيهي: يعد الشوكاني – رحمه الله – في هذا الجانب مؤسس مدرسة تربوية رائدة، وكتبه في هذا المضمار عديدة منها " أدب الطلب " و " الدواء العاجل " و" البدر الطالع " وديوان شعره.

---

(1) انظر: الأكوع، هجر العلم ومعاقله فى اليمن (ج2254/4).

(2) انظر: العفاني، زهرة البساتين من مواقف العلماء الربانيين (ج53/2).

(3) انظر المرجع السابق (ج60/2).

مصنفات الشوكاني:

لقد كان الشوكاني – رحمه الله – مبرزاً في علوم شتى، وجمع فنوناً متعددة مما كان له أثر في تمكنه من التأليف والتصنيف، فصنف كتباً ورسائل وأبحاثاً فاقت المائة وأربعة عشر مصنفاً ، كما في فهرس الفهارس [1] والمئتين ما بين مؤلفات وأبحاث ورسائل كما في زهرة البساتين. [2]

وذكر الشوكاني – رحمه الله – منها في كتابه البدر الطالع نحو ستة وتسعين كتاباً ورسالة، وقال " هذا ما أمكن حضوره بالبال حال تحرير هذه الترجمة ولعل ما لم يذكر أكثر مما ذكر.[3]

ومن هذه المصنفات: [4]

- أدب الطلب ومنتهى الأرب.
- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات.
- إرشاد السائل إلى دلائل المسائل.
- إرشاد الأعيان في تصحيح ما في عقود الجمان.
- إرشاد الغبي إلى مذاهب أهل البيت في صحب النبي.
- إتحاف المهرة بالكلام على حديت " لا عدوي ولا طيرة ".
- الأبحاث الوطنية في الكلام على حديث " الدنيا رأس كل خطيئة ".
- الأبحاث البديعة في وجوب الإجابة إلى أحكام الشريعة.
- إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر.
- الإبطال لدعوى الاختلال في حل الإشكال.
- إبطال دعوة الإجماع على تحريم مطلق السماع.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.
- إطلاع أرباب الكمال على ما في رسالة الجلال في الهلال من الاختلال.
- إرشاد المستفىد إلى دفع كلام ابن دقيق العيد في الاطلاق والتقييد.
- الإعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام.

---

(1) انظر: الكتاني، فهرس الفهارس (ج1087/2).

(2) انظر:العفاني، زهرة البساتين (ج60/2).

(3) انظر: الشوكاني، البدر الطالع (ج223/2).

(4) انظر: هذه المصنفات : الشوكاني، البدر الطالع (ج219/2–223)، والبغدادي، هدية العارفن وأسماء المؤلفن وآثار المصنفن من كشف الظنون (ج365/2–367). و الكتاني، فهرس الفهارس (ج1083/2)، والزركلي، الأعلام (ج298/6)، ومعجم المؤلفن (ج11/ 53)، وهجر العلم ومعاقله فى اليمن (ج2/4،2281،2279،2278 287)، وسركس، معجم المطبوعات العربية والمعربة (ج2/ 1160 1161).

- إشراف النيرين في بيان الحكم إذا تخلف عن الوعد أحد الخصمين.
- أمنية الشوق في تحقيق حكم المنطق.
- إفادة السائل في العشر المسائل.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.
- البحث الملم المتعلق بقوله تعالى " إلا من ظلم ".
- البحث المسفر عن تحريم كل مسكر ومفتر.
- إيضاح لمعنى التوبة والإصلاح.
- إيضاح القول في إثبات العول.
- إيضاح الدلالات على أحكام الاختبارات.
- إقناع الباحث بدفع ما ظنه دليلا على جواز الوصية لوارث.
- البغية في مسألة الرؤية.
- بغية الأريب من " معنى اللبيب ".
- التحف بمذهب السلف، أجمل فيها صفات الله الواردة في القرآن والسنة على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف.
- تحفة الذاكرين بعد الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين للإمام الجري
- تنبيه الأعلام في تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام.
- تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه عن الدلائل.
- حل الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأزبال.
- در السحابة على مناقب القرابة والصحابة.
- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.
- الدرر البهية وشرحها " الدراري المضية ".
- الدواء العاجل في دفع العدد الصائل.
- ديوان شعره جمعه ورتبه ابنه أحمد وسماه " أسلاك الجوهر في نظم مجدد القرن الثالث عشر ".
- ذكريات الشوكاني.
- رفع الريبة عما يجوز ولا يجوز من الغيبة.
- زهر النسرين الفائح بفضائل العمرين (أبو بكر وعمر).
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار.

- شرح الصدور في تحريم رفع القبور.
- شفاء العلل في حكم زيادة الثمن لأجل الأجل.
- طيب النشر في جواب المسائل العشر.
- عقود الجمان في شأن حدود البلدان وما يتعلق بها من الضمان.
- الفتح الرباني في فتاوى الامام الشوكاني.
- الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.
- قطر الولي علي حديث الولي.
- القول الجلي في لبس النساء الحلي.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.
- القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد.
- القول المقبول في رد خبر المجهول من غير صحابة الرسول.
- المختصر البديع في الحلق الوسيع.
- المختصر الكافي في الجواب الشافي.
- نيل الأوطار شرح " منتقى الأخبار" لابن تيمية .
- هدية القاضي إلى نجوم الأراضي.
- الوشي المرقوم في تحريم حلية الذهب على العموم.

الفصل الأول
التوحيد في سورة الرعد ونواقضه بين تفسيرى ابن كثير والشوكانـي

تمهيــد:

الإيمان بالله عز وجل يعني التصديق الكامل بأن الله واحد لا شريك له، وأنه هو وحده الذي يستحق أن يفرد بكل أنواع العبادات ، من صلاة، وصوم، ودعاء، ورجاء، وخوف، وذل، وخضوع، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها، المنزه عن كل نقص، ويتلخص هذا في توحيد الله في ربوبيته، وألوهيته، وفى أسمائه وصفاته.

فهذه ثلاثة أنواع من التوحيد، تدخل في معنى الإيمان بالله عز وجل [1]، الذي هو أساس العقيدة الاسلامية وجوهرها، " فالتوحيد هو أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل ". [2]

فقد أكد الإمام ابن القيم – رحمه الله – التوحيد هو مفتاح باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج والتوبة للعبد للقضاء على المفاسد التي هي سبب أسقامه، فهي تغلق عنه باب الشرور، فيفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد، ويغلق باب الشرور بالتوبة والاستغفار

قال طبيب القلوب عبد الله بن المبارك [3]– رحمه الله –:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخيراً لنفسك عصيانها[4]

فالتوحيد أول ما يدخل به في الاسلام ، وأخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وأخر واجب. [5]

ولا يخفى على مسلم أن الأساس الذي قام عليه هذا الوجود هو توحيد الله سبحانه، وما خلق الله تعالى الخلق، وما أرسل الرسل إلا من أجل تقرير هذا الأمر العظيم، فقال سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 65]،

---

(1) انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج76/1–77)، ابن القيم، ومدارج السالكين من منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج33/1).

(2) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج77/1).

(3) ابن واضح، الإمام شيخ الاسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء فى وقته، أبو عبدالرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، وكانت أمه خوارزمية، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج365/7).

(4) انظر: ابن القيم، زاد المعاد فى هدي خير العباد (ج202/4–203).

(5) انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج78/1).

التوحيد لغةً واصطلاحاً:

أ. التوحيد لغةً:

قال ابن فارس[1]– رحمه الله – " وحد الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة". [2] " مادة وحد في اللغة تدور حول انفراد الشيء بذاته،أو بصفاته، أو بأفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه ". [3]

قال تعالى حكاية عن الكفار:﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: 5]،

" والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد، ذو الوحدانية والتوحد ". [4]

وكل معاني التوحيد تدل على الإنفراد والتفرد.

ب. التوحيد اصطلاحاً:

" هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاده وحدته ذاتاً، وصفاتاً، وأفعالاً " [5]

ويعرف أيضاً " معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار بالوحدانية، ونفى الأنداد عنه جملة "[6] ويعرف أيضاً " اعتقاد أن الله تعالى واحد في ذاته، وواحد في ربوبيته، واحد في صفاته، لا مثيل له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا شريك له ". [7]

---

(1) هو الإمام العلامة، اللغوي، المحدث، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج538/13).

(2) الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج90/6).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج233/15) مادة وحد.

(4) الأزهري، تهذيب اللغة (ج125/5).

(5) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية لشرح الدرة المضية فى عقد الفرقة المرضية (ج57/1).

(6) انظر: الجرجاني، التعريفات (ج69/1).

(7) ابن خلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدع (ج74/1).

المبحث الأول

توحيد الربوبية ونواقضه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الربوبية :-

أولاً: الربوبية لغة واصطلاحا :

الربوبية لغة:

" الرب، هو الله تبارك وتعالى، هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، ويقال: فلان رب هذا الشيء، أي ملكه له، ولا يقال " الرب " بالألف واللام، لغير الله، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك، وكل من ملك شيء فهو ربه ". [1]

(رب) الراء والباء يدل على أصول، الأول اصلاح الشيء والقيام عليه، الرب: المالك، والخالق، والصاحب، والرب: المصلح للشيء، والله جل ثناؤه الرب، لأنه مصلح أحوال خلقه، والربي: العارف بالرب، والأصل الآخر لزوم الشيء الإقامة عليه، والأصل الثالث ضم الشيء للشيء.[2]

جاء في الصحاح للجوهري[3] – رحمه الله- " رب كل شيء مالكه، والرب اسم من أسماء الله عز وجل، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة وقد قالوه في الجاهلية للملك ".[4]

ولفظ الرب فيه معنى التوحيد، لأن الرب سبحانه وتعالى اختص بالربوبية دون سواه، فوجب توحيده فيها، وعن ذلك قال الشوكاني – رحمه الله- في بيان ما في فاتحة الكتاب من معاني التوحيد: "... فإن لفظ الرب باعتبار معناه اللغوي مشعر أتم إشعار بإخلاص توحيده، هذا باعتبار معناه الإفرادي دون الإضافي، ثم في معناه الإضافي دلالة أخرى، فإن كونه رب العالمين يدل على ذلك أبلغ دلالة ". [5]

---

(1) الأزهري، تهذيب اللغة (ج128/15)، انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج1546/3).

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج381/2-382).

(3) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، لغوي، كان إماما فى اللغة والأدب، أشهر كتبه الصحاح، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج433/12).

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج130/1).

(5) الشوكاني، العذاب النمير فى وجوب مسائل عالم بلاد عسير (ج198/1).

ومن هنا يتبين أن للفظ الرب عدة معان إذا أضيف، أما إذا أطلق فلا يطلق إلا على الله جلّ ثناؤه، فهو المالك والخالق والرازق والمتصرف.

ويفهم من هذه التعريفات أن لفظ الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد المربي، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل هذه المعاني صحيح من حق الله تعالى، لأنه رب كل شيء ومالكه وإلهه.

الربوبية في الاصطلاح:

ويقول ابن القيم – رحمه الله –: " فهو رب كل شيء وخالقه، والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له، في قبضته، وتحت قهره ". (1)

ثانيا: توحيد الربوبية في الاصطلاح:

" وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، ومالكه، وخالقه، ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك ، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر ". (2)

أي الإيمان بأن كل محدث في الكون، صادر عن علم الله عز وجل وإرادته وقدرته.

قال ابن تيمية – رحمه الله– في معنى الربوبية " أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيء سواه، بإحداث أمر من الأمور، بل ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن " (3)

وقد أشار الله تعالى في كتابه الكريم إلى هذا المعنى في كثير من الآيات، منها قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: 2].

قال الشوكاني – رحمه الله– " أي له التصرف في السموات والأرض بالإيجاد، والاختراع، ونفود الأمر في جميع مخلوقاته، فهو أعلم بمصالح عباده، وما فيه النفع لهم من أحكامه التي تعبدهم بها، وشرعها لهم ". (4)

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج38/1).

(2) ابن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ج17/1).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج330/10).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج148/1).

ثالثا: أنواع ربوبية الله على خلقه

ربوبية الله على خلقه على نوعين:

1- **الربوبية العامة:** وهي لجميع الناس، برهم فاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، وهي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم، لما فيه مصالحهم، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[الحديد: 4].

2- **الربوبية الخاصة:** وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة [1].

دلائل توحيد الربوبية في سورة الرعد:-

لقد ذكر الله تعالى في سورة الرعد كثيراً من دلائل توحيد الربوبية، منها دلائل سماوية أو دلائل أرضية، تدل على كمال قدرة الله سبحانه وعظمته، من رفع السماء بغير عمد ولا مستند يسندها، وتسخير الشمس والقمر وتذليلهم لتهيئة مصالح العباد ومنافعهم بدون انقطاع ولا توقف، وبسط الأرض طولاً وعرضاً وتثبيتها بالجبال، وجعل فيها الرواسي والأنهار والزروع والثمار والنخيل، وكل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على كماله المطلق وقدرته التي وسعت كل شيء.

وهو سبحانه رب كل شيء ومالكه، وهو رب السموات والأرض، وكل ما سواه عبد لله منقاد وخاضع له، وهو سبحانه المتصرف في جميع شؤون خلقه فيبسط الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء، مما يدلل على حكمته وعلمه المطلق لكل شيء.

(1) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان (ج288/5).

تلك هي دلائل توحيد الربوبية في السورة وسأتحدث عن كل واحد منها بحديث خاص حتى أبين وجه دلالتها على ربوبية الخالق وأنه – سبحانه – المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

1- رفع السماء بغير عمد:

السماء في اللغة: اسم لكل ما علا وارتفع، وهي مأخوذة من السمو والعلو، يقال سما ببصره أي: علا. [1]

لقد دلت السورة الكريمة على رفع السموات بلا عمد ولا سند، وهذا من أعظم الآيات الدالة على وجوده وربوبيته – تعالى – والتعرف عليه – سبحانه– كما في قوله ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا... ﴾[الرعد: 2].

يخبر الله تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه، أنه الذي بإذنه وأمره رفع السموات بغير عمد، أي خلقها مرفوعة من البداية بمعنى أنه لم يخلقها منخفضة ثم رفعها، بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بعداً لا تنال ولا تدرك مداها، فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها، مرتفعة عليها من كل جانب على السواء كما نراها. [2] " فجعلها للأرض سقفاً ممسوكاً ". [3]

" والعمد: الأساطين جمع عماد، أي قائمات بغير عمد تعتمد عليه، وقيل: لها عمد ولكن لا نراه. قال الزجاج[4]– رحمه الله –: العمد قدرته التي يمسك بها السموات، وهي غير مرئية لنا". [5]

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله:﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ فقال بعضهم تأويل ذلك:

الله الذي رفع السموات بعمد لا ترونها.

---

(1) انظر: الجوزي، نزهة الأعين والنواظر فى علم الوجوه والنظائر (ج358/1).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج656/2)، الطبري، جامع البيان (ج4672/6).

(3) الطبري، جامع البيان (ج4672/6).

(4) هو إبراهيم بن محمد بن السري، أبو إسحاق الزجاج، البغدادي، الإمام، نحوي زمانه، كان يخرط الزجاج فنسب إليه، له تصانيف جمة، توفي سنة 311هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج222/11)، السيوطي، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة (ج411/1).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج3/ 88).

وقال آخرون: بل هي مرفوعة بغير عمد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ فهي مرفوعة بغير عمد نراها، كما قال ربنا، ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه. [1] " وقد رجح ابن كثير – رحمه الله- بأنها لا عمد لها وهذا هو اللائق بالسياق والظاهر من قوله تعالى ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ ﴾ [الحج: 65][2]

" قال ابن كثير – رحمه الله- : فعلى هذا يكون قوله " ترونها " تأكيداً لنفى ذلك، أي هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها كذلك، وهذا هو الأكمل في القدرة ". [3]

إنها أية من آيات الكون المفتوح، تنطق بالحق، الحق الذي تتكر له أكثر الناس، إنها بنيان مشيدة بلا عمد، وسقف محفوظ بلا فطور، وسمك مرفوع بلا فروج، أفلم ينظروا إلى ما فيها من زينة وجمال، وبراءة من الخلل والاضطراب. [4]

ولا شك أن خلق السموات، ورفعها، بالرغم من ضخامتها بدون أعمده تعتمد عليها، ونحن نرى ذلك بأعيننا، من أكبر الأدلة على أن لهذا الكون خالقاً قادراً حكماً منفرداً بالخلق، والتدبير، والعظمة، والسلطان، وهو وحده الذي يستحق العبادة والطاعة.

2- تسخير الشمس والقمر لتهيئة مصالح العباد ومنافعهم:

إذا تأمل الإنسان بفكر عميق، وعقل متدبر، في بعض جزيئات هذا الكون المسخر لمصالحة، والتي عليها استقرار حياته كفاه ذلك دليلاً واضحاً، وحجة بينة على أن هذا الكون مخلوق لخالق حكيم قدير، ومن جزيئات هذا العالم، تسخير الشمس والقمر المشار إليه في السورة بقوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى... ﴾ [الرعد: 2].

" أي ذللهما لما يراد منهما من منافع الخلق، ومصالح العباد " [5] ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب، ويفصلوا الليل والنهار، ويدرآن الظلمات ، ويصلحان الأرض والأبدان والأشجار والنباتات. [6]

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (ج6/ 4673/ 4674).

(2) القاسمي، محاسن التأويل (ج8/ 3639).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج656/2).

(4) انظر: عبد العزيز، منهج القرآن فى عرض قضايا الاسلام (ج123/1).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج88/3).

(6) انظر: الطبري، جامع البيان (ج4674/6).

" فالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها ". (1)

" وذكر الشمس والقمر لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة، التي هي أشرف وأعظم من الثوابت، فإذا كان قد سخر هذه، فلأن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأحرى ". (2)

" لِأَجَلٍ مُّسَمًّى" لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس، والشهر للقمر، فإن كلا منهما يجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية، أو لمدة ينتهي فيها حركاتهما ويخرج جميع ما أريد منهما من القوة إلى الفعل، أو لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما ". (3)

قال العلامة ابن القيم– رحمه الله– " ثم تأمل هذا الفلك الدوار بشمسه، وقمر، ونجومه، وبروجه، وكيف يدور على هذا العالم هذا الدوران الدائم إلى آخر الأجل على هذا الترتيب، والنظام وما في ذلك من اختلاف الليل والنهار، والفصول، والحر والبرد، وما في ضمن ذلك من مصالح ما على الأرض من أصناف الحيوان، والنبات، وهل يخفى على ذي بصيرة أن هذا إبداع المبدع الحكيم وتقدير العزيز العليم ولهذا خاطب الرسل أممهم مخاطبة من لا شك عنده في الله، وإنما دعوهم إلى عبادته وحده لا إلى الإقرار به ". (4)

فتعاقب الليل والنهار ناتج عن طلوع الشمس وغروبها، فلولا تسخيره سبحانه الشمس والقمر، والليل والنهار بصورة منظمة محكمة بلغت للنهاية في التنظيم، والإبداع لتعطل أمر العالم بأسره، فلقد ذلل الله الشمس والقمر، وسيرهما في أفلاكهما سيراً سريعاً متوازناً بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتطام، أو اصطدام بينهما، وقد عد الله ذلك من آياته، قال تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: 37-40].

(1) حسن خان، فتح البيان فى مقاصد القرآن (ج68/5).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج657/2).
(3) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج190/4-191).
(4) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ج212/1).

وهناك فوائد أخرى مترتبة على حركة الشمس والقمر أشار إليها سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: 5]،

" فالخلق بأسرهم بحاجة ماسة إلى معرفة الحساب الذي لا غناء لهم في مصالحهم عنه، فعليه تتوقف معرفة أعمارهم، والآجال المضروبة للديون، والإجارات، والمعاملات، والعدد وغير ذلك، فلولا حلول الشمس والقمر في المنازل وتنقلهما فيها منزلة بعد منزلة لم يعلم شيء من ذلك". [1]

فالحركة الدائبة للشمس والقمر قائمة على النظام والإتقان، والتقدير الإلهي الذي شمل كل مخلوقات الله تعالى، يدل ذلك على أن الكون منظم ومنسق، وانتظامه مرتبط بإرادة الله وقدرته.

كما أن استمراره على هذه الحالة منوط باختيار الله تعالى ومشيئته، قال تعالى ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [النمل: 88].

وقال تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: 2]،

وقال تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [الرعد: 49].

فليس هناك فوضى أو عبث، وإنما هو اتقان وتقدير إلهي، والنظام المتمثل في هذا الكون يدركه عقل الإنسان بسهولة ويسر ؛ لأنه لا يحتاج إلى كد ذهن أو إعمال فكر لأنه خطاب موجه من العليم بنفوس البشر جميعاً، فاقتضت الحكمة الإلهية مخاطبة الناس كافة بآيات هذا الكون الفسيح، وما فيه من عجائب المخلوقات، ولقد أحسن من قال:

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير بإثبات الصفات لربها ... فصماتها يهدي ومن هو قائل[2]

---

(1) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ج209/1).
(2) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج356/3).

إن الشمس والقمر عليهما يترتب قوام حياة البشرية، وحياة جميع المخلوقات، من حيوان ونبات ؛ لأن دلائل ربوبية الخالق ماثلة في كل ما يحيط ببني الإنسان على مختلف حواسهم، نشرها الباري بينهم لكي يقرؤوها فيعبدوه ويوحده دون سواه.

3- مد الأرض بتلك الصورة الصالحة للاستقرار عليها:

تناولت السورة الكريمة بعضاً من مظاهر قدرة الله عز وجل في العالم السفلي (الأرضي)، بعد الحديث عن بعض المظاهر في العالم العلوي (السماوي)، ومن هذه المظاهر الدالة على قدرة الله، ووحدانيته، مد الأرض وبسطها وسعتها، فجعل فيها الجبال، والأنهار، والزروع، والثمار، ومن كلٍ زوجين اثنين، كما جاء في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ﴾ [الرعد: 3].

وهذا يدل على كمال وعظمة القدرة الإلهية لهذا الكون، الكبير الواسع الممتد طولاً وعرضاً، الذي يعجز العقل البشري حتى اللحظة عن اكتشاف كل ما فيه من أسرار وعجائب، فلم يكتشف منه إلا القليل مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 85].

قال ابن كثير– رحمه الله– " وهو الذي مد الأرض " أي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض، مذللة ليتمكن الإنسان والحيوان من السير عليها والانتفاع بمنافعها، وأرساها ووتدها بجبال راسيات شامخات لتثبيتها، وأجرى فيها الأنهار، والجداول، والعيون لينتفع بها الإنسان الحيوان والنبات، وليُسقى ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والاشكال والطعوم والروائح "[1]

" أنشأها ممدودة، لا أنها كانت مجموعة في مكان فبسطها، وكونها بسيطة لا ينافي كرويتها ؛ لأن جميع الأرض جسم عظيم، والكرة إذا كانت في غاية الكبر، كان كل قطعة منها يشاهد السطح ".[2]

" والاستدلال بخلق الجبال، على عظيم القدرة، لما في خلقها من العظمة المشاهدة، بخلاف خلقه المعادن، والتراب، فهي خفية كما قال تعالى ﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ [الغاشية: 19]. ".[3]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج657/2).

(2) البروسوي، روح البيان (ج356/4).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج82/13).

" فالله – تعالى– خلق الأرض ممدودة متسعة ، للسير والزرع ؛ لأنه لو خلقها –أسنمة من حجر، أو جبالاً شاهقة متلاصقة، لما تيسر للأحياء التي عليها الانتفاع بها، والسير من مكان إلى آخر في طلب الرزق وغيره ". [1]

"ولولا سعة الأرض وفسحها، لكان أهلها كالمحصورين والمحبوسين، في أماكنهم، لا يجدون عنها انتقالاً، إذا فدحهم ما يزعجهم عنها، ويضطرهم إلى النقلة منها ". [2]

" ولما اقتضت حكمته تبارك وتعالى، أن جعل من الارض السهل، والوعر، والجبال، والرمل، لينتفع بكل ذلك في وجهه، ويحصل منه ما خلق له، وكانت الأرض بهذه المثابة، لزم من ذلك أن صارت كالأم، التي تحمل في بطنها أنواع الأولاد من كل صنف، ثم تخرج إلى الناس، والحيوان من ذلك ما أذن لها فيه ربها أن تخرجه، إما بعلمهم، وإما بدونه ". [3]

قال الرازي: " من الاستدلال بأحوال الجبال، أن بسببها تتولد الأنهار على وجه الأرض، وذلك أن الحجر جسم صلب، فإذا تصاعدت الأبخرة، من قعر الأرض، ووصلت إلى الجبل احتبست هناك، فلا تزال تتكامل، فيحصل تحت الجبل مياه عظيمة ، ثم إن لكثرتها وقوتها، تثقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض، فمنفعة الجبال في تولد الأنهار هو من هذا الوجه، ولهذا السبب ففى أكثر الأمر أينما ذكر الله الجبال قرن بها الأنهار مثل ما في هذه الآية، ومثل قوله ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾[المرسلات: 27]. [4]

" ثم تأمل الحكمة العجيبة في الجبال، الذي يحسبها الجاهل الغافل فضلة في الأرض، لا حاجة إليها، وفيها من المنافع ما لا يحصيه إلا خالقها وناصبها... فمن منافعها أن الثلج يسقط عليها، فيبقى في قللها حاصلاً لشرب الناس، إلى حين نفاذه، وجعل فيها ليذوب أولاً فأولاً، فتجئ منه السيول الغزيرة، وتسيل منه الأنهار والأودية، فينبت في المروج، والربا، ضروب النبات، والفواكه، والأودية، التي لا يكون مثلها في السهل والرمل، فلولا الجبال لسقط الثلج على وجه الأرض فانحل جملة، وساح دفعة، فعدم وقت الحاجة إليه، وكان في انحلاله جملة من السيول التي تهلك ما مرت عليه، فيضر بالناس ضرراً لا يمكن تلافيه، ولا دفعه لأذيته ". [5]

---

(1) المرجع السابق (ج82/13).

(2) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ج231/1).

(3) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ج229/1).

(4) الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير (ج5/19).

(5) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ج226/1).

"ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين" جعل الله من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا صنفين. وذهب أكثر من مفسر إلى أن التصنيف إما في اللون كالأبيض والأسود، أو في الطعم كالحلو والحامض، أو في القدر كالصغير والكبير، أو في الكيفية كالحار والبارد، وما أشبه ذلك"[(1)] ولهذا أكد الزوجين بالإثنين، لدفع توهم أنه أريد بالزوج هنا الإثنين".[(2)]

فإذا تأملنا هذه الأرض ببحرها ويابسها، بجبالها وأغوارها، بوديانها وسهولها... ظهر لنا من اتقانها ما يعرفنا بواحدانية الصانع الحكيم الذي اتقن كل شيء، فنزداد له حباً، وبدينه تمسكاً وتطبيقاً. [(3)]

فالكون هذا بكل ما فيه من عجائب، لعلامات ودلائل بينة وواضحة، تثبت قدرة الله عز وجل ووحدانيته، ووجوب الإيمان به وتوحيده، لمن يتفكر ويتدبر.

4- خلقه بقاعاً في الأرض متجاورة مع اختلافها في الطبيعة والخواص:

ومن مظاهر ربوبيته سبحانه المشتملة على آياته أنه جعل في الأرض أماكن، وبقاع، متلاصقة ومتجاورة ومتقاربة بجانب بعضاً، مختلفة في طبيعة التربة، وصلاحيتها للزرع، ونوعيته كما في قوله ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ ﴾ [الرعد: 4]، فسبحان الله الذي خلق فأبدع وأتقن وأحسن كل شيء صنعاً.

قال ابن كثير – رحمه الله– وقوله " وفى الأرض قطع متجاورات ، أي أرض يجاور بعضها بعضاً، مع أن هذه طيبة تنبت ما ينفع الناس، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئاً، ويدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه مجردة، وهذه سهلة، وهذه مرملة، وهذه سميكة، وهذه رقيقة، والكل متجاورات، فهذه بصفتها، وهذه بصفتها الأخرى، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار، لا إله إلا هو ولا رب سواه ". [(4)]

---

(1) تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1664/3).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج89/3).

(3) انظر: عبد العزيز، منهج القرآن فى عرض قضايا الاسلام (ج124/1).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج658/2).

" وذكر سبحانه الزرع بين الأعناب والنخيل ؛ لأنه يكون في الخارج كثيراً كذلك، ومثله في قوله سبحانه ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الكهف: 32].". [1]

" وعن ابن عباس – رحمه الله– قال يريد الأرض الطيبة العذبة، التي يخرج نباتها بإذن ربها، تجاورها السبخة القبيحة المالحة، التي لا يخرج منها نباتها، وهما أرض واحده، وماؤها شيء واحد، ملح أو عذب، ففضلت إحداهما على الأخرى ". [2]

قوله "في الأكل " أي في الأكل وغيره، كاللون، والرائحة، والقدر، والحلاوة، والحموضة وغير ذلك، وهذا كمثل بني آدم، منهم الصالح الهين اللين، والخبيث الغليظ الطبع، خلقوا من آدم، وفضل الله من شاء على من شاء، ولذا قال الحسن: هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم، كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها، فصارت قطعاً متجاورات، وأنزل على وجهها ماء السماء، فتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها، وكل يسقى بماء واحد، كذلك الناس خلقوا من آدم، فينزل الله عليهم من السماء تذكرة، فترق قلوب قوم وتخشع وتخضع وتلين ، وتقسو قلوب قوم فتلهو وتعبث ولا تسمع. [3]

قوله تعالى " يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل " فيه أوضح دلالة على بطلان مذهب أصحاب الطبائع ؛ لأنه لو كان حدوث ما يحدث من الثمار بطبع الأرض، والهواء،، والماء، لوجب أن يتفق ما يحدث من ذلك لاتفاق ما يوجب حدوثه، إذ كانت الطبيعة الواحدة توجب عدهم اتفاق ما يحدث منها، ولا يجوز أن توجب فعلين مختلفين متضادين، فلو كان حدوث هذه الأشياء المختلفة الألوان، والطعوم، والأراييح، والأشكال، من إيجاب الطبيعة ؛ لاستحال اختلافها وتضادها مع اتفاق الموجب لها، فثبت أن المحدث لها قادر مختار حكيم قد أحدثها على اختلافها على علم منه بها وهو الله تعالى ". [4]

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله– " وفى هذا من الدلالة على بديع صنعه، وعظيم قدرته ما لا يخفى على من له عقل، فإن القطع المتجاورة، والجنات المتلاصقة، المشتملة على أنواع

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج89/3).

(2) حسن خان، فتح البيان فى مقاصد القرآن (ج68/5–69).

(3) انظر: الصاوي، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين مذيلا بلباب النقول فى أسباب النزول (ج989/3–999).

(4) الجصاص، أحكام القرآن (ج233/3).

النبات مع كونها تسقى بماء واحد وتتفاضل فيما بينها في الأكل، فيكون بعضها في غاية الجودة، وهذا ليس بجيد، وهذا فائق في حسنه، وهذا غير فائق، مما يقطع من تفكر واعتبر ونظر العقلاء، أن السبب المقتضي لاختلافها ليس إلا قدرة الصانع الحكيم جل سلطانه ؛ لأن تأثير الاختلاف فيما يخرج منها، ويحصل من ثمراتها لا يكون في نظر العقلاء إلا لسببين: إما اختلاف المكان الذي هو المنبت، أو اختلاف الماء الذي تسقى به، فإذا كان المكان متجاوراً وقطع الأرض متلاصقة، والماء الذي تسقى به واحداً، لم يبقَ سبب للاختلاف في نظر العقل إلا تلك القدرة الباهرة، والصنع العجيب ". [1]

فهنا يسوق الشوكاني – رحمه الله– الدلائل والبراهين التي عن طريقها يتعرف الناس على خالقهم، ويستدلون بهذه المخلوقات على توحيده، وصدق وعده ووعيده.

إن في مخلوقات الله، وعجائب خلقه، لبينة وبرهان واضح وجلي، لمن يتفكر فيها ويتأمل في عظمتها، فيستدل بها على وجود الله تعالى، وقدرته، وكماله، وعلمه، وإرادته.

5– تعاقب الليل والنهار:

من آيات الله سبحانه وتعالى أيضا التي تدل على كماله، وقدرته، ورحمته بالعباد، أنه يلبس الليل النهار؛ ليتمكن الإنسان من الكد والسعي، والجد والاجتهاد في يومه ؛ لأنه لو كان غير ذلك لما تسنى له القيام بتلك الأعمال، ويلبس النهار الليل ؛ ليخلد فيه الإنسان إلى الراحة، والسكينة، والاستقرار من عناء النهار، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ﴾ [الرعد: 3]، وأيضا في قوله ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: 10–11].

والليل من نعم الله الكبرى، وآلائه العظمى، ففيه السكينة والقرار، وفيه التأمل والتدبر، فلا بد للإنسان أن يشعر بقيمته حتى يشكر الله – سبحانه – ، والليل بهذا القدر فيه السكينة والراحة والطمأنينة لبني الإنسان، والحياة تحتاج إلى فترة الليل لتتجدد.

" يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ " أي يلبسه مكانه، فيصير أسوداً مظلماً، بعدما كان أبيضاً منيراً، والمعنى أن الليل يزحف على النهار، فيغطيه تدريجياً في إحدى جهات الكرة الأرضية، في الوقت الذي يكون النهار زاحفاً على الليل، فيغطيه تدريجياً في الجهات الأخرى، واللفظ يحتمل

---

(1) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج90/3).

الحالتين معاً، وفيه دليل على كروية الأرض، فشبه إزالة نور الهدي بالظلمة بتغطية الأشياء الحسية بالأغطية التي تسترها. [1]

" فيه إسناد لمكان الشيء إليه، وفى جعل الجو مكاناً للنهار تجوز ؛ لأن الزمان لا مكان له والمكان إنما هو للضوء الذي هو لازمه، واكتفى بذكر تغشية الليل النهار مع تحقق عكسه، للعلم به منه مع أن التغشية بمعنى الستر، وهي أنسب بالليل من النهار، وعدا هذا في تضاعيف الآيات السفلية، وإن كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهراً، باعتبار ظهوره في الأرض".[2]

" جعل الله الليل سكناً ولباساً يغشى العالم، فتسكن فيه الحركات، وتأوي الحيوانات إلى بيوتها، والطير إلى أوكارها، وتستجم النفوس فيه، وتستريح من كد السعي والتعب، حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها، وسباتها، وتطلعت إلى معاشها وتصرفها، جاء فالق الإصباح سبحانه وتعالى بالنهار... فانتشر الحيوان وتصرف في معاشه، ومصالحه، وخرجت الطيور من أوكارها، فيا له من معاد ونشأة، دال على قدرة الله سبحانه على المعاد الأكبر ". [3]

وعند التأمل في مقادير الليل والنهار، نجدها في غاية المصلحة والحكمة، ونجد أن مقدار الليل والنهار لو زاد على ما قدر له أو نقص لفاتت المصلحة والفائدة من ذلك، وأن نظام الكون لو اختل قيد شعره لهلك العالم و أفني، فتعاقب النور والظلام آيات واضحة للناظرين المتفكرين، وهذا دليل على وجود الله وكمال قدرته في كل شيء.

وبذلك نرى أن الله – تعالى – قد ساق في هذه الآيات أدلة وبراهين متعددة ومتنوعة من العالم العلوي والسفلي، وكلها تدل على كمال قدرته، وجليل حكمته وعظمته، نذكرها إجمالا على النحو الآتي:

- خلقه السموات مرتفعة بغير عمد.
- تسخيره الشمس والقمر لمنافع الناس.
- خلقه الأرض بتلك الصورة الصالحة للاستقرار عليها.
- خلقه الجبال فيها لتثبيتها.
- خلقه الأنهار فيها لمنفعة الإنسان والحيوان والنبات.
- خلقه زوجين اثنين من كل نوع من أنواع الثمار.

---

(1) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج89/3)، الزين، بيان النظم فى القرآن الكريم (413).

(2) تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1665/3).

(3) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ج210/1).

- معاقبته بين الليل والنهار.
- خلقه بقاعاً في الأرض متجاورة مع اختلافها في الطبيعة والخواص.
- خلقه أنواعاً من الزروع المختلفة في ثمارها وأشكالها.
- خلقه النخيل صنواناً وغير صنوان. وجميعاً تسقى بماء واحد، ومع ذلك فضل – سبحانه – بعضها على بعض في الأكل.

وهذه الأدلة يشاهدها الناس بأبصارهم، ويحسونها بحواسهم ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: 21].

وأوجز ابن كثير– رحمه الله– هذه الدلائل قائلاً " فذكر تعالى في الأرض من الجبال، والأشجار، والثمار، والسهول، والأوكار، وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات، والحيوانات من البراري، والقفار، والبر، والبحار، ما يدل على عظمته وقدرته، وحكمته، ورحمته بخلقه ". (1)

فمن نظر بعين البصيرة استدل " بذلك على الخالق الرازق المنفرد بالألوهية، وأنه لا شريك له، ولا ضد ولا ند ". (2)

6- بسط الرزق لمن يشاء وتضييقه على من يشاء

أقام الله تعالى في هذه الآية دليلاً محسوساً وملموساً على ربوبيته، يحسه العباد بحواسهم، ويلمسونه بين ظهرانيهم، ويشاهدون ذلك بأبصارهم فيوحدوه –سبحانه– ويفردوه بالعبادة، وهذا الدليل هو أنه سبحانه هو الذي يوسع الرزق، فيبسطه على من يشاء، ويضيقه على من يشاء، فله سبحانه التصرف المطلق كيفما يشاء في جميع شؤون خلقه كما في قوله ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴾ [الرعد: 26]، فالله سبحانه هو الفعال لما يشاء، بتوسيعه الرزق على من يشاء من عباده، سواء كان صالحاً أو غير صالح، ويضيقه على من يريد من عباده، سواء كان صالحاً أو طالحاً، فرزقه سبحانه مشترك بين الخلق أجمعين.

قال ابن كثير – رحمه الله– في تفسيره الآية السابقة " يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء، ويقتر على من يشاء، لما في ذلك من الحكمة والعدل، وفرح هؤلاء الكفار

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج30/1).
(2) الشوكاني، فتح القدير (ج102/5).

بما أوتوا من الحياة الدنيا، استدراجاً لهم وإمهالاً، كما قال تعالى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: 55-56]. ، ثم بين حقر الحياة الدنيا، بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة، فقال ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [الرعد: 26]، كما قال: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[النساء: 77]. [1]

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: 185]، قال ابن كثير – رحمه الله– هذا " تصغير لشأن الدنيا، وتحقيراً لأمرها، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة ". [2]

"الفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهي، وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا والركون إليها حرام"[3] "والمراد تحريم حب الحياة، وقبحها لئلا يرد علينا شيء، وذلك مجرى على التساهل بالآخرة".[4]

شبهة والرد عليها:

أنه لما ذكر الله سبحانه عاقبة المشركين والكفار بقوله ﴿ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: 25]، كان لقائل أن يقول: قد نرى كثيراً منهم قد وفر الله له الرزق، وبسط له فيه.

والجواب عن ذلك بقوله ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ ﴾ [الرعد: 26]، أي أن الله يبسط الرزق لمن يشاء، بغض النظر عن كونه مؤمناً أو كافراً، فقد يبسط الرزق لمن كان كافرا املاءً واستدراجاً، ويقتره على من كان مؤمناً ابتلاءً وامتحاناً وزيادة في الأجر، ولا يدل البسط للكافر على الكرامة، ولا القبض والتقتير على المؤمن على الإهانة، لأن الدنيا عند الله لا تزن جناح بعوضة. [5]

فالله عز وجل هو الذي يبسط الرزق على الكفار في الدنيا، ويقبضه على أكثر المؤمنين، وأن هذا بمشيئته وإرادته، وأن هذه الدنيا كالثلج الذي يذوب، والآخرة كالدر الباقي إلى ما لا

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج673/2).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج178/2).
(3) البغوي، تفسير الخازن (ج17/4).
(4) الشوكاني، الدر النضيد (ج1793/4).
(5) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج111/3).

نهاية، فمن علم ذلك، قويت رغبته في بيع الدنيا بالآخرة، وقد دل على ذلك ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى ﴾ [النساء: 77].

المطلب الثاني: نواقض [1] توحيد الربوبية

الناقض هو ما يضاد توحيد الربوبية، وهو أن يعتقد الإنسان أن هناك متصرف وشريك مع الله – عز وجل – في أي شيء، من تدبير الكون، من إيجاد أو اعدم، أو إحياء أو إماته، أو الخلق، أو جلب خير، أو دفع شر، أو هدي الناس، أو إضلالهم. ونحو ذلك من الأعمال التي يختص بها الرب تبارك وتعالى، قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: 38].

ومن نواقض توحيد الله في ربوبيته المذكورة في السورة:

1- المساواة بين الخالق والمخلوق في الخلق

إن الإنسان إذا نظر في أمر هذا العالم وما فيه، من السير الدقيق المنظم المحكم، والتناسق البديع في سمائه وأرضه، فإنه يحصل له العلم، بأن له خالقاً عظيماً خلقه بعلمه، وقدرته، وحكمته، متفرداً بالخلق والوحدانيه، لا ند له، ولا شريك، ولا متصرف معه في ملكه، ولا سلطان في السموات والأرض لأحد سواه، وهو وحده المستحق للعبادة والتقديس؛ ولكن هؤلاء الكفار الذين استحوذ عليهم الشيطان، أبوا إلا أن يشركوا بالله ويساوونه بغيره من المخلوقين – تعالى الله عما يعملون علواً كبيراً –.

---

(1) فى اللغة " النقيض فى البناء، والحبل، والعهد، وغيره: ضد الإبرام، كالانتقاض والتناقض، والنقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، وذكر الجوهري الحبل والعهد، ونقض البناء هدمه"، الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج169/10).

الناقض فى الشرع: هو الاعتقاد والقول والفعل المكفر؛ الذي ينتفي به إيمان العبد ويزول، ويخرجه من دائرة الإسلام والإيمان إلى خطيرة الكفر والعياذ بالله. انظر: الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ج321/1).

قال جل وعلا في كتابه ﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: 16].

قال ابن كثير – رحمه الله– في تفسيره " أي أجعل هؤلاء المشركين مع الله آلهة تناظر الرب، وتماثله في الخلق، فخلقوا كخلقه " سمواتٍ وأرضاً، وشمساً وقمراً، وجبالاً وبحاراً، وجناً وإنساً " [1]، فتشابه وتماثل الخلق عليهم، والتبس عليهم الأمر، فلا يدرون أنها مخلوقه من مخلوق غيره، وهذا محض الباطل، ومجرد الوهم القاتم، الذي لا أساس له من الصحة، " وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم والتهكم بهم " [2]، فهو سبحانه لا يشابهه شيء، ولا يماثله، ولا ند له، ولا عدل له، ولا وزير له، ولا ولد له، ولا صاحبه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له، عبيد له، قال الله عنهم ﴿ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[الحج: 73]، فإذا كان الجميع عبيداً، فلم يعبد بعضهم بعضاً بلا دليل، ولا برهان، بل مجرد الرأي والاختراع والابتداع، وقد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم، تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوي الله ". [3]

" أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله، حتى يتشابه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء، فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله، فاستحقوا العبادة كما استحقها، اذ لا فرق بين خالق وخالق، ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق، فضلاً عما يقدر عليه الخالق ". [4]

" بل الكفار يعلمون بالضرورة، أن هذه الأصنام لم يصدر عنها فعل ولا خلق، ولا أثر أصلاً، وإذا كان كذلك، فجعلهم إياها شركاء لله في الألوهية محض جهل وعناد ". [5]

" وذلك من تمام الاحتجاج عليهم، والتهكم بهم كما جاء في قول الحق ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحقاف: 4]، وكقوله ﴿فَأَرُونِي مَاذَا

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج87/5).

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج13/5).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج668/2).

(4) انظر: القاسمي، محاسن التأويل (ج3666/8)، الزحيلي، التفسير المنير (ج150/7).

(5) الصاوي، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (ج998/3).

خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: 11]، فهذا إقرار بتوحيد الخالقيه و الرازقيه ونحوهما، لا أنه اقرار بتوحيد الألوهية، ذكره الشوكاني عن السيد محمد بن إسماعيل الأمير– رحمها الله–. (1)

وهو الواحد أي المتفرد بالربوبية، بالإيجاد والعدم، المتوحد بالألوهية، " القهار" لما عداه، فكل ما عداه مربوب، مقهور، مغلوب، وحتى الآلهة مقهورة مذلولة له، فكيف يتوهم أن يكونوا له أولياء وشركاء. (2)

" وقوله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص؛ لأن الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق ". (3)

والخلاصة أن حالهم ليست حال من يعتقد أن الله – تعالى– خالق الوجود وحده سبحانه ؛ لأنهم يشركون ؛ بل يفردون الأوثان بالعبادة.

فهؤلاء أجهل الجهلة، الذين يساوون بين الخالق لكل شيء، وبين من لا يملك شيئاً، فإنهم كمن يساوي بين المتضادات، فتبين بالدليل العقلي أن ما يُدعى من دون الله، ليس له شيء من خلق المخلوقات، وبذلك كانت عبادته باطلة. (4)

فالله . عز وجل . رب السموات والأرض، ورب كل شيء، رباً واحداً أحداً ، لا شريك له في ملكه، ولا منازع له في سلطانه، ولا شبيه له من خلقه، ولا مثيل له، لا يساويه ولا يدانيه شيء، وجميع الخلق مفتقر إليه، وهو تعالى خالق كل شيء ومدبر كل أمر، الواحد القهار.

2– الاعتقاد أن المخلوق يمكن أن ينفع أو يضر

ومن لوازم توحيد الربوبية، أن الله – تعالى – لو أراد لك شيئاً، لو اجتمع أهل الأرض كلهم، أن يمنعوه عنك لن يستطيعوا، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " واعلم أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف ". (5)

---

(1) انظر: الشوكاني، الدر النضيد (ج366/1).

(2) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج102/3).

(3) البغوي، تفسير الخازن (ج12/4).

(4) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان (ص370)

(5) [الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (667/4، ح 2516)] هذا حديث حسن صحيح ، وحكم عليه الألباني بأنه صحيح.

وهذا هو حقيقة التوحيد، أن يكون العبد معتمداً على الله، ومتوكلاً عليه، ويعتقد أن الناس مجرد أسباب، والأسباب إن شاء الله نفعت، وإن شاء لم تنفع، فلا يجعل الحمد والذم للناس. [1]

فبعد أن بين الله تعالى أن كل من في السموات والأرض ساجد له، خاضع لقدرته وعظمته، عاد إلى الرد على عبدة الأصنام، لإثبات الوحدانية، وحدانية الألوهية، ووحدانية الربوبية، حتى لا يجدوا مناصاً من الاعتراف بها ". [2]

قال تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ [الرعد:16].

قال ابن كثير – رحمه الله– في تفسيره " يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك، ليرشد إلى أنه الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، ولهذا قال لرسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يقول للمشركين العابدين معه غيره، المعترفن له بالربوبية، وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئاً، ولا يملكون شيئا، ولا يستبدون بشيء؛ بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى ". [3]

ففى سورة الرعد يقرر الله – تعالى – أنه الذي خلق السموات والأرض، وهو ربها ومدبرها ، قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: 61] " والحافظ لهما، المسير لما فيهما " [4] " قُلِ ٱللَّهُ" فكأنه حكى جوابهم، وما يعتقدونه ؛ لأنهم ربما تلعثموا في الجواب حذراً مما يلزمهم " [5] " إلزاماً لهم وتبكيتهم " [6]، وهم مع هذا قد اتخذوا أولياء عاجزين يعبدونهم، وأولئك الآلهة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعاً ولا ضراً " فليس عندهم مالكية للنفع والضر " وهذا تجهيل لهم،

---

(1) انظر: الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (ج58/2).
(2) الزحيلي، التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج (ج151/7).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج488/5).
(4) المنتخب فى تفسير القرآن (ج412/1).
(5) الشوكاني، فتح القدير (ج102/3)، حسن خان، فتح البيان فى مقاصد القرآن (ج86/5).
(6) القاسمي، محاسن التأويل (ج3665/8).

وشهادة على غباوتهم وضلالتهم " [1] " لأن اتخاذهم آلهة، منكر بعيد عن مقتضى العقل " [2] فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله، ومن عبد الله وحده لا شريك له، فهو على نور من ربه ؟ [3]

" بعد أن علمتم أنه تعالى هو رب السموات والأرض، تتخذون من دونه أولياء وتتركونه ؟ فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبباً للتوحيد من علمكم، وإقراركم سبباً للإشراك " [4] " فكيف آثرتموهم على الخالق، الرازق، المثيب، المعاقب ؟ " [5]

" والمقصود بها تنبيه السامعين للنظر في تلك الصفة، فإنهم إن أحسنوا التفكير في هؤلاء الأولياء ، أيقنوا أنهم أحقر من أن يلتفت إليهم، فضلاً عن أن يطلبوا منهم شيئاً " [6] " وهذه غاية العجز " [7]

فهذه الآلهة التي اتخذها المشركون أولياء، يعبدونها من دون الله، تتصف بالعجز المطلق والضعف، وعدم القدرة، وعدم الإرادة، ولا تملك لهم حياة ولا موتاً ولا نشوراً، و لا تملك مثقال ذرة في هذا الكون، و لا تملك ضراً أو نفعاً لمن طلب منها العون.

قوله ﴿نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ﴾ قدم نفى النفع على نفى الضر ؛ لأن السياق لطلبهم منهم، والانسان إنما يطلب ما ينفعه. [8]

فمع إقرار المشركين العرب، بأصل الربوبية لله عز وجل، من الخلق والملك والرزق وغيرها، فإنهم كانوا يشركون في بعض صفات الربوبية كاعتقادهم أن النفع والضر في أصنامهم، وهذا من الشرك والعياذ بالله.

" وكيف يتساوى، الأعمى الذي لا يبصر شيئاً، والبصير الذي يدرك الحق، ويهدي الأعمى إليه، وهل يعقل أن تتساوي الظلمات الدامسة، والنور الأبلج الواضح، وما مثل الكافر إلا كالأعمى،

---

(1) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان (ج253/2).

(2) البيضاوي، تفسير البيضاوي المسمي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج504/1).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج668/2).

(4) الأندلسي، البحر المحيط (ج370/5).

(5) حوى، الأساس فى التفسير (ج2736/5)، النسفى، تفسير النسفى (ج305/1)، الكشاف للزمخشري (ج355/2).

(6) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (ج46/11).

(7) الأندلسي، المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز (ج306/3).

(8) انظر: البقاعي، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (139/4).

والكفر كالظلمات، وأما مثل المؤمن فهو كالبصير المدرك، والإيمان كالنور المبين الذي يضيء الآفاق ودروب الحياة ". [1]

" فكما لا تستوي الظلمات والنور، كذلك لا يستوي الشرك والإنكار، والتوحيد والمعرفة، وعبر عن الشرك بصيغة الجمع ؛ لأنه أنواع، شرك النصارى، وشرك اليهود، وشرك عبادة الأوثان، وشرك المجوس، وغيرها بخلاف التوحيد ". [2]

" فالأعمى من يرى غير الله مالكاً، ومتصرفاً في الوجود، والبصير من لا يرى مالكاً، ولا متصرفاً في الوجود غير الله ". [3]

" عبر عن الكفر بالظلمات ؛ لأنه موصل لدار الظلمات وهي النار، وسُمي الإيمان بالنور ؛ لأنه موصل لدار النور وهي الجنة ". [4]

" اذا تقرر هذا، فلا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات، أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه، إما استقلالاً أو مع الله – تعالى –، أو ناداه، أو توجه إليه، أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق، فلم يخلص التوحيد لله ولا أفرده بالعبادة ". [5]

" وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله إليهم خاتم رسله لم يكن إلا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم إلى الله، وتشفع لهم عنده، مع اعترافهم بأن الله – سبحانه وتعالى– هو خالقها وخالقهم، ورازقها ورازقهم، ومحييها ومحييهم، ومميتها ومميتهم ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾" [البقرة: 22] [6]

فمن كمال التوحيد أن تعلم أن النفع والضر كله بيد الله، فإن كان شيء منه في يد مخلوق من المخلوقين، فإنما صار في يده بإذن الله، ولو شاء لسلبه إياه، فلا يملك النفع والضر على الحقيقة إلا الله وحده، لا يمكن لأحد من المخلوقين، أن يملك شيئًا من ذلك على سبيل الانفراد، وبالتالي يتحرر العبد من رق المخلوقين، والتعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم، والعمل لأجلهم، ويتعبد الله،لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، مما يؤدي إلى فلاحه ونجاحه في الدارين.

---

(1) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1156/2).

(2) البروسوي، روح البيان فى تفسير القرآن (ج378/4).

(3) المرجع السابق (ج377/4).

(4) الصاوي، حاشية الصاوي (ج998/3).

(5) الشوكاني، الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد ضمن رسائله (ج339/1).

(6) الشوكاني، الدر النضيد (ج338/1).

المبحث الثاني

توحيد الألوهية ونواقضه

اعتنى الشوكاني رحمه الله بهذا النوع من التوحيد عناية بالغة، وأولاه اهتماماً كبيراً، ويكفي ما يدل على اهتمامه وعنايته به، أنه ألف عدة رسائل [1]، يبين فيها معنى التوحيد، وما يناقضه من الشركيات، أسبابها وفتنها، وأنه ما مر بأية من الآيات التي تتحدث عن التوحيد، أو ما يناقضه من الشرك، إلا وهو يبين معناها بياناً تفصيلياً ويوضحها توضيح كافي وشافي.

وفيه مطلبان:-

المطلب الأول: توحيد الألوهية :-

أولا: الألوهية لغة واصطلاحاً :-

أ. الألوهية لغة:

" الهمزة، واللام، والهاء، أصل واحد وهو التعبد، فالإله الله تعالى، وسُمي بذلك ؛ لأنه معبود، ويقال تأله الرجل: إذا تعبد ". [2]

وفى لسان العرب " الإله: الله عز وجل، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه ، والجمع آلهة، والآلهة: الأصنام ؛ سُموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، وأسماؤهم تتبع اعتقادهم لا ما عليه الشيء في نفسه ". [3]

ب.الألوهية اصطلاحاً:

معنى " الإله: وهو المعبود، هذا تفسير هذه اللفظة المباركة بإجماع أهل العلم، سلفاً وخلفاً، وكل من عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً من دون الله ". [4]

---

(1) منها: الدرر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد، وشرح الصدور فى تحريم القبور، ورسائله التي تتعلق بوجوب توحيد الله عز وجل، والعذاب النمير فى جواب عالم بلاد عسير، وغير ذلك.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج127/1).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج188/1)، الرازي، مختار الصحاح (ج20/1).

(4) حسن، الدين الخالص (ج190/1).

ثانيا: توحيد الألوهية:

" هو إفراد الله – تعالى – بجميع أنواع العبادة " [1] " وهو الاعتقاد الجازم بأن الله – سبحانه – هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده – سبحانه – بالعبادة " [2] ، وقد عرفها ابن كثير " بأنها كمال الحب مع الخضوع والخوف ". [3]

يتبين من هذه التعريفات أن توحيد الألوهية هو إفراد الله – تعالى – بجميع أنواع العبادة الظاهرة، والباطنة، والقيام بشرائع الإسلام كالصلاة، والصوم، والزكاة، والجهاد، والحج، والقيام بحقوق الله، وحقوق العباد، والقيام بأصول الإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

وهذا النوع من التوحيد مبني على إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه، فلا يُدعى من دونه أحد من خلقه، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فمن صرف شيئاً منها لغير الله، فهو كافر مشرك. قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: 162].

قال الامام ابن تيمية – رحمه الله– " وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ". [4]

ثالثاً: العبادة لغة واصطلاحاً:

أ. العبادة لغة:

" الطاعة مع الخضوع، ويقال طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء ". [5]

---

(1) الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ج20/1).

(2) ياسين، الإيمان (ص11).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج120/1).

(4) الحنبلي، الحسنة والسيئة (ج128/1).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة (ج138/2)، ابن منظور، لسان العرب (ج273/3).

قال الشوكاني – رحمه الله– في فتح القدير العبادة في اللغة " الذل، والخضوع، والانقياد، وكل مخلوق من الإنس والجن خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته، منقاد لما قدر عليه، خلقهم على ما أراد، ورزقهم كما قضى، لا يملك أحد منهم لنفسه نفعاً وضراً ". [1]

ب.العبادة اصطلاحاً:

وقد عرفها ابن كثير " بأنها كمال الحب مع الخضوع والخوف ". [2]

" العبادة فعل اختياري مناف للشهوات البدنية، تصدر عن نية، ويراد بها التقرب إلى الله تعالى، طاعة للشريعة ". [3]

قال الشوكاني " وعبادة الله: اثبات توحيده، وتصديق رسله، والعمل بما أنزل في كتبه ". [4]

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في تعريفة لمعنى العبادة:

" العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة ، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار، واليتيم ، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والذكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله ". [5]

من خلال هذا التعريف لمعنى العبادة، يتبين أن العبادة لا بد لها من أمران:

الأمر الأول: أن يلتزم العبد بما أمر الله به، ودعت إليه رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

الأمر الثاني: أن يكون هذا الالتزام صادراً عن قلب ممتلئ بمحبة الله سبحانه – إذ ليس في هذا الوجود من يستحق المحبة الكاملة إلا الله. [6]

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج110/5).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج120/1).

(3) الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (ج85/1).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج126/1).

(5) ابن تيمية، العبودية (ج43/1).

(6) انظر: المرجع السابق (ج49/1).

فلا بد في عبادة الله أن يجتمع الأمران، فلا يكفي أحدهما في عبادته، بل يجب على الإنسان، أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة، والذل التام إلا الله، وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم بغير أمر الله، فتعظيمه باطل.

رابعا: العبادات الواردة في سورة الرعد :-

إذا كان توحيد الألوهية يقوم على صرف جميع العبادات لله، والإخلاص له فيها، بغير أي شائبة توجه بشيء منها إلى غيره أصلاً، فلا بد اذاً من معرفة أنواع العبادات التي تعبدنا الله – عز وجل – بها في الأمور القلبية، والأقوال، والأعمال، التي يحبها ويرضاها، والتي أمرنا أن نتقرب إليه بها، **ومن هذه العبادات الواردة في السورة:**

1- عبودية الخوف:

أ. الخوف في اللغة: الفزع:

كما جاء في القاموس " خاف يخاف خوفاً ومخافة وخيفة بالكسر... فزع " [1]، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ ﴾ [البقرة: 155].

وجاء في اللسان " الخوف: الفزع خافه يخافه خوفاً وخيفه ومخافة ". [2]

ب.الخوف في الشرع:

عرفه الجرجاني بأنه " توقع حلول مكروه، أو فوت محبوب ". [3]

وعرفه الغزالى[4] بأنه " تألم القلب واحتراقه ؛ بسبب توقع مكروه في الاستقبال " [5]

وقد عرفه ابن القيم بأنه " الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر " [6] يعني الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد.

---

(1) الرازي، مختار الصحاح (ج196/1)، الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ج805/1).

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج1290/2).

(3) الجرجاني، التعريفات (ج101/1).

(4) هو الشيخ، الإمام البحر، حجة الاسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين، أبو حامد، محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج267/14).

(5) الغزالي، إحياء علوم الدين (ج155/4).

(6) ابن القيم، مدارج السالكين (ج511/1).

وعرفه الشوكاني بقوله " الانزعاج من المضار التي لا يؤمن وقوعها ". [1]

والمقصود هنا من الخوف " أن الإنسان لا يخاف خوف السر إلا من الله – سبحانه –، ومعنى خوف السر: هو أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه، بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله ". [2]

فالضار والنافع إنما هو الله – تعالى – فقط؛ لأنه هو الذي يملك ذلك، أما غيره فليس له من ذلك شيء، بل إن هؤلاء لا يستطيعون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فكيف عن غيرهم ؟ فالله هو الذي يستحق أن نفرده بجميع أنواع العبادات والتي من ضمنها عبادة الخوف، التي هي من أجلّ وأعظم العبادات.

فمن خلال هذه التعريفات تبين أن الخوف من الله تعالى من تمام الاعتراف بملكه، وسلطانه، ونفاذ مشيئته في خلقه، واعتراف بالعبودية والانقياد والتسليم المطلق له، وأن إغفال ذلك، إغفال للعبودية لله تعالى، فالله – سبحانه – قد مدح المؤمنين الذين يتصفون بالخوف والخشية لربهم وأثنى عليهم، في كثير من الآيات في كتابه العزيز كما في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: 21]، وقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء: 49]، وقوله ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 39].

قوله ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ فيما يأتون وما يذرون من الأعمال، ويراقبون الله في ذلك، " خشية تحملهم على فعل ما وجب، واجتناب مالا يحل " [3] ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة " ومن حق هذه الخيفة أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا " [4] "وأن يزنوا أعمالهم قبل أن توزن عليهم " [5]، فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم، وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية. [6]

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج2/213).
(2) عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ج1/23).
(3) الشوكاني، فتح القدير (ج3/108).
(4) المرجع السابق، ص108.
(5) حوى، الأساس فى التفسير (ج5/2740).
(6) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج2/671).

وهذه الخشية نوعان:

أحدهما: أن يكون خائفاً أن يقع زيادة أو نقصان أو خلل في عباداته وطاعته، بحيث يوجب إفساد العبادة، أو يوجب نقصان ثوابها.

ثانيها: وهو خوف ومهابة الجلال، وذلك لأن العبد إذا حضر عند السلطان المهيب القاهر، فإنه لا يزول عن قلبه مهابة الجلالة والرفعة والعظمة [1] " وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ". [2]

قال ابن كثير – رحمه الله– " الخشية خلاصة الإيمان والعلم كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [فاطر: 28] " [3]

" إن أفضل الخشية، أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته، وتحملك على طاعته، فتلك هي الخشية النافعة ". [4]

" والخوف من أجلّ المنازل، وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل أحد " [5]

﴿ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ أي يخافون الحساب السيء المؤدي لدخول النار، " الاستقصاء فيه والمناقشة للعبد " [6]، " ومحاسبة النفس على كل كبيرة وصغيرة، ومن خاف الحساب أقبل على الطاعة، وتجنب المعصية " [7]، " فهم لرهبتهم جادون في طاعة الله، محافظون على حدوده ". [8]

فيجب على كل مسلم أن يخاف الله – عز وجل – ويخشاه ويتقه، في السر والعلانية، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وعدم التفريط في جنب الله، والقيام بالأعمال الصالحة التي ترضيه، والتزود بالتقوى والعمل الصالح الذي ينفعهم يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا

---

(1) انظر الرازي، مفاتيح الغيب (ج43/19).
(2) البغوي، تفسير الخازن (ج15/4).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج165/1).
(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج117/9).
(5) البروسوي، روح البيان فى تفسير القرآن (ج385/4).
(6) حسن خان، فتح البيان فى تفسير القرآن (ج93/5).
(7) الزحيلي، التفسير المنير (ج167/7).
(8) الصابوني، صفوة التفاسير (ج81/2).

من آتى الله بقلب سليم ؛ لأنه من خشي الله تعالى يتذكره في كل عمل يعمله في نفسه، أو في أهله، أو مع الناس، فمن كان بالله أعلم كان منه أخوف وأخشى.

الفرق بين الخوف والخشية:

1- " الخشية أعلى من الخوف وأشد منه ". [1]

2- " أن الخشية تكون من عظم المخشي، والخوف يكون من ضعف الخائف، وإن لم يكون المخوف عظيماً، لذلك يخاف الصبي من فتى أكبر منه قليلاً " [2]

وقال الراغب الأصفهاني [3] " الخشية خوف يشوبه تعظيم، ويتوصل إليها بالعلم، لذلك خص بها العلماء في الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]".[4]

والخشية لا تكون إلا بعد معرفة الله تعالى، وجعل الخشية غاية الهداية ؛ لأنها ملاك الأمر، ومن خشي الله تعالى أتي منه كل خير، ومن أمن اجترأ على كل شر [5] ومنه قول أبي هريرة – رضي الله عنه –: " من خاف أدلج [6]، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة " .[7]

وقيل الخوف بعد استشعار المكروه، وينتج عنه ترك المكروه، تقول: خفت زيداً كما قال تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[النحل: 50]، والخشية تتعلق بمنزلة المكروه [8]، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – إني" لأخشاكم لله واتقاكم له ". [9]

---

(1) عباس، إعجاز القرآن الكريم (ص173)، انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج184/2).

(2) ابن عثيمين، شرح حلية طالب العلم (ج17/1).

(3) هو العلامة الماهر المحقق الباهر، أبو القاسم، الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج341/13).

(4) تأليف عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد، نضرة النعيم فى مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (ج1838/5)، الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج87/1).

(5) الألوسي، روح المعاني (ج145/7).

(6) أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل، بالتشديد إذا سار من آخره، انظر: الجزري، النهاية فى غريب الحديث والأثر (ج307/2).

(7) [الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، (633/4، ح 2450)]حكم عليه الألباني بأنه صحيح.

(8) انظر: العسكري، الفروق اللغوية (ج241/1).

(9) [البخاري، صحيح البخاري، (1949/5، ح 4776)].

يتضح مما سبق أن الخشية أعظم من الخوف، فالخشية هي استشعار ؛ بسبب الشعور بعظمة الخالق، ورهبته، وجلالته، وهذا يؤيد قوله تعالى ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: 21]، حيث ذكر الخشية من جانبه – سبحانه – والخوف من سوء الحساب، والخوف بسبب الوقوف على النقصان، بسبب القصور عن أداء حق العبودية، أو التقصير بالطاعة، وهذا يحصل لأكثر الخلق.

الرعد والبرق من مظاهر قدرة الله عز وجل وألوهيته:

من مظاهر القدرة الإلهية المنبثة في هذا الكون، حدوث ظاهرة البرق والرعد، فهذه الظاهرة دليل عجيب على قدرته، ودليل عظيم على وحدانيته وألوهيته، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [الرعد: 12]، وهذا دليل واضح على تفرده بالوحدانية ، بحث لو كان هناك إله مع الله لفسدت السموات والأرض وكل ما فيهما، وبالتإلى هو سبحانه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ؛ لأنه القادر على كل شيء، والمتصرف بهذا الكون كيفما شاء.

فلما خوف الله تعالى العباد بقوله ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: 11]، أتبعه بذكر ما يشتمل على أمور دالة على قدرة الله وحكمته، تشبه النعم والإحسان من وجه، والنقم والعذاب من وجه. (1)

المراد بالخوف هو الحاصل من الصواعق، وبالطمع هو الحاصل من المطر ، وقال الزجاج (2) " الخوف للمسافر لما يتأذى به من المطر، والطمع للحاضر ؛ لأنه إذا رأي البرق طمع في المطر، الذي هو سبب الخصب ". (3)

" يخاف من الصواعق والهدم، وأنواع الضرر للثمار ونحوها، ويطمع في خيره ونفعه ". (4)

" فمن مظاهر حكمة الله – تعالى – في خلقه، أنه جعل البرق علامة إنذار وتبشير معاً ؛ لأنه بالإنذار والتبشير يقود النفوس إلى الحق، وتفيء إلى الرشد ". (5)

---

(1) انظر: الأندلسي، البحر المحيط (ج316/5)، البغوي، تفسير الخازن (ج8/4).

(2) تمت ترجمته سابقاًصفحة(49).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج99/3).

(4) السعدي، تيسير الكريم المنان (369).

(5) الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج36/11).

" وجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر، لما أن المخوف عليه النفس أو الرزق العتيد، والمطموع فيه الزرق المترقب ". [1]

﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ أي ويخلقها منشأة جديدة، ويؤلف بينها، ويجعلها ركاماً حتى تثقل بالماء، وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة إلى الأرض، فيصيب بها من يشاء، ويصرفه عمن يشاء. [2]

فينبغي للإنسان أن يكون دائماً خائفاً راجياً ؛ لأن الله تعالى قد يأتي بالخير فيما ظاهره شر، ويأتي بالشر فيما ظاهره خير، مصداقاً لقوله ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

2- عبودية التسبيح:

أ. التسبيح في اللغة

يطلق التسبيح في اللغة على معنيين:

الأول: التنزيه والتبرئة من السوء. تقول: سبحت الله تسبيحاً، أي نزهته تنزيهاً، وبرأته تبرئة من كل سوء. [3]

الثاني: قول (سبحان الله). يقال: سبح الرجل تسبيحاً أي قال: سبحان الله. [4]

قال الشوكاني – رحمه الله– " مصدر سبح، يقال سبح، يسبح، تسبيحاً، وسبحاناً، ومعناه التنزيه، والبراءة لله من كل نقص ". [5]

ولا اختلاف في الحقيقة بين المعنيين، فإن هذا المعنى الثاني آيل إلى المعنى الأول ؛

لأن أهل اللغة متفقون على أن قول القائل: (سبحان الله) معناه: تنزيه الله وبراءة الله من السوء.

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج9/5).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج664/2)، تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1671/3).

(3) انظر: الفراهيدي، كتاب العين (ج151/3)، الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج75/4)، الرازي، مختار الصحاح (ج326/1).

(4) انظر: الفيومي، المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير (ج262/1)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ج1013/1)، مصطفى؛ والزيات وآخرون، المعجم الوسيط (ج412/1).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج245/3).

قال المبرد – رحمه الله– [1] " فأما قولهم: سبحان الله فتأويله: تنزيه الله عن السوء ". [2]

وقال نفطويه – رحمه الله– [3] " وقول القائل: سبحان الله فتأويله، أي برأته من هذا براءة، ونزهته تنزيها ". [4]

ب. التسبيح في الشرع

ورد عن النبي " صلى الله عليه وسلم " بيان معنى التسبيح، كما في حديث طلحة بن عبيد الله[5] – رضي الله عنه – قال: " سألت رسول الله عن تفسير (سبحان الله) ؟ فقال: " هو تنزيه الله تبارك وتعالى عن السوء ". [6]

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله– " والأمر بتسبيحه يقتضي أيضاً تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له. فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم ، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده ". [7]

فالتسبيح يتضمن تنزيه ذاته – عز وجل– من كل نقص وعيب، وعن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته، وأسمائه وصفاته وأفعاله.

---

(1) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس المبرد البصري، إمام العربية ببغداد فى زمانه، كان علامة أخبارياً صاحب نوادر وطرافة، وله تصانيف كثيرة، توفي سنة 285هـ وقيل بعدها، انظر: سير أعلام النبلاء (ج546/10)، السيوطي، بغية الوعاة (ج269/1).

(2) المبرد، المقتضب (ج217/3).

(3) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان العتكي الأزدي، أبو عبدالله الواسطي، المشهور بنفطويه، الإمام العلامة النحوي الاخباري صاحب التصانيف، سكن بغداد وكان متضلعا من العلوم، ذا سنة ومروءة وحسن خلق، توفي سنة 323هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج386/11).

(4) ابن نفطوية، مجموعة أجزاء حديثية، مسألة سبحان، (ج380/1).

(5) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي التيمي، أبو محمد المدني، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الاسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ ، استشهد يوم الجمل، سنة 36هـ. انظر: ابن حجر، الإصابة فى معرفة الصحابة (ج417/5)، الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج18/3).

(6) [أخرجه البزار فى مسنده (المعروف باسم البحر الزخار)، (164/3، ح 950)]، و[النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (680/1، ح 1900)]، و[الطبراني، فى الدعاء، (499/1، ح 1757)]، [والبيهقي، الأسماء والصفات، (105/1، ح 59)] قال الحاكم صحيح الإسناد.

(7) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج125/16).

من هنا يتبين أن المعنى اللغوي للتسبيح، موافق للمعنى الشرعي، وبذلك يكون تفسير التسبيح بأنه " تنزيه الله تعالى عن السوء " مجمعاً عليه لغةً وشرعاً.

من المعلوم أن جميع الكائنات في هذا الكون تسبح الله عز وجل، وتحمده، بالكيفية التي لا يعلمها إلا الله تعالى، فهي خاضعة لأوامره، ضارعة له، مداومة على ذكره وشكره، اعترافاً لجلاله بالألوهية، والربوبية، والوحدانية، وبأنه الخالق لهذا الكون ومليكة، والمتفرد فيه بالسلطان، والمبدع له بعلمه، وحكمته، وقدرته، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا ﴾ [الإسراء: 44]

فمن مظاهر دلالة هذه السورة على قدرة الله، وعظمته، وحكمته، تسبيح الرعد والملائكة بحمد ربهم، فالرعد أية من آيات الله، وجند من جنوده، وطريقة تسبيحه لا يعلمها إلا خالقه، وظاهرة الرعد فيها كثير من الرحمة، وأيضاً فيها العديد من صور العقاب والعذاب إن تحولت إلى صواعق مهلكة، حيث جاء في الأثر عن الصحابي الجليل عبدالله بن الزبير [1] – رضي الله عنه – إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال " سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته " ثم يقول " إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض ". [2]

وهذا الأثر وإن كان موقوفاً على صحابي إلا أن الظاهر، أن هذا الصحابي كان يقول ذلك عن توقيف من الشرع.

قال تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد: 13].

(1) هو أمير المؤمنين، ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة، أحد الأعلام، ولد الحواري أبي عبدالله، ابن عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحواريه، كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة، وله صحبة، ورواية أحاديث، توفي سنة 370هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج397/4)، القرطبي، الاستيعاب فى معرف الأصحاب (ج905/3).

(2) [البخاري، صحيح البخاري، باب اذا سمع الرعد، (381/1، ح 723)]، وعلق عليه الألباني صحيح، وابن أبي شيبه فى مصنفه، (112/15، ح 29824)]، وصححه أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي فى كتاب الأذكار/ باب إذا سمع الرعد، (181/1، ح 523)]، وصححه الالباني، فى كتاب الكلم الطيب/ فصل فى الرعد، لا بن تيميه، (135/1، ح 157)].

" ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي يسبح الرعد نفسه بحمد الله، أي متلبساً بحمده، وليس هذا بمستبعد ولا مانع من أن ينطقه الله بذلك " [1] " فأصواته شاهدة بعظمة الله وقدرته " [2] " فيثني عليه بصفاته، وينزهه مما أضاف إليه أهل الشرك به، ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد، تعالى ربنا وتقدس" [3] " ويعلن بلسان الحال خضوعه لله، وانقياده لقدرته وحكمته ". [4]

اتجاهات المفسرين في تسبيح الرعد:

1- أنه يفسر الرعد بمن يسمعه، فالتسبيح ليس تسبيح الرعد، ولكن تسبيح من يسمعه ؛ لأنه يكون خائفاً فزعاً، كما يكون الفزع من كل صوت مزعج.

2- أن الرعد ذاته يكون في حال تسبيح الله تعالى وحده ؛ لأن هذا الصوت المزعج الرهيب المفزع يكون خاضعاً لله تعالى، دالاً على توحيده، وعلى كمال سلطانه، فكل شيء يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم. [5]

وإني أميل إلى الرأي الثاني ؛ لأنه يتفق مع النسق القرآني، إذ أن النسق القرآني يبين خضوع الكون ومظاهره لله، مسبحاً بحمده، وهي تدل على الباعث على هذا التسبيح، وهو حمده على نعمة إيجاده، وكمال خضوعه.

" وتسبيح الرعد حقيقة دل عليها القرآن، فنؤمن بها، وإن لم نفهم تلك الاصوات، فهو تعالى لا يخبر إلا بما هو حق ". [6]

" فإن الرعد "بصوته الهادر المخيف " [7] يسبح الله سبحانه ؛ لأن التسبيح والتقديس وما يجري مجراهما ليس إلا وجود لفظ يدل على حصول التنزيه والتقديس لله سبحانه وتعالى، فلما كان حدوث هذا الصوت دليلاً على وجود موجود متعالٍ عن النقص والإمكان، كان ذلك في الحقيقة تسبيحاً ". [8]

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج99/3).
(2) الأشقر، زبدة التفاسير بهامش مصحف المدينة النبوية (ص250).
(3) الطبري، جامع البيان (ج4709/6).
(4) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1153/2).
(5) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3914/7).
(6) الصابوني، صفوة التفاسير (ج76/2).
(7) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1153/2).
(8) الرازي، مفاتيح الغيب (ج27/19).

" وذلك لأنه إذا سبح الرعد، وتسبيحه ما يسمع من صوته، لم يبقَ ملك إلا رفع صوته بالتسبيح، فينزل القطر، والملائكة خائفون من الله، وليس خوفهم كخوف ابن آدم، فإنه لا يعرف أحدهم من على يمينه، ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء أصلاً ". (1)

فهذا الشيء المسمى بالرعد ملك أو ليس بملك فيه قولان:

أحدهما: أنه ليس بملك ؛ لأنه عطف عليه الملائكة، والمعطوف عليه مغاير للمعطوف.

والثاني: وهو أنه لا يبعد أن يكون من جنس الملائكة، وإنما أفرده بالذكر على سبيل التشريف، كما في قوله ﴿ لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة: 89].(2)

وأنا أميل إلى الرأي الثاني؛ لأنه يؤيد حديث ابن عباس رضي الله عنه: أن اليهود سألت النبي عن الرعد ما هو ؟ فقال " ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق (3) من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله " قالوا: فما الصوت الذي نسمع ؟ قال زجرة السحاب إذا زجره بالسحاب حتى ينتهي إلى حيث أمر " قالوا صدقت. (4)

" والذي نراه أن تسبيح الرعد بحمد الله يجب الإيمان به، سواء أكان الرعد اسماً لذلك الصوت المخصوص، أم اسماً لملك من الملائكة، أما كيفية هذا التسبيح فمردها إلى الله " (5)

فهذا بيان من الله تعالى، بين فيه أن الرعد يسبح الله كما هو الحال بالنسبة لجميع مخلوقات هذا الكون، فكل شيء يسبح الله وإن كان البشر لا يسمعون ذلك، ولا يفهمونه.

﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ ﴾ أي ويسبح الملائكة من خيفة الله سبحانه، وهيبته، وعظمته، وإجلالاً لمقامه، " وتنزهه عن الصاحبة والولد، لما يرون من جلال الله وهيبته " (6)، " فلا يدرك الله القوي الجبار إلا من يكون قريباً منه سبحانه وتعالى ". (7)

---

(1) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان (ج2/250-251).

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج19/27).

(3) مخاريق، جمع مخراق، وهو آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه، ابن منظور، لسان العرب (ج2/1143).

(4) [الترمذي، سنن الترمذي، (294/5، ح 3117)]، و[أحمد بن حنبل فى مسنده، (2578/1، ح 2522)]، وقال الترمذي "حديث حسن غريب، وحسنه الألباني فى السلسلة الصحيحة، (491/4، ح 1872)]، وأيضا فى صحيح الجامع الصغير وزيادته، (665/1، ح 3553)].

(5) الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج11/37).

(6) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج2/1153).

(7) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج3/99) ،أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج7/3914).

فالملائكة دائمون في عبادتهم، وتسبيحهم، وأذكارهم، وأعمالهم التي أمرهم بها الله سبحانه، كما دلت الآية أن الملائكة يسبحون الله تعالى خاشعين له، خائفين منه، كما وصفهم في آية أخرى ﴿ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 28].

﴿ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ " واقتصر في العبرة بالصواعق على الإنذار؛ لأنها لا نعمة فيها ؛ لأن النعمة حاصلة بالسحاب، وأما الرعد فآلة من آلات التخويف والإنذار، كما قال في أية البقرة ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ [البقرة: 19] ". [1]

" ومع هذا البرق الخاطف للأبصار الذي يرونه ويفزعون له، ويرجون المطر منه، وهزيم الرعد الذي يسبح لله تعالى، وتسبيح الملائكة من خيفته، وإرسال الصواعق الحارقة مع رؤيتهم هذه الظاهرة الدالة على القدرة القاهرة، والإبداع الباهر يجادل المشركون في الله " [2]، فقال: ﴿ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ [3] يجادلون في قدرة الله تعالى، فينكرون البعث تارة، ويستعجلون العذاب، ويكذبون الرسل ويعصون الله، ويجادلون في الله فيحسبون أن لها قدرة مع قدرته سبحانه وتعالى. [4]

﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ شديد المكر بهم ، والأخذ للأعداء، وتدبير تعذيبهم ، وهو سبحانه شديد القوة، والانتقام، والعقوبة، " والعداوة " [5] مقتدر على كل جبار متكبر [6] ، " يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون في مقابلة مكرهم وكيدهم ". [7]

فإذا كان الله وحده، الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب، التي فيها مادة أرزاقهم ومعاشهم، وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام، التي يخاف منها، وتزعج العباد، وهو شديد القوة، والانتقام، وأن أخذه أليم شديد، فهو المستحق أن يعبد وحده لا شريك له. [8]

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (105/13).

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير (3915/7).

(3) المجادلة: هي المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة "، البغوي، تفسير الخازن (ج9/4).

(4) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3915/7)، الشوكاني، فتح القدير (ج99/3 – 100).

(5) ابن كثير، البداية والنهاية(ج252/9).

(6) انظر: حوى، الأساس فى التفسير (ج2735/5)، تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1673/3).

(7) البروسوي، روح البيان فى تفسير القرآن (ج373/4)، حوى، الأساس فى التفسير (ج2735/5).

(8) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص 369).

فما أجهلك يا ابن آدم، إنك لظلوم جهول، يسبح الجماد في الأرض والسماء، وتسبح الملائكة رهبة من جلاله، و كل من في السموات والأرض يسبح الله ويعبده بالكيفية التي لا يعلمها إلا هو، وأنت يا ابن آدم خلقت من مادة وروح، ففيك شيء من الجماد، وشيء من الملائكية (الناحية الروحية)، ومع هذا فكثير منكم يا أبناء ءادم لا تسبحون ولا تعبدون الله وحده ، وهذا سببه الضلال الذي أوجد غمة على العقول، فلا تدرك الحق المبين الواضح، الذي قامت فيه الدلائل على قوته القاهرة. [1]

يتبين من خلال ذلك أن كل من في السموات والأرض، من إنسان، أو حيوان، أو نبات، أو جماد، أو زرع، أو شجر، أو حجر يسبح الله تعالى ويحمده ويعبده بالكيفية التي لا يعلمها إلا هو، ومع ذلك فإن كثير من الجنس الإنساني لا يعبده، ويجحد به، ومع ذلك فإن الله قوي قادر، وأنه إذا قال للشيء كن فيكون، فهو لا يعجزه أي شيء في السموات ولا في الأرض.

3- عبودية الدعاء

أ. الدعاء في اللغة

جاء في المصباح الدعاء لغة: بمعنى الطلب والابتهال، يقال " دعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير ". [2]

وجاء في القاموس " الرغبة إلى الله تعالى، دعا دعاء دعوي ". [3]

وجاء في المعجم الوسيط دعا الله: طلب منه الخير ورجاه منه، ودعا لفلان: طلب الخير له، ودعا على فلان: طلب له الشر. [4]

ب.الدعاء في الشرع

" هو سؤال العبد ربه على وجه الابتهال ". [5]

تبين من خلال تعريف الدعاء لغة وشرعاً، بأنه الاتجاه إلى الله – تعالى – بطلب نفع، أو دفع ضر ، أو رفع بلاء، أو نحو ذلك.

---

(1) انظر: حجازي، التفسير الواضح (ج222/2)، أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3915/7).

(2) الفيومي، المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير (ج194/1).

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ج1282/1).

(4) انظر: مصطفى والزيات، المعجم الوسيط (286/1).

(5) أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً (ج131/1).

والدعاء هو روح العبادة ومخها، كما في حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم " الدعاء هو العبادة " [1]، وهو من أنعمَ النعم التي أنعمَ الله بها علينا.

" فأقل ما يفيد الحديث أن الدعاء عبادة كاملة مؤكدة، فمن دعا غير الله عز وجل، وطلب منه أمراً من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه فقد عبد غير الله، ولم يبعث الله رسله، ولا أنزل عليهم كتبه إلا لإخلاص توحيده وإفراده بالعبادة ". [2]

إن الدعاء أساس العبادة ؛ لأنه يتضمن معاني التوحيد الذي يشمل إخلاص العبادة لله تعالى، والاستعانة به، لقوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر: 60].

فالدعاء من العبادات الصادقة التي تكون أبلغ في التضرع، والخشوع، والاخلاص، فلا يجوز للعباد أن يصرفوه بأي شكل من الأشكال لغيره تعالى، فهو المستحق لجميع أنواع العبادات، فما لنا سواه الواحد الأحد القهار.

فصرف الدعاء الذي هو مخ العبادة وروحها عنه لغيره بـاطـل.

إن الدعاء الذي أمر الله به عباده في كتابه الكريم نوعان:

1- دعاء عبادة.

2- دعاء مسألة.

فأما دعاء العبادة: فهو التقرب إلى الله تعالى بأنواع من الصلاة، والذبح، والنذر، والصيام، والحج، وغيرها خوفاً من عقاب الله وطمعاً في رحمته، وإن لم يكن ذلك صيغة سؤال وطلب، فالعابد الذي يرغب في حصول مطلوبة ويخاف على فواته هو سائل لما يطلبه بامتثال أمر الله تعالى.

وأما دعاء المسألة: فهو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره، أو دفعة، ومن يملك الضر والنفع هو المعبود حقاً، والمعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر. [3]

وقد ورد في سورة الرعد ما يدل على ذلك قال تعالى ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [الرعد: 14].

---

(1) [الترمذي، سنن الترمذي، (456/5، ح 3372)].

(2) الشوكاني، العذاب النمير (ج173/1).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج10/15)، ابن القيم، بدائع الفوائد (ج2/3)، السعدي، تيسير العزيز الحميد (ج176/1).

" إضافة الدعوة إلى الحق للملابسة، أي الدعوة الملابسة للحق المختصة به، التي لا مدخل للباطل فيها بوجه من الوجوه " [1].

" والدعوة: طلب الإقبال، وكثرة إطلاقها على طلب الإقبال للنجدة أو للبذل. وذلك متعين فيها إذا أطلقت في جانب الله لاستحالة الإقبال الحقيقي، فالمراد طلب الإغاثة أو النعمة". [2]

" والمعنى: أنها دعوة مجابة واقعة في موقعها، لا كدعوة من دونه" [3]؛ " لأن الله يُدعى فيستجيب الدعوة، ويعطي الداعي لما في دعوته من الجدوى والنفع، بخلاف مالا ينفع ولا يجدي دعاؤه " [4]، " فإن دعاء الله يصدر عن اعتقاد الوحدانية وهو الحق، وعبادة الأصنام تصدر عن اعتقاد الشرك وهو الباطل ". [5]

والمراد بدعوة الحق على أقوال:

1- كلمة التوحيد والإخلاص، والمعنى لله من خلقه أن يوحدوه ويخلصوا له.

2- الحق هو الله سبحانه، والمعنى أن لله سبحانه دعوة المدعو الحق.

3 - دعوة الحق دعاؤه سبحانه عند الخوف ؛ فإنه لا يدعى فيه سواه ﴿ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 96]،

4 - الدعوة العبادة، فإن عبادة الله هي الحق والصدق[6].

" فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له، ورازقه، وموجده من العدم، وخالق العدم كله، ورازقه، ومحيه، ومميته، ومثيبه، ومعاقبه، فلا شك أن الاستكبار طرق من الجنون، وشعبة من كفران النعم " [7].

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج100/3).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج107/3).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج100/3).

(4) الزين ، بيان النظم فى القرآن الكريم (ص419).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج108/3).

(6) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج100/3).

(7) الشوكاني، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين (ج33/1).

" فلله – سبحانه وتعالى – دعوة الحق، ودعاء الصدق، له وحده العبادة، وعليه الاستعانة، وإليه التضرع، وعليه التوكل، إذ هو وحده له دعوة الحق، فهو المبدئ والمعيد، والرحيم الودود، ذو العرش المجيد، فعال لما يريد، جلّ شأنه، وتباركت أسماؤه ". [1]

فهو الأحق بالعبادة، والتضرع، والإنابة، وتوجيه الوجه ثابت له تعالى لا لغيره ؛ لأنه الذي يجيب المضطر، ويكشف السوء، فهو الحقيق بأن يعبد وحده بالدعاء والالتجاء [2] " لا غيره من الأصنام والأوثان، والملائكة والبشر الذين اتخذهم الناس آلهة، فدعاء غير الله من الأوثان باطل"[3]، " فهو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة، والرهبة، والإنابة ؛ لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة ". [4]

قال الشوكاني – رحمه الله – " اعلم أن الدعاء نوع من أنواع العبادات المطلوبة من العباد، ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم لكان ذلك مفيداً للمطلوب، قال تعالى ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[الأعراف: 55-56].. [5]

" فهذه البينات دلت على أن الدعاء مطلوب لله عز وجل من عباده، وهذا القدر يكفي في إثبات كونه عبادة، فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي عن دعاء غير الله تعالى، قال سبحانه ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [الجن: 18] [6].

" فكيف إذا صرح القرآن الكريم بأن الدعاء عبادة، تصريحاً لا يبقى عنده ريب لمرتاب، قال الله سبحانه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60] [7].

---

(1) حجازي، التفسير الواضح (ج222/2).
(2) انظر القاسمي، محاسن التأويل (3662/8).
(3) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1154/2).
(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص369).
(5) الطبري، جامع البيان، (ج265/2)، الشوكاني، العذاب النمير ضمن رسائل الشوكاني (ج171/1).
(6) الشوكاني، العذاب النمير (ج171/1).
(7) الطبري، جامع البيان (ج265/2)، الشوكاني، العذاب النمير (ج172/1).

" وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء، والاستغاثة، والرجاء، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره لذلك قال ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ... ﴾". [1]

فالله سبحانه وتعالى هو الذي له الدعوة الصادقة، لذلك تجب عبادته وحده لا شريك له؛ لأنه هو الذي يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، والجميع تحت قهره وسلطانه، ودعوته هي الدعوة التي تتصف بالحق المطلق، وهؤلاء الكفار لا يستجيبون لهم و لهذه الدعوة، فمثلهم كمثل الذي طغى الشيطان على عقولهم، واستحوذ على سمعهم وأبصارهم، فاختلط عليهم الحق والباطل والهدى والضلال.

قال ابن تيمية – رحمه الله – " والدعاء من جملة العبادات، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم – مع أن هذا أمر لم يأمر به الله ولا رسوله أمر إيجاب ولا استحباب – كان مبتدعاً في الدين، مشركاً برب العالمين، متبعاً غير سبيل المؤمنين، ومن سأل الله تعالى بالمخلوقين أو أقسم عليه بالمخلوقين كان مبتدعاً بدعة ما أنزل الله بها من سلطان". [2]

وأيضاً قال جل وعلا في السورة نفسها ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴾[الرعد: 36].

قل لهم يا محمد بلا وجل ولا تردد، إنما بعثت بعبادة الله وحده، لا أشرك به، بأي وجه من الوجوه [3] ، "وهذا هو التوحيد الخالص الكامل، وتلك الرسالة بإيجاز، دعوى إلى الله وطاعة وإخلاص وعبادة واستعانة بالله وحده ". [4]

" وهذا أمر اتفقت عليه الشرائع، وتطابقت على عدم إنكاره جميع الملل المقتدية بالرسل"[5]، " فذلك دليل على أنه حق، والإنكار له إنكار لعبادة الله وتوحيده ". [6]

وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصاً، أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبهم بذلك إلزاماً للحجة وتبكيتاً لهم ورداً للإنكار. [7]

---

(1) الشوكاني، الدر النضيد فى اخلاص التوحيد (ج338/1).

(2) ابن تيمية، قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة (ج265/2).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج682/2).

(4) حجازي، التفسير الواضح (ج238/2).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج120/3).

(6) حوى، الأساس فى التفسير (ج2759/5).

(7) انظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج26/5).

" إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ " أي إلى الله لا إلى غيره، وإلى سبيله وإلى طريقه، أدعوا الناس ؛ لأنه إليه مرجعي ومصيرى في الأخرة [1] " فيجازيني بما قمت به من الدعوة إلى دينه، والقيام بما أمرت به " [2] ، " فهو مأمور بذلك من قبل الله، استفيد أنه مرسل من الله فهو مأمور بالدعوة إليه".[3]

يتضح من هذا الكلام أن الألوهية هي العبادة ؛ لأن الدعاء من أفرادها، فمن صرف منها شيئاً لغيره تعالى، فهو باطل، والقرآن يدل على ذلك، كما في قوله ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ ﴾، فدلت الآية على أنه لا بد في الاسلام من النفى والإثبات، فيثبت العبادة لله، وينفي عبادة ما سواه ، فترك الشرك يتضمن كمال التوحيد، ومعرفته على الحقيقة ومحبته وقبوله والدعوة إليه، فانتفت الألوهية، وبطلت في حق كل ما سوي الله.

4 – عبودية السجود

أ. السجود في اللغة

الطاعة والخضوع: سجد سجوداً، أي خضع وتطامن [4]، وكل شيء ذل فقد سجد. [5]

إذن السجود هو التذلل والخضوع والانحناء– لله عز وجل – وعبادته، بوضع الجبهة على الأرض بالنسبة للإنسان العاقل أما غيره فإنه يسجد لله بالكيفية التي لا يعلمها إلا هو ، وهذا كقوله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ ﴾ [الإسراء: 44].

والسجود نوعان: سجود تسخير وسجود اختيار .

فسجود التسخير، وهو سجود كل ما خلقه الله، خاص فيمن لا يعقل، كسجود النبات، والحيوان، والجماد، الشمس والقمر وهذا نحو قوله تعالى ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ [الرحمن: 6].

وسجود اختيار، وهو سجود فيمن يعقل، كسجود المسلمين لله – سبحانه وتعالى – باختيارهم وإرادتهم. [6]

---

(1) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج682/2).

(2) السعدي، تفسير السعدي (374).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج158/3).

(4) مصطفى الزيات، المعجم الوسيط (ج416/1)، ابن فارس، معجم مقايس اللغة (ج133/3).

(5) الفيومي، المصباح المنير (ج266/1).

(6) انظر: القدومي، التفسير البياني لما فى سورة النحل من دقائق المعاني (ج99/1).

بعد أن بين سبحانه وتعالى بطلان الشرك، وضرب الامثال على ذلك، وهي أمثال على عظمة البيان القرآني الذي لا يسامى، ولا يناهد، أخذ يبين سبحانه وتعالى خضوع الوجود كله له سبحانه، والانقياد له، فقال تعالت كلمته:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [الرعد: 14].

" يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه، الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين، وكرهاً على الكافرين كما في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾[النحل:48] [1].

" إن كان المراد بالسجود معناه الحقيقي، وهو وضع الجبهة على الأرض للتعظيم مع الخضوع والتذلل، فذلك ظاهر في المؤمنين والملائكة ومسلمي الجن، وأما الكفار فلا يصح تأويل السجود بهذا في حقهم، فلا بد أن يحمل السجود المذكور على معنى: حق لله السجود ووجب، حتى يناول السجود بالفعل وغيره، أو يفسر السجود بالانقياد؛ لأن الكفار وإن لم يسجدوا لله فهم منقادون لأمره، وحكمه فيهم بالصحة والمرض، والحياة والموت، والغنى والفقر، فهم خاضعون لأمره شاءوا أم أبوا " [2] " فهم لا يستطيعون الخروج عنه بحال، فهو الذي خلقهم وصورهم كما شاء، ورزقهم ما شاء، ويميتهم متى شاء، فأي سجود وخضوع وركوع أظهر من هذا ؟؟ ". [3]

ومن كمال الله، وقدرته، وتسخيره الاشياء له فقط، أنه يسجد له أي يخضع وينقاد له كل شيء طوعاً من المؤمنين والملائكة في حال الشدة والرخاء، وكرهاً من الكافرين في حال الشدة؛ بل كل شيء في الكون خاضع منقاد لله الخالق الموجد، طواعيةً واختياراً أو قهراً وإكراهاً. [4] " ويستوي في هذا الخضوع المؤمن والكافر، إلا أن المؤمن خاضع عن طواعية بذاته وبظاهره وبباطنه لله – تعالى – ، أما الكافر فهو خاضع لله – تعالى – بذاته، ومتمرد وجاحد وفاسق عن أمر ربه بظاهره ". [5]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج668/2).

(2) انظر الشوكاني، فتح القدير (ج101/3).

(3) الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير (ج446/2).

(4) انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1154/2).

(5) الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج44/11).

فنعم لله – سبحانه – يسجد وينقاد كل من في السموات والأرض من انسان، وجن، وملك، ونبات، وجماد، وحيوان عاقل أو غير عاقل ، روحاني [1] أو غير روحاني، سواء سجود انقياد وامتثال لأوامره، إن كان من المؤمنين، ومكرهين إن كان من الكافرين، فالكل خاضع للذي خلقه، ومنقاد له بقدرته وإرادته [2].

فإذا كان كل المخلوقات في هذا الوجود، تسجد وتخضع وتنقاد لربها طوعاً وكرهاً، حتى الظلال تسجد لله بالكيفية التي لا يعلمها إلا هو، كان هو الإله حقاً، المعبود المحمود حقاً، فيجب إثبات الوحدانية والربوبية والألوهية له.

" مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ " قد نص على الظلال بالغدو والآصال ، ولا تعد من العقلاء التي تخاطب فلماذا عبر ب " من " ؟

تغليباً للعقلاء على غيرهم، ولكون سجود غيرهم تبعاً لسجودهم، وانقيادهم دليل انقياد غيرهم، " وغلب العاقل لشرفه ؛ لأنه المكلف بالسجود الحقيقي واللغوي، العارف بربه، المسلم بأحكامه، ولو غير عاقل بدليل ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: 11]، خضع طوعاً وإجلالاً لهيبة الله وجلاله، والجاهل خضع كرهاً، بمعنى جرت المقادير عليه رغماً عن آنفه " [3]، فإن سجود الكفار لأصنامهم معلوم، ولا ينقادون لهم كانقيادهم لله في الأمور التي يقرون على أنفسهم بأنها من الله، كالخلق والحياة والموت. [4]

" فيدخل الكفار أجمعون في " من " ؛ لأنه ليس من إلا وتلحقه من التذلل والاستكانة قدرة الله أنواع أكثر من أن تحصى، بحسب رزاياه واعتباراته " [5]

" طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا " تدل على عموم السجود في حالتي الطوع والاختيار، والكره والاضطرار، وهذا دليل السلطان ونفوذ الأمر لله تعالى [6] ، " وقيل طوعاً لا يثقل عليه السجود، وكرهاً يثقل عليه؛ لأن إلزام التكاليف مشقة ". [7]

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، أرواح ليست لها أجسام مثل الملائكة والجن وما أشبهها (ج1769/3).
(2) انظر: حجازي، التفسير الواضح (ج222/2)، البقاعي، نظم الدرر (ج135/4).
(3) الصاوي، حاشية الصاوي (ج997/3).
(4) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج101/3)، أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3918/7).
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج306/3).
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3919/7).
(7) الأندلسي، البحر المحيط فى التفسير (ج369/5).

والذي يظهر أن مساق هذه الآية إنما هو أن العالم كله مقهور مربوب لله تعالى، خاضع لما أراده منه، مقصور على مشيئته، لا يكون منه إلا ما قدر تعالى، فالذين تعبدونهم كائناً ما كانوا داخلون تحت القهر والمشيئة والإرادة.

" وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ " المراد به ظل الإنسان الذي يتبعه، جعل ساجداً بسجوده حيث صار لازماً له، لا ينفك عنه، قال ابن الأنباري [1]– رحمه الله –: ولا يبعد أن يخلق الله للظلال أفهاماً تسجد بها لله سبحانه، كما جعل للجبال أفهاماً حتى اشتغلت بتسبيحه ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ ﴾ [الإسراء: 44]، فظل المؤمن يسجد لله طوعاً، وظل الكافر يسجد لله كرهاً. [2]

وخص الغدو والآصال بالذكر ؛ لأن الظلال إنما تعظم، وتكثر في هذين الوقتين [3]؛

" ولأن هذه الظلال لازمه لأصحابها، والكل تحت قهره ومشيئته في الامتداد والتقلص والحركة والسكون ". [4]

فأثبت سبحانه وتعالى السجود لكل الكائنات، وبين كيفية سجود بعضها وهو بفيء ظلالها ذات اليمين والشمال، ولا يلزم أن يكون سجودها على سبعة أعضاء إذ هذا خاص بالمسلمين، أما سجود بقية الكائنات فهو في كل مخلوق بحسبه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " والسجود من جنس القنوت فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لغاية الخضوع والذل وكل مخلوق فقد تواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته ولا يجب أن يكون سجود كل شيء مثل سجود الإنسان على سبعة أعضاء ووضع جبهة في رأس مدور على التراب فإن هذا سجود مخصوص من الإنسان ". [5]

---

(1) هو محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، أبو بكر، الإمام، المقرئ، النحوي، الحافظ اللغوي، ذي الفنون، صنف فى علوم القرآن، والغريب، والمشكل، و والوقف والابتداء، من تصانيفه كتاب خلق الانسان، وكتاب خلق الفرس، والأمثال، والمقصور والممدود، وغريب الحديث، توفي سنة 134هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج489/11).

(2) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج101/3).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج101/3)، الرازي، مفاتيح الغيب (ج32/15).

(4) الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج45/11).

(5) ابن تيمية، جامع الرسائل (ج27/1).

وفى الفتاوى " ومعلوم أن سجود كل شيء بحسبه، ليس سجود هذه المخلوقات وضع جباهها على الأرض ". [1]

ويدخل في هذا السجود كمال خضوع هذه المخلوقات لله وانقيادها له سبحانه وذلها لربوبيته وعزه وسلطانه.

يقول الإمام ابن القيم– رحمه الله – " وهو سجود الذل والقهر والخضوع فكل أحد خاضع لربوبيته ذليل لعزته مقهور تحت سلطانه تعالى ". [2]

يتبين مما سبق أن هذا الكون بكل ما فيه من مخلوقات خاضعة لله، عابدة له عبادة لائقة بحاله ووضعه، فالشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب كلها خاضعة لله، تسبحه سبحانه وتعالى وتسجد له، ولكل واحد منها عبوديتها اللائقة بها لله عز وجل، وظلال هؤلاء تسجد لله، فكل أولئك يسجدون لله وظلالهم، فلا يظن الكافر العاصي أن السموات والأرض خلت من الساجدين لله، ولا يعلم أن كل طائع بفطرته وكل مؤمن بإرادته، وظلالهم تسجد لله وتسبحه وتذكره ولم تخلوا الأرض من الطائعين الأبرار.

5 – عبودية التوكل

قبل أن أذكر دلالة السورة على عبودية التوكل أذكر تعريفه في اللغة والاصطلاح كما هو الشأن بالنسبة للعبادات التي سبقت.

التوكل في اللغة:

جاء في مختار الصحاح " التوكل إظهار العجز، والاعتماد على غيرك ". [3]

وفى تاج العروس " هو الثقة بما عند الله تعالى، واليأس مما في أيدي الناس ". [4]

" والمتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره". [5]

---

(1) ابن تيمية، جامع الرسائل (284/21).

(2) ابن القيم، مدارج السالكين (ج127/1–128).

(3) المرجع السابق (740/1).

(4) المرجع نفسه (786/15).

(5) ابن منظور، ابن منظور، لسان العرب (ج4909/6).

التوكل في الاصطلاح

فمن خلال معرفة التوكل في اللغة نعرف حقيقة التوكل اصطلاحاً، فالتوكل على الله: هو الثقة به، والاعتماد عليه، والاستسلام له، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به في كل شأن.

فقد عرفه الامام البقاعي [1]– رحمه الله – بأنه " التوثق في تدبير النفس برده إلى الله على الرضي بما يفعل".[2]

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله – " ومن أنواع العبادة التوكل على الله – عز وجل – وهو اعتماد القلب عليه، وثقته به، وأنه كافيه، وهو عبادة عظيمة تعبد الله به عباده، وأمرهم بأن يعتمدوا عليه وحده دون سواه، ولا يوفق به على وجه الكمال إلا أولياء الله وحزبه والمؤمنون". [3]

قال ابن القيم " وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت الله، مع اعتماده على غيره، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء آخر، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء آخر، فقول العبد توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره، مثل قوله: تبت إلى الله، وهو مصر على معصيته، مرتكب لها ". [4]

---

(1) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرخ أديب، له تصانيف عديدة، أصله من البقاع فى سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. انظر: الأعلام (ج56/1)، والضوء اللامع (ج101/1).

(2) البقاعي، نظم الدرر (ج151/4).

(3) مقدمة المحقق حول عقيدة الشوكاني (ج91/1)

(4) شحاته، شرح كتاب الفوائد (ج4/8).

أقسام التوكل على الله تعالى:-

القسم الأول: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية. فهذا نوع من التوكل لكي يقضي لنا الله حوائجنا الدنيوية، والإنسان يعمل الذي يقدر عليه ، والله هو الذي يتولى الأمور.

القسم الثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو و يرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه. فغاية هذا النوع عبادة وهو في نفيه عبادة، فإن استعان العبد بالله على ما يرضيه، فصاحبه متحقق بإياك نعبد وإياك نستعين، فمن تركه ترك شطر دينه، وبين هذين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله تعالى، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه من النوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل فيما يحبه ويرضاه، فأعظم التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم [1]

فالتوكل على الله من أعظم وأجلّ أنواع العبادات التي يجب إخلاصها لله تعالى، وقد ورد في سورة الرعد ما يدل على ذلك كما في قوله ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: 30].

" قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ " أي هذا الذي تكفرون به، أنا مؤمن به معترف، مقر له بالربوبية والألوهية " لا مستحق للعبادة سواه، تنبيه على أن استحقاق العبادة منوط بالربوبية " [2] " المربي لي بالإيجاد وإدرار النعم، المحسن إليّ لا غيره، لا أكفر إحسانه كما كفرتموه أنتم " [3]، " فهو بليغ الانتقام كما هو بليغ الرحمة، يرحمني وينتقم لي منكم " [4] لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد " [5].

---

(1) انظر: شحاته، شرح كتاب الفوائد (ج3/8)، ابن القيم، دار الهجرتين ومفتاح السعادتين (ج262/1).

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج21/5).

(3) البقاعي، نظم الدرر (ج151/4).

(4) الألوسي، روح المعاني (ج145/7).

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج678/2).

" لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" اعتراض أكد به اختصاص التوكل عليه سبحانه، وتفويض الأمور عاجلاً وآجلاً إليه ومثله قوله تعالى ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: 106] (1)

" عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ " في جميع أموري لا سيما في النصرة عليكم ، " فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجانبه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

ولهذا قال سعيد بن جبير – رحمه الله –: التوكل على الله جماع الإيمان ". (2)

" وَإِلَيۡهِ مَتَابِ" أي إليه أرجع وأنيب واعتمد في جميع عباداتي، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه "(3)، " أمر عليه السلام بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى، وأنها صفة الأنبياء وبعثاً للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه وألطفه، فإنه عليه السلام أمر بها، وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب، وإن قل فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه أصلاً ". (4)

" والغرض تسلية للنبي عليه السلام مما يلقاه من كفار قريش من الجحود والعناد، فقد كذب قبلهم الأمم ". (5)

فيجب على كل إنسان أن يتوكل على الله جلا وعلا في جميع أموره، ويتوجه إليه بجميع أشكال العبادة، وعدم صرف شيء منها إلى غيره ؛ لأنه هو المستحق للعبادة دون غيره، ولا إله غيره، ولا رب لنا سواه، فإليه المرجع والمئاب والاعتماد.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج678/2).

(2) المرجع السابق (ج12/4).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج678/2).

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج21/5).

(5) الصابوني، صفوة التفاسير (ج83/2).

التوكل والأسباب:

فقد قرر الشوكاني رحمه الله أن التوكل لا يتم إلا بالعمل بالأسباب، فالعمل بالأسباب لا ينافي التوكل، ولا يقدح فيه كما زعمه بعض الناس عن جابر- رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى ". (1)

قال الشوكاني " وفى أحاديث الباب كلها إثبات الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره، وأنها لا تنجح بذواتها؛ بل بما قدره الله فيها، وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك...، والتداوي لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، وكذلك تجنب المهلكات، والدعاء بالعافية، ودفع المضار، وغير ذلك ". (2)

وعلى هذا فإن العبد مأمور بالأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله عز وجل، والإيمان أن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله سبحانه وتعالى.

وقال رحمه الله " والحق أن من وثق بالله، وأيقن أن قضاءه عليه ماضٍ، لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب، اتباعاً لسنته، وسنة رسوله، فقد ظاهر بين درعين، ولبس على رأسه المغفر، وأقعد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة، وإلى المدينة هاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهلة قوتهم، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك، وقال للذي سألة: أيعقل ناقته أو يتوكل ؟ قال: اعقلها وتوكل، فأشار إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل ". (3)

فالالتفات إلى الأسباب، واعتبارها مؤثرة في المسببات بغير إذن الله شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله، لا على سبب من الأسباب، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة. (4)

---

(1) [مسلم، صحيح مسلم، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، (ج1729/4، ح 2204)]،

(2) الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقي الأخبار (ج75/9).

(3) المرجع السابق.

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج528/8).

قال ابن القيم " فاعلم أن نفات الأسباب لا يستقيم لهم توكل ألبته ؛ لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببا في حصول المدعو به".[1]

" التوكل فريضة يجب إخلاصه لله ؛ لأنه من أجمع أنواع العبادات الباطنة،...، فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله ". [2]

والذي نخلص إليه مما تقدم أن التوكل عبادة تعبد الله به عباده، وأمرهم جميعاً بأن يخلصوه له وحده لا شريك له، وأن التوكل لا يتنافى مع الأسباب والمسببات وحكم على قول من أنكرها بالبطلان والفساد، فالشرع جاء بالأمر بالتداوي، ولا ينافى ذلك توكل الإنسان على ربه ؛ لأن التداوي من الأسباب المشروعة التي أباحها الله تعالى؛ بل لا يكمل للعبد توحيده إلا بمباشرة الأسباب التي جعلها الله مقتضيه لمسبباتها، وتعطيل الأسباب يقدح في التوكل، ويقدح في أمر الله وحكمته، فالإنسان يتوكل على الله في كل أموره مع مباشرة الأسباب، ولا يعتمد عليها بل يجعل قلبه متعلقاً بربه الذي له الفضل في إيجاد السبب والمسبب.

وأن العبد مأمور بالأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله عز وجلّ، والإيمان أن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: نواقض [3] توحيد الألوهية

فالناقض هو ما يُضاد توحيد الألوهية، وهو أن يتوجه الإنسان إلى غير الله بالعبادة بأي شكل من أشكالها (الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والإستعاذة، و الاستغاثة)، وغير ذلك من العبادات التي أمر الله بها كلها لله تعالى، فيجب أن نفرده بجميع أنواع العبادات، الظاهرة، والباطنة، القولية، والعملية، وصرفها عمن سواه؛ لأنه هو المستحق لها، وغيره من المخلوقين ما هم إلا عبيد خاضعين له، وأن اشراكهم مع الله بأي نوع من أنواع العبادة هو من الشرك والعياذ بالله، فألوهيته هي ألوهية الحق، وألوهية غيره باطلة.

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج119/2).

(2) عبد الوهاب، قرة عيون الموحدين فى تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (ج319/1).

(3) تقدم تعريف الناقض (ص 61).

ومن نواقض توحيد الألوهية الواردة في السورة:

1- اعتقاد شريك ومثيل لله في العبودية

الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه، ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكاً بالصنم والوثن والإله. (1)

السورة الكريمة أشارت إلى هذا النوع من الاعتقاد الباطل، الذي كان المشركين والكفار يعتقدون به، حيث أنهم جعلوا لله أنداداً، وأصناماً، وشركاء، يعبدونهم ويدعونهم من دون الله، وتعليلهم عن ذلك أن يقربوهم إلى الله زلفى، وحتى تكون هذه الأصنام واسطة بينهم وبين الله – تعالى– قالوا :﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3]، وقال تعالى حكاية عن المشركين ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾ [الرعد: 33]؛ ولكن الله أنزل كتبه، وأرسل رسله، من أولهم إلى آخرهم، تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى الله، وتأمرهم بتوحيده – سبحانه وتعالى – ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البيئنة: 5]،

فالله سبحانه هو المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له ؛ لأنه الخالق ولا يستحق من الخلق أن يعبدوا إلا من خلقهم وأبرزهم من العدم من لا شيء إلى هذا الوجود.

يقول الشوكاني – رحمه الله – إن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، لم يكن لتعريف الناس بخالقهم، ورازقهم ونحو ذلك، فإن هذا يقربه كل مشرك، قبل بعثة الرسل، وإنما بعث الله رسله، وأنزل كتبه لإخلاص توحيده، وافراده بالعبادة. (2)

---

(1) انظر: الشوكاني، الدر النضيد (ج339/1).

(2) انظر: الشوكاني، الدر النضيد (ج337/1).

وهذا التوحيد الذي من أجله خلق الله الخلق، وجعل الجنة والنار، وفرق الناس إلى شقي وسعيد، وهو الغاية العظمى من بعثة الرسل – عليهم الصلاة والسلام –.

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ قال ابن كثير– رحمه الله – أي " هو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه، محتاجه فقيرة وهو الغني الحميد، الفعال لما يريد، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو القاهر لكل شيء، الحسيب على كل شيء، الرقيب العلى العظيم لا إله غيره ولا رب سواه ". [1]

فالله هو المطلع على كل نفس، الحفيظ والمهيمن على جميع شؤون الخلائق ، العالم بما يكسب كل إنسان من أعمال الخير والشر، ولا يخفى عليه خافية، القادر على كل شيء، فكيف يجعلون القادر العالم، كمن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، وكيف يتخذونه رباً يطلبون منه النفع ودفع الضرر، كيف يتوجهون إليهم بالعبادة ؟. [2]

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أي عبدوا معه الأصنام، والأنداد، والأوثان، التي لا تعقل وجعلوها شركاء لله " فسووا بين الله وبين الأصنام، واتخذوها شركاء في العبادة ". [3]

" قُلْ سَمُّوهُمْ" أي أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم، " وليسوا أهلاً للعبادة، لعدم نفعهم وضرهم " [4]، " فالشركاء من التفاهة، و العجز المطلق مهما كانت أسماؤهم " [5]، ولهذا قال " أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ " أي لا وجود له ؛ لأنه لو كان له وجود في الأرض لعلمها؛ لأنه لا تخفى عليه خافيه " والمراد من ذلك نفى العلم بأن يكون له شريك " [6]، و " خص الأرض لكون آلهتهم التي جعلوها شركاء كائنين فيها " [7] ، " أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ " أي تسمونهم شركاء بظن وكذب وباطل من القول، فعبدتم هذه الأصنام بظن منكم

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج679/1).
(2) انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1170/2).
(3) البروسوي، روح البيان (ج400/4).
(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج189/7)
(5) الزين، بيان النظم فى القرآن الكريم (ص428).
(6) البغوي، تفسير الخازن المسمي لباب التأويل (ج20/4)، حوى، الأساس فى التفسير (ج2758/5).
(7) الصاوي، حاشية الصاوي (ج1007/3)

أنها تنفع وتضر، وسميتموها آلهه ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: 32](1).

فالله . سبحانه و تعالى . رب السماوات والأرض، ورب كل شيء، رباً واحداً أحدا ، لا شريك له في ملكه، ولا منازع له في سلطانه، ولا شبيه له من خلقه وهو تعالى خالق كل شيء ومدبر كل أمر، الواحد القهار.

" قُلْ سَمُّوهُمْ " بينوا شركاءكم بأسمائهم، وصفوهم بصفاتهم، فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة والشركة يشير إلى أن الأسماء مأخذها من الصفات، فإن لم تروا منهم شيئاً من صفات الله فكيف تسمونهم ". (2)

قال الشوكاني – رحمه الله – " وفى هذا تبكيت لهم وتوبيخ ؛ لأنه إنما يقال هكذا في الشيء المستحقر الذي لا يستحق أن يلتفت إليه، فيقال: سمه إن شئت، يعني أنه أحقر من أن يسمى ". (3)

" فإذا جعلتم أولئك شركاء، فسموهم إذاً بالأسماء التي يسمي بها القائم على كل نفس بما كسبت، فإنه سبحانه يسمي بالحي القيوم، المحيي المميت، السميع البصير، الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، ووجود كل شيء به. فهل تستحق آلهتكم اسماً من تلك الأسماء ؟ فإن كانت آلهه حقاً فسموها باسم من هذه الأسماء ؛ وذلك بُهت بيِّن ؛ فإذا انتفى عنها ذلك، علم بطلانها كما علم بطلان مسماها ". (4)

" فبين الله – سبحانه وتعالى – في هذه الآية أنه لا ينبغي له الشريك في العبادة ؛ لأنه خالق كل شيء ومالكه وكل شيء فقير إليه، خاضع ذليل لديه، وجميع سكان السموات والأرض عبيده، وهو ربهم، لا إله إلا هو ولا رب سواه " (5)

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج680/2).

(2) البروسوي، روح البيان فى تفسير القرآن (ج400/4).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج117/3)، انظر القاسمي، محاسن التأويل (ج5682/5)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج24/5) بتصرف.

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج196/15)، ابن تيمية، التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم (ج133/4–134)،

(5) ابن كثير، البداية والنهاية (ج84/2).

﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن لهم عذابين، أولهما عذاب الدنيا، والثاني عذاب الآخرة.

أما عذاب الدنيا، يبتدئ من ذات أنفسهم، وهو ضلال الفكر واضطرابه وعدم استقامة أنفسهم، والخزيان والذل، وضرب الذلة.

أما عذاب الآخرة فهو أشق من عذاب الدنيا، فالله لا ينظر إليهم ولا يكلمهم، ويبدو لهم جهلهم، وضلالهم، ثم بعد ذلك جهنم التي جعلها مثوى الكافرين. (1)

" نشهد أنك لست بإله استحد ثناك، ولا رب يبيد ذكره، ولا كان معك شركاء فندعوهم ونذرك، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشك فيك، نشهد أنك أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد".(2)

إن المشركين قد ضلوا في جحودهم وإنكارهم وعنادهم، عندما أشركوا بالله، وتوجهوا لغيره من الأصنام والأوثان بالعبادة لجلب المنفعة أو دفع المضرة، ولكن في الحقيقة، أنه لا إله إلا الله، ولا معبود بحق إلا الله ؛ لأنه هو القائم على شؤون جميع الخلائق، وليس هناك أحد من الخلق يستحق شيئاً من العبادة ، وأن التوجه إلى غيره بالعبادة هو من باب الشرك والعياذ بالله.

2- صرف شيء من العبادات لغير الله سبحانه وتعالى

أشارت الآيات في سورة الرعد إلى أنه لله الدعوة الحق الصادقة، وأن دعوة غيره دعوة باطلة لا يمكن أن تنفعهم بشيء ، وهؤلاء لا يستجيبون لهم بشيء، وكيف يستجيبون ؟ وهم أضعف من الضعف، بل إن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب، قال جل وعلا في كتابه العزيز ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد: 14].

" أي الآلهة الذين يدعونهم يعني – الكفار – من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه منهم، كائناً ما كان، إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد، فإنه لا يجيبه " ، لا يستجيبون لهم بشيء، ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة ؛ لأنهم فقراء كما أن من دعوهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما لهم

---

(1) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3959/8).

(2) ابن كثير، البداية والنهاية (ج91/2).

فيها من شرك، وما له منهم من ظهير" [1] فهم عاجزون عن ذلك وهم أعجز عما فوقه " والمقصود من الجملة الكريمة نفى استجابة الأصنام لما يطلبه المشركون منها نفياً قاطعاً " [2] ؛ لأنه جماد لا يشعر بحاجته إليه، ولا يدري أنه طلب منه أن يبلغ فاه وما الماء ببالغ فيه. [3]"حتى يتمزع عنقه ويهلك عطشاً " [4]، " فكذلك لا ينفعهم ما كانوا يعبدون من دون الله " [5] " فيذهب سعيه، وتعبه باطلاً ". [6]

"وقيل: المراد كقابض يده على الماء، فإنه لا يحكم منه على شيء ". [7]

" وهذا مثل ضربه الله للدعاة من أهل الاهواء والبدع، يدعون الخلق إلى الله لغير الله، فلا يستجيبون على الحقيقة، وإن استجابوا في الظاهر ؛ لأنهم استجابوا لهم على الضلال يدل على ذلك قوله " وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ". [8]

﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾أي يضل عنهم ذلك الدعاء، وما دعاؤهم والتجاؤهم لآلهتهم إلا في ضياع وخسارة ؛ لأنه لا يجدي ولا يفيد، ولا يغنيه لعدم إمكان إجابتهم [9]، " فلا يجدون منه شيئاً، ولا ينفعهم بوجه من الوجوه، بل هو ضائع ذاهب " [10] ؛ " لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم، وإن دعوا الأصنام لم تستطع إجابتهم " [11]، " فليست عبادة المشركين أصنامهم إلا خسار وبوار، وإن دعوا الله فلن يتقبل منهم ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة: 27]. " فضراعهم للأنداد ضرعه لأوهام، إذ لا حقيقة لها في شيء، ولا وجود لها إلا أن تكون أحجاراً صنعوا، وابتدعوا لها قوة أرادوها، وما يستطيعون تغيير حقيقتها بأوهامهم، ففى الآية

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (369).

(2) الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج41/11).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج100/3).

(4) السيوطي، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور (ج101/4).

(5) المرجع السابق، ص101.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج109/13).

(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج667/2).

(8) البروسوي، روح البيان (ج375/4).

(9) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج77/2).

(10) الشوكاني، فتح القدير (ج101/3).

(11) النسفى، تفسير النسفى (ج304/1).

تصوير بليغ لخيبة وجهالة، من يتوجه بالعبادة والدعاء لغير الله تعالى " [1] ؛ " لأن هذه الآلهة الباطلة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن أن تملك ذلك لغيرها " [2]، " فبطلت عبادتهم ودعائهم؛ لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها، ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقاً، متصلة النفع بصاحبها في الدنيا والأخرة ". [3]

وقد كان دعاء الكافرين ضائعاً؛ لأنه طلب ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وأما دعاؤهم لله فليس بضائع، بل يستجيب لهم إن شاء، فإن كان بأمور الدنيا فظاهر، وإن كان بالجنة فيهديهم للإيمان، هذا هو الذي يجب المصير إليه، ويؤيده قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: 33].

" فُهم من هذا أن الدعاء عبادة، بل من أجلّ وأعظم أنواع العبادة، والعبادات مختصة بالله عز وجل وحده، والمنع من دعاء غير الله في السراء والضراء، وتعظيم من سواه والالتجاء إليه في الخير والشر كائناً من كان، من غير فرق بين الأنبياء والخلفاء الراشدين، وسائر الصحابة ومن بعدهم من طوائف المسلمين ". [4]

وبهذا يتبين أن الدعاء عبادة كاملة ومؤكده لله وحد، فمن دعا غير الله عز وجل طالباً منه أمراً من الأمور التي لا يقدر عليها إلا سبحانه، فقد عبد غير الله، وأنه دعا من لا يستجيب له، ولم يدعوا ربه الذي يستجيب من يدعوا إليه، حيث ترك دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام، ودعا العاجز الذي لا قدرة له على الاستجابة ولا النفع، فلم يبعث الله رسله ولا أنزل عليهم كتبه، إلا لإخلاص توحيده وإفراده بجميع أنواع العبادة الظاهرة منها والباطنة، والدعاء من أهم أنواع العبادة، فيجب صرفه لله تعالى، ولا يجوز لأحد أن يدعو غيره كائناً من كان.

---

(1) الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج42/11).

(2) المرجع السابق (ج43/11).

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان (369).

(4) الشوكاني، العذاب النمير (ج196/1).

المبحث الثالث

توحيد الاسماء والصفات ونواقضه

المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات :-

أولا: توحيد الأسماء والصفات لغة :-

أ. الأسماء لغة :

جمع اسم، وجاء في لسان العرب " اسم مشتق من السمو، وهو الرفعة " [1]، وقال ابن القيم– رحمه الله – " الاسم هو اللفظ الدال على المسمى ". [2]

ب.الصفات لغة :

جمع صفة " وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها ". [3]

ثانيا: توحيد الأسماء والصفات اصطلاحاً:-

هو أن يعتقد الإنسان اعتقاداً جازماً أن كل ما أخبر به الله تعالى في كتابه من أوصافه العليا، وأسمائه الحسنى، وكذلك ما جاءت به الأحاديث الصحيحة من أسمائه وصفاته هي على ما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه.

" وتوحيد الصفات أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه نبيه نفياً وإثباتاً، فيثبت ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه"[4] " من غير تحريف[5] لألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها[6] بنفيها أو نفى بعضها عن الله عز وجل، ولا تكييفها[7] بتحديد كنهها، أو

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (2109/3).

(2) ابن القيم، بدائع الفوائد (ج16/1).

(3) الجرجاني، التعريفات (ج133/1).

(4) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج129/1).

(5) التحريف: لغة التغير، وفى الاصطلاح: هو تغيير ألفاظ الاسماء والصفات. انظر: الدوسري، التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (ج26/1).

(6) التعطيل: نفى أسماء الله وصفاته، وتعطيل المخلوقات من خالقها جل وعلا، وأول من ابتدع التعطيل الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان. انظر: ابن تيمية، الفتوي الحموية الكبرى (ج267/1).

(7) التكييف: "أن يقال بأن الصفة على هيئة كذا وكيفية معينة ". القنوجي، قطف الثمر فى بيان عقيدة أهل الأثر (ج33/1).

إثبات كيفية معينة لها، ولا تمثيلها [1]، ولا تشبيهها [2]؛ بل تمرها كما وردت مع اعتقاد مدلولها ومعانيها، على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه.

والإقرار بأن الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة، وأنه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، على الملك احتوى، أنه الملك القدوس، السلام، المؤمن المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، سبحان الله عما يشركون إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العليا. [3]

إذن توحيد الأسماء والصفات هو الإيمان بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، والإيمان بكل ما ورد لله في كتابه وسنة نبيه من الأسماء والصفات، وإثبات ذلك دون تشبيه أو تحريف أو تعطيل.

ولا يعرف الإنسان ربه إلا بمعرفته بصفاته وأسمائه، فإذا ما تمّ له معرفة ذلك عرف ربه جل وعلا، وحينئذ يسأل ربه ويدعوه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الثابتة في الكتاب والسنة قال الله تعالى في محكم التنزيل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] وقال أيضا ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: 110].

وقد عرف السلف ربهم ومعبودهم عن طريق معرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا، التي أثبتها لنفسه في كتابه العزيز، وأثبتها له رسوله في سنته الشريفة.

وقد وردت أدلة كثيرة في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله، تدل على هذا النوع من التوحيد؛ بل إنه لا تخلو سورة من سور القرآن، ولا صفحة من صفحاته، من ذكر صفات الله وأسمائه. وإليك بيان ذلك :-

---

(1) التمثيل: "التشبيه بين الخالق والمخلوق ". القنوجي، قطف الثمر (ج33/1)، أو هو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، ابن العثيمين، القواعد المثلي فى صفات الله وأسمائه الحسنى (ج26/1).

(2) التشبيه: بأن يقال إن صفات الله مثل صفات المخلوقين، كأن يقال يد الله كأيدينا، وسمعه كسمعنا، تعالى الله عن ذلك. انظر: الفوزان، شرح العقيدة الواسطية (ج9/1).

(3) انظر: السعدي، تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد (ج19/1).

أولاً: الأدلة من القرآن

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 1–4]، يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا نديد، ولا شبيه، ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله ". [1]

ومعنى الصمد: الذي لا جوف له، أو الذي يصمد إليه في الحاجات: أي يقصد لكونه قادراً على قضائها. [2]

قال تعالى أيضا ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل: 60].

قال الشوكاني – رحمه الله – " المثل الصفة، أي وله الوصف الأعلى في السموات والأرض [3]، وهو أضداد صفة المخلوقين من الغنى الكامل، والجود الشامل، والعلم الواسع". [4]

قال أيضا: إن إثبات المثل لله تعالى محال، ومن فهم الآيات السابقة حق الفهم، وتدبرها حق التدبر مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة. [5]

ثانياً: من السنة

عن البراء – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا أخذ مضجعه قال: " اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت "، وإذا استيقظ قال: " الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور". [6]

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشة يضجع على شقه الأيمن، ثم يقول: " اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوي، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج527/8).

(2) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج635/5).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج255/4).

(4) المرجع السابق (ج205/3).

(5) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج605/4).

(6) [البخاري، صحيح البخاري، باب السؤال بأسماء الله الحسنى، (2692/6، ح6959)]، و[مسلم، صحيح مسلم، باب ما يقول عن النوم، (2083/4، ح 2711)].

شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدين، وأغننا من الفقر ". [1]

قال الشوكاني – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث " قوله أنت الأول: أي أنت القديم الذي لا ابتداء له، والأخر: أي أنت الباقي بعد فناء خلقه، لا انتهاء له، ولا انقضاء لوجوده، الظاهر الذي ظهر فوق كل شيء، الباطن الذي حجب أبصار الخلائق من إدراكه، فليس دونك شيء أي لا يحجبه شيء عن إدراك مخلوقاته " [2] " الأزلي القديم الذي لم يزل موجوداً بصفات الكمال، ولا يزال مستمراً باقياً سرمدياً بلا انقضاء ولا انفصال ولا زوال، يعلم دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وعدد الرمال، وهو العلى الكبير المتعال، العلى العظيم الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً ". [3]

" وقيل المقدم: الذي يقدم بعض الأشياء على بعض، المؤخر: الذي يؤخر بعضها عن بعض"[4] " ونقل عن البيهقي قال: أي قدم من شاء بالتوفيق إلى مقامات السابقين، وأخر من شاء عن مراتبهم، وقيل قدم من أحب من أوليائه على غيرهم من عبيده، وأخر من أبعده عن غيره، فلا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم ". [5]

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكلها دالة على أن الله سبحانه وتعالى، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وله الكمال المطلق في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، لا شريك له.

يتبين من خلال هذا أن توحيد الأسماء والصفات يرتكز على ثلاثة أسس، من جاء بها كلها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والسلف الصالح، ومن أخل بواحده من تلك الأسس فقد ضل [6] وهذه الأسس هي :-

---

(1) [مسلم، صحيح مسلم، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، (2084/4، ح 2713)].

(2) الشوكاني، تحفة الذاكرين (ج134/1)، وانظر: ابن الأثير، جامع الأصول فى أحاديث الرسول (ج173/4)،

(3) ابن كثير، البداية والنهاية (ج5/1).

(4) الشوكاني، نيل الأوطار (ج191/1).

(5) الشوكاني، نيل الأوطار (ج208/2).

(6) انظر: الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ج9/1).

1– تنزيه الله عز وجل من مشابهة الخلق، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

2– الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، وعدم التعرض لنفيها، ويدل على هذا الأصل قوله تعالى " وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ " بعد قوله " لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ".

3– قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات ؛ لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل. وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾[طه: 110].

الله أعلم بكيفية ذاته، وماهية صفاته، بل العلم كله له، فإن الله أخبرنا أنهم لا يحيطون به علماً، فمن زعم أن ذاته كذا، أوصفته كذا، فلا شك أن صحة ذلك متوقفة على الإحاطة، وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد علما. [1]

وهذه القواعد والأصول بنى عليها الشوكاني منهجه في توحيد الأسماء والصفات، ينبغي أن لا يخل بها أي مكلف، وإلا وقع في هوة الضلال، وذلك بأن من نفى عن ربه وصفاً أثبته لنفسه، فالله – جل وعلا – يثبت لنفسه صفات كمال وجلال، فكيف يليق بمسكين أن يتقدم بين يدي رب العالمين ؟ فعليه أن يؤمن بصفات ربه جل وعلا منزهاً ربه عن مشابهة صفاته لصفات الخلق. [2]

قال الصابوني [3] مبيناً عقيدة السلف في أسماء الله تعالى وصفاته ، أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم، يشهدون لله – تعالى – بالوحدانية، وللرسول بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له – جل وعلا – ما أثبت لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه وتعالى عليه في قوله عز من قائل ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:75]، ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على

(1) انظر: الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج47/1).

(2) انظر: الأشقر، العقيدة فى الله (ج220/1).

(3) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني، مقدم أهل الحديث فى بلاد خرسان، لقبه أهل السنة فيها بشيخ الاسلام، فلا يعنون عند اطلاقهم هذه اللفظة على غيره، توفي سنة 449هـ، انظر: الزركلي، الأعلام (ج317/1)، الحموي، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (ج726/2).

النعمتين، أو القوتين، ولا يكيفونهما بكيف، ولا يشبهونها بأيدي المخلوقين، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف، ومنَّ عليهم بالتعريف، والتفهيم، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله – عز وجل – ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]. (1)

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح، من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة، والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين؛ بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل. (2)

وقد بين الشوكاني – رحمه الله – هذا المعنى في مواضع مختلفة من مؤلفاته، من ذلك قوله في معرض رده على أهل الكلام:

" وقد يغني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المكلفين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه، وأنزلهما على رسوله، وهما ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 110]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11]، فإن هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب ، وتضمنتا بما يعين أولي الألباب السالكين في تلك الشعاب، فالكلمة منها دلت دلالة بينة على أن كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق، فهو مشوب بشعبه من الجهل، مخلوط بخلوط منافيه للعلم، ومباينه له، فإن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علماً، فمن زعم أن ذاته كذا، أو صفته كذا، فلا شك أن صحة ذلك متوقفة على الإحاطة، وقد نفيت من كل فرد من الأفراد علماً ". (3)

" وأما الكلمة وهي " لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ " فيها يستفاد نفى المماثلة في كل شيء، فيندفع بهذه الآية في وجه المجسمة، وتعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع البصير، وعند ذكر السمع، والبصر، واليد، والاستواء، ونحو ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة، فتقرر بذلك لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات، فيدفع به جانبي الإفراط والتفريط، وهما:

(1) انظر: العقل، شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث (ج2/2).

(2) انظر: المرجع السابق (ج3/2).

(3) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج46/1).

المبالغة في الاثبات المفضية إلى التجسيم، والمبالغة في النفى المفضية إلى التعطيل، فيخرج من بين الجانبين، وغلو الطرفن ، وبذلك نعلم أحقية مذهب السلف الصالح، وهو قولهم بإثبات ما أثبته لنفسه من الصفان على وجه لا يعلمه إلا هو، فإنه القائل ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

ثالثا: مذهب أهل السنة والجماعة من السلف في الصفات

يرى أهل السنة والجماعة من السلف إثبات ما أثبته الخالق لنفسه من الصفات، التي وردت في الكتاب والسنة، والإيمان بها دون تشبيه لصفاته بصفات خلقه، ودون تحريف بها عن معانيها الحقيقية، ودون البحث عن كيفيتها ولا عن كنهها، ونفى ما نفاه من صفات لا يجوز ولا يليق أن يوصف بها سبحانه وتعالى. وهو منهج وسط بين المعطلة من الجهمية (1) والمعتزلة (2) ومن سلك مسلكهم من الأشاعرة (3)، وغيرهم من الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته.

" ومعنى ذلك أن لا يصف الله من هو أعلم بالله من الله. قال تعالى : ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: 140]، كما أنه لا أعلم بالله بعد الله من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي قال في حقه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4].

---

(1) هي احدي الفرق المنحرفة عن المنهج القويم، نسبة إلى الجهم بن صفوان، الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل، وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، وقال بخلق القرآن. انظر: الاسفرائيني، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ج199/1)، الشهرستاني، الملل والنحل (ج86/1).

(2) فرقة من الفرق العقائدية المنحرفة الضالة، مؤسسها واصل بن عطاء، وسموا معتزلة لاعتزالهم منهج أهل السنة والجماعة، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، ويثبتون الأسماء وينكرون جميع الصفات، ذاتية أو فعلية ، انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج49/1)، البغدادي، الفرق بين الفرق (ج15/1).

(3) فرقة كلامية من فرق المتكلمين، أتباع أبي الحسن الأشعري، والأشاعرة لا يثبتون من الصفات إلا سبعاً ؛ لأن العقل دل على إثباتها، ويطلقون عليها صفات المعاني وهي: الحياة، والقدرة، والإرادة، والعلم، والكلام، والسمع، والبصر، ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية رغم ورود النصوص فيها من الكتاب والسنة. انظر:الشهرستاني، الملل والنحل (ج95/1).

" فالله أعلم بكيفية ذاته، وماهية صفاته؛ بل العلم كله له، وقالوا كما قال من قال من اشتغل بعلم المحال، فلم يظفر بغير القيل والقال ". [1]

قال ابن تيمية – رحمه الله – " فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله: نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه ". [2]

ومعنى ذلك أن الإثبات ليس تشبيهاً ؛ لأن القرآن تحدث عن الصفات الإلهية بالإثبات، والله قد سمى بعض عباده بما يسمي به نفسه، كالعلم والسمع والبصر، والله موجود والعبد موجود، وليس إثبات هذه الصفات لله يقتضي مشابهته لشيء من خلقه في أي منها ؛ لأنه لا يلزم من اتفاقهما في مسمي الصفة اتفاقهما في حقيقة الصفة ؛ لأن الله تعالى لا يقاس بخلقه، فلا يستعمل في حقه قياس التمثيل أو الشمول؛ بل يستعمل في ذلك قياس الأولى. [3]

فوصف الله تعالى بالصفات التي توصف ببعضها المخلوقات لا تقتضي التشبيه بأي حال، ما دمنا نفرق بين اطلاق اسم ما على الله، وبين اطلاقه على شيء من المحدثات، وذلك لبطلان طريقة قياس الغائب على الشاهد. [4]

فليس صفاته من علم وقدرة وحياة وكلام كصفات المخلوقين من العلم والقدرة والحياة والكلام، فصفات الله لابقة بجلاله ومناسبة لكماله، وصفات المخلوقات مناسبة لضعفهم وافتقارهم.

وقد أذعن الشوكاني على ما نطق به الكتاب والسنة فمنع التأويل، وأثبت الحقيقة المتبادرة من ظواهر النصوص التي وردت في هذه الصفات الإلهية، وأجرى أخبارها على ظواهرها " من دون تكييف ولا تكلف، ولا قيل ولا قال ولا قصور ". [5]

وقال " فمن جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف، ولا واقف في طريق النجاة، ولا معتصم عن الخطأ، ولا سالك طريق السلامة والاستقامة ". [6]

---

(1) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج47/1).
(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج3/3).
(3) انظر: الجلنيد، ابن تيمية وقضية التأويل (ج299/1).
(4) انظر: خفاجي، العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (ج235/1).
(5) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج53/1).
(6) المرجع السابق، ص53.

ومما سبق يتبين لنا عن طريق الشرع أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 4]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22].

والحق في صفات الله تعالى هو إمرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تمثيل، فإن هذا هو مذهب السلف الصالح والتابعين.

قسم الشوكاني – رحمه الله – نفاة الصفات إلى طائفتين، ويقصد بهما: المعتزلة القدرية، والجبرية الجهمية، فقال:

الطائفة الأولى " وهي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت إلى حد يقشعر عنده الجلد، ويضطرب له القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتاً أوضح من شمس النهار، وأظهر من فلق الصباح، وظنوا هذا من صنيعهم موافقاً للحق، ومطابقاً لما يريد الله سبحانه، فضلوا الطريق المستقيم، وأضلوا من رام سلوكهم ". [1]

الطائفة الثانية " وهي التي غلت في إثبات القدرة، غلواً بلغ إلى حد أنه لا تأثير لغيرها ولا اعتبار بما سواها، وأفضى ذلك إلى الجبر المحض والقسر الخالص، فلم يبقَ لبعث الرسل وإنزال الكتب فائدة، ولا يعود ذلك على عباده بفائده، وجاءوا بتأويلات للآيات البينات ومحاولات لحجج الله الواضحات، فكانوا كالطائفة الأولى في الضلال والإضلال ". [2]

" وذكر طائفة ثالثة ويقصد بها الأشاعرة، توسطت ورامت الجمع بين الضب والنون [3]، وظنت أنها وقفت بمكان بين الإفراط التفريط، ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف تجادل وتناضل، وتحقق وتدقق في زعمها وتجول على الأخرى وتصول [4] بما ظفرت مما يوافق ما ذهبت إليه " وكل حزب بما لديم فرحون " وعند الله تلتقي الخصوم ". [5]

---

(1) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج27/1).

(2) المرجع السابق، ص27.

(3) الضب: حيوان معروف، والنون: الحوت يقال: رام الجمع بين الضب والنون ، انظر: الداية، معجم المصطلحات العلمية والعربية (ج270/1).

(4) صال على قرينه صولا وصيالا: سطا واستطال، وصال عليه وثب، انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ج1023/1)، الرازي، مختار الصحاح (ج375/1).

(5) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج27/1–28).

وقد ذم الشوكاني – رحمه الله – علم الكلام وأهله، وقال أن مسائله مبنيه على مجرد الدعاوي على العقل [1]، وبين بدعتهم في رد الآيات والأحاديث التي تخالف عقولهم المريضة، فذكر أن كل قول من أقوالهم صادرة عن جهل، ولا سيما إذا كان في ذات الله وصفاته، فإن ذلك من المخاطرة في الدين ما لم يكن من المسائل. [2]

وهكذا اشتد انكار الشوكاني – رحمه الله – على المتكلمين، ومناهجهم، وقرر أن المذهب الحق في الصفات هو إمرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تكلف ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل، وإن ذلك هو مذهب السلف والتابعين وتابعيهم. [3]

وقد ندم الشوكاني – رحمه الله – على تضييع جزءاً من عمره في قراءة المختصرات والمطولات من علم الكلام، وكانت حصيلته بعد هذه الدراسة الحيرة والخيبة، لذلك يقول " قلت هذا بعد تضيع برهة من العمر من الاشتغال به، والأكباب على مطالعة كثير من مختصراته ومطولاته، حتى قلت عند الوقوف على حقيقته من أبيات منها:

وغاية ما حصلته من مباحثي ومن نظري من بعد طول التدبر

هو الوقف ما بين الطريقين حيرة فما علم من لم يلق غير التحير

على أنني قد خضت غماره وما قنعت نفسي بغير التبحر " [4]

مما سبق يتبين لنا موقف الشوكاني الموافق لابن كثير والسلف– رحمهم الله – ، في إثبات أغلب الصفات الإلهية المذكورة في القرآن والسنة، ومنعه تأويلها، أو تكييفها، كما سيأتي معنا في هذا المبحث عند الحديث عن بعض الصفات إن شاء الله ؛ لأنها صفات كمال لا بد أن يتصف بها الله تعالى ؛ ولأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، ولا أعلم من رسول الله الذي لا ينطق عن الهوي، فلم يترك لنا مجالاً للشّك والالتباس.

---

(1) انظر: الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الإرب (ج123/1).

(2) انظر: الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج46/1).

(3) المرجع السابق، ص44.

(4) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج48/1).

وفى هذا المبحث سنتعرض لذكر عدد من أسماء الله وصفاته الواردة في سورة الرعد

أولا: الأسماء الواردة في السورة

وقد تناول ابن كثير و الشوكاني – رحمهما الله تعالى – الحديث عن أسماء الله تعالى في غير موضع من مؤلفاته، ففى قوله تعالى ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: 110]، قال ابن كثير – رحمه الله – " أي لا فرق بين دعائكم له باسم " الله " أو باسم "الرحمن"، فإنه ذو الأسماء الحسنى، كما قال تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: 22]،[1] ، وقال الشوكاني– رحمه الله – " ومعنى حسن الأسماء استقلالها بنعوت الجلال والإكرام ". [2]

وقال الشوكاني– رحمه الله – في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الإعراف: 180]، " هذه الآية مشتملة على الإخبار من الله سبحانه بما له من الأسماء على الجملة دون التفصيل، والحسنى تأنيث الأحسن، أي التي هي أحسن الأسماء، لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول [3]. وهو الله سبحانه وتعالى. ولذلك أمرهم بأن يدعوه بها عند الحاجة، فإنه إذا دعي بأحسن أسمائه "وأسمائه كلها حسنى" كان ذلك من أسباب الإجابة، وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة: " إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة"[4][5].

وقد أثبت الشوكاني – رحمه الله – كغيرة من علماء السلف كابن كثير وغيره – رحمهم الله – أسماء الله تعالى، كما وردت في الكتاب والسنة، وأثبت ما دلت عليه من الصفات الكمالية؛ لأن أسماء الله تعالى دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني لها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مدح ولا كمال.

وهكذا كل اسم من أسماء الله لها معانيها، وهي صفات كماله جلّ وعلا، خلافاً لما ذهب إليه المعتزلة، أثبتوا لله أسماء مجردة عن المعاني، وزعموا أن الله سميع بلا سمع، وعليم بلا علم

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج128/5).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج315/3).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج305/2).

(4) [البخاري، صحيح البخاري، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا فى الاقرار والشروط التي يتعا رفها، (981/2، ح 2585)]، و[مسلم، صحيح مسلم، باب فى أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، (2063/4، ح 2677)].

(5) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج305/2).

وهكذا، والجهمية الذين نفوا ثبوت الأسماء والصفات ليزعموا تصور وجود ذات مجردة عن الأسماء والصفات معاً، وهو من أفسد مزاعمهم ؛ لأنه ضرب من المحال. [1]

وطريقة إثبات أسماء الله تعالى عند أهل السنة، طريقة التوقيف ؛ لأنها توقيفة، أي ليس هناك وسيلة لمعرفة أسماء الله إلا عن طريق الكتاب والسنة، لأنها من أمور الغيب التي لا مجال للعقل فيها. [2]

فلا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثابتة لله أسماء إلا إذا ورد نص إما في الكتاب والسنة ؛ لأن الله أعلم بنفسه من خلقه؛ ولأن رسوله لا ينطق عن الهوى.

قال ابن تيمية – رحمه الله – " وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيء، لكن قد يكون باسم حسن، أو باسم ليس بسيء، وإن لم يحكم بحسنه، مثل اسم: شيء وذات وموجود ". [3]

وقال ابن القيم– رحمه الله – " ما يدخل في باب الإخبار عنه أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى ". [4]

فالأسامي التي قد تطلق على الله تعالى عن هذا الطريق قد لا تكون لائقة المعنى بالنسبة لله، كأن يجعل من أسمائه الحسنى: المضل، والماكر، والفاتن، والمستهزئ مثلا ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمي بأسمائها المطلقة. [5]

فالاعتقاد الصحيح يُبنى على ما ثبت في الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة، وقد أجمعوا على إثبات الصفات الواردة لله تعالى في الكتاب والسنة، دون تكييف أو تمثيل، ودون تعطيل أو تأويل، لا فرق في ذلك بين صفات الذات أو صفات المعاني، أو الصفات الخبرية، أو العقلية، فكل ما صح به الخبر وجب إثباته لله تعالى.

---

(1) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ج322/1)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج8/3).

(2) انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد (ج162/1).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج142/6).

(4) ابن القيم، بدائع الفوائد (ج161/1).

(5) المرجع السابق (ج162/1).

ومن الأسماء الواردة في السورة

1- الكبير 2- المتعال

لقد دلت السورة على أن من أسمائه – تعالى – الكبير المتعال كما في قوله تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: 9]، فقد سمى الله سبحانه وتعالى نفسه بالكبير الذي هو أكبر من كل شيء، المتعال على كل شيء، قد أحاط بكل شيء علماً، وقهر له كل شيء، فخضعت له الرقاب، ودان له العباد طوعاً وكرهاً. [1]

وقوله ﴿ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ كقوله ﴿ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه ؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه تعالى وتقدس وتنزه عز وجلّ عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً. [2] وهنا أثبت ابن كثير– رحمه الله – العلو بأقسامه الثلاث، علو القدرة ، علو الذات، وعلو القهر.

وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد، فهو سبحانه لا معارض له ؛ بل ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ولا مثل له كقوله ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: 4] [3]

" ومعناه المرتفع عن أن يجوز عليه ما يجوز على المحدثين، من الأزواج، والأولاد، والجوارح، والأعضاء، واتخاذ السرير للجلوس عليه، والاحتجاب بالستور عن أن تنفذ الأبصار إليه، والانتقال من مكان إلى مكان ونحو ذلك، فإن إثبات بعض هذه الأشياء يوجب النهاية، وبعضها يوجب الحاجة، وبعضها يوجب التغير والاستحالة، وشيء من ذلك غير لائق بالقديم ولا جائز عليه " [4]، " الموصوف بالجلال، وكبر الشأن، فصغر دون جلاله كل كبير". [5]

فالكبير المتعالِ أي العظيم الجليل الذي كل شيء دونه، المستعلي والمتنزه عن صفات المخلوقين، قال السعدي – رحمه الله – " الكبير الذي له الكبرياء في ذاته، وصفاته، وله

---

(1) انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج661/2).
(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج449/5).
(3) انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج149/1).
(4) البيهقي، الأسماء والصفات (ج96/1).
(5) المرجع السابق (ج99/1).

الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض " "[1] المصرف عباده على ما يريده منهم من غير أن يروه ".[2]

وهو سبحانه الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلّ وأعلى. وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه.[3]

" ولا شك أن ما وصف الله به من هذه الصفات الجامعة، العلو والكبر والعظم منافٍ لما وصف به المخلوق منها، كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق، فلا مناسبة بين ذات الخالق والمخلوق، كما لا مناسبة بين صفة الخالق وصفة المخلوق ".[4]

قال الشوكاني – رحمه الله – في تفسير قوله " الكبير المتعال " أي العظيم الذي كل شيء دونه، المتعالي عما يقوله المشركون أو المستعلى على كل شيء بقدرته وعظمته وقهره ".[5]

قلت وهنا خالف الشوكاني ابن كثير في إثبات علو الذات الذي هو أحد معاني العلو الثابتة له سبحانه، فهو المتعالى على كل شيء بقهره، والمتعالي عن كل سوء ونقص بكماله، ولكنه لم يذكر المعنى الآخر، وهو المتعالى بذاته فوق خلقه، كأنه مشى على طريقة المتكلمين في تأويل صفة العلو والقهر، فذكر علو القهر وتعطيل علو الذات تعطيل بحت.

فلم يثبت الشوكاني رحمه الله من خلال تفسيره لهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى عالٍ فوق خلقه، بائن عنه، ولا يحصره، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، كما أثبته في رسالة التحف التي بين فيها مذهب السلف الصالح في الصفات فعندما سئل عن صفة العلو قال " إن الله سبحانه في سمائه، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وعلمه في كل مكان "[6]، ولم يفرق بين صفة وصفة، بل أجراها على ظاهرها مع اعتقاد معناها، من دون تأويل ولا تعطيل، ومن دون تشبيه ولا تمثيل. ولعل ما قرره في رسالته هو الذي يمثل منهجه الحقيقي والله تعالى أعلى وأعلم.

والعلو ثلاثة أقسام:

1- علو الذات: فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى، أي علا وارتفع.

---

(1) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ج224/1).

(2) الشنقيطي، الأسماء والصفات نقلا وعقلا (16/1).

(3) انظر: القحطاني، الثمر المجتبى مختصر شرح أسماء الله الحسنى فى ضوء الكتاب والسنة (ج13/1).

(4) الشنقيطي، الأسماء والصفات (ج16/1)، الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ج23/1)،

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج94/3).

(6) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج18/1).

2- علو القدر: وهو علو صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق؛ بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا [طه: 110].

3- علو القهر، فإنه الواحد القهار، الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه مانع، وما لم يشأ لم يكن، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه. (1)

قال ابن القيم – رحمه الله –

"وله العلو في الوجوه جميعاً ذاتاً وقهراً مع علو الشأن

لكن نفاة علوه سلبوه إكـ مال العلو فصار ذا نقصان

حاشا من إفك النفاة وسلبهم فله الكمال المطلق الربان" (2)

وألفاظ العلو لم تستعمل في القرآن عند الإطلاق إلا في معنى علو الذات، وهذا المعنى مستلزم لمعاني العلو الأخرى. (3)

" وقد بسط العلماء – رحمهم الله – أدلة العلو في كتبهم، فقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية عن بعض أكابر الإمام الشافعي أنه قال " في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله عالٍ على الخلق، وأنه فوق عباده، وقال غيره فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك ". (4)

قال ابن عبد البر (5)– رحمه الله – " ومن الحجة في أنه سبحانه وتعالى على العرش، فوق السموات السبع، أن الموحدين من العرب والعجم إذا كربهم أمر، أو نزلت بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء، ونصبوا أيديهم رافعين مشرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك

---

(1) انظر: ابن القيم الجوزية، شرح القصيدة النونية (ج200/1).

(2) ابن القيم الجوزية، المتن القصيدة النونية (ج73/1).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج359/16).

(4) المرجع السابق (ج121/5).

(5) يوسف بن عبد الله بن محمد بن النمري المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث، يقال له حافظ المغرب، لم يدخل فى علم الكلام، له مؤلفات عظيمة منها (التمهيد) و (جامع البيان)، توفي سنة 463هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج357/13)، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج66/7).

وتعالى، هذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته ؛ لأنه اضطراري، لم يخالف فيه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم ". [1]

3 – الهادي

لقد ورد في السورة ما يدل على اسم الهادي لله سبحانه كما في قول الله عز وجل:

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: 7]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ ﴾ [الرعد: 31]، وقوله: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد، 33].

قال ابن كثير وهذا الاسم " فيه إشارة إلى أنه تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها... كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال". [2]

ففى الآية الأولى ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ " المقصود بالهادي الله عز وجل، فإنه القادر على ذلك، وليس لأنبيائه إلا مجرد الإنذار". [3]

وأما الآية الثانية ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ ﴾ أي أفلم ييأس الذين الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الكفار لعلمهم أن الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم ؛ لأن المؤمنين تمنوا نزول الآيات التي اقترحها الكفار طمعاً في إيمانهم. [4]

وأما الآية الثالثة ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ " أي يجعله ضالاً وتقتضي مشيئته إضلاله، فما له من هاد يهديه إلى الخير وهذا كقوله ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [النحل: 37][5].

---

(1) ابن عبد البر، التمهيد لما فى الموطأ من المعاني والأسانيد (ج134/7).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج21/8).
(3) الشوكاني، فتح القدير (ج94/3).
(4) المرجع السابق (ج116/3).
(5) المرجع نفسه (ج117/3).

وسيتم توضيح هذه الآيات بشكل مفصل عند الحديث عن مراتب القدر "مرتبة المشيئة " بإذن الله تعالى.

الهادي من أسماء الله الحسنى، وهو الذي هدى، ومنَّ بهدايته على من يشاء من عباده، ودل خلقه على معرفته بربوبيته وصفاته وألوهيته، ودلهم على طريق النجاة وهو الاسلام، قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي – رحمه الله – في تفسيره " الهادي: أي الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقاده لأمره (1) وهو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده ". (2)

قال الشوكاني – رحمه الله – في فتح القدير " هداية الله سبحانه لعباده إلى الحق هي بما نصَّبه لهم من الآيات في المخلوقات، وإرساله للرسل، وإنزاله الكتب، وخلقه لما يتوصل به العباد إلى ذلك من العقول والأفهام والأسماع والأبصار " (3)، " وهدايته ودلالته من مقتضى اسمه الهادي، وفى الأثر المنقول عن أحمد بن حنبل أنه أمر رجلاً أن يقول " يا دليل الحيارى دلني على طريق الصادقين واجعلني من عبادك الصالحين ". (4)

والهداية هي دلالة بلطف، وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة وجوه:

الأول: الهداية التي عمّ بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة، كما قال تعالى ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:50].

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن، وهو المقصود بقوله ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ [السجدة: 24].

الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى، وهو المعنى بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى﴾ [محمد: 17].

---

(1) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ج242/1).

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج4638/6).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج505/2).

(4) الالكائي، كرامات الأولياء من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج271/9)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج207/1).

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة، المعنى ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ [محمد: 5]. [1]

يتبين من خلال هذا أن الشوكاني وافق ابن كثير – رحمهما الله – في إثبات اسم الهادي لله عز وجل، فهو يهدي القلوب القاسية، وهادي الحيارى إلى الصراط المستقيم.

4- الله (والإله)

لقد دلت سورة الرعد على إثبات اسم الله جل وعلا في موضعين هما:

الموضع الأول: قرر الله تعالى في سورة الرعد في قوله ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ﴾ أنه لا إله إلا هو ؛ لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلقهم وخلق السموات والأرض.

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف:87]، وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، وأولئك الآلهة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعاً ولا ضراً. [2]

وأما الآية الثانية في قوله تعالى ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [3] أي هذا الذي تكفرون به، أنا مؤمن به معترف، مقر له بالربوبية والألوهية، ولا يستحق العبادة والإيمان به سواه، عليه توكلت في جميع أموري، وإليه أرجع وأنيب. [4]

قال الشوكاني – رحمه الله – " وفيه تعريض للكفار، وحث لهم على الرجوع إلى الله، والتوبة من الكفر، والدخول في الاسلام ". [5]

قلت هنا يتوافق الشوكاني مع ابن كثير– رحمهما الله – في إثبات اسم الله الأعظم (الله) جل جلاله وهما اسمان ثابتان لله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه، ومنها نثبت صفة الإلهية لله تعالى، ومن الآيات التي تدل على ذلك في سورة الرعد ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ﴾ [الرعد: 16]، وقوله ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:

---

(1) انظر: القحطاني، الثمر المجتبي (60/1).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج678/2).

(3) هذه الآية تم الحديث عنها بشكل مفصل عند الحديث عن عبودية التوكل صفحة 91.

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج678/2).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج112/3).

30]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – " الله المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال ". [1] والله هو المعبود بحق، وهو علم على الذات العلية المقدسة، وقيل: هو اسم الله الأعظم، ولم يتسِّم بهذا الاسم غيره، أما الإله فإنه يطلق على المعبود سواء كان بحق أو باطل، فهو يطلق على الله وعلى غيره. [2]

واسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فإنه دال على ألوهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه، وصفاته هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف: 180]. فيقال: الرحمن الرحيم، والعزيز، من أسماء الله، ولا يقال الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز، ونحو ذلك. [3]

قال الخطابي [4] – رحمه الله – عن هذا الاسم العظيم "الله": " إنه أشهر أسماء الرب – تعالى – وأعلاها محلاً في الذكر والدعاء، وكذلك جعل أمام سائر الأسماء وخصت به كلمة الإخلاص، ووقعت به الشهادة ؛ فصار شعار الإيمان، وهو اسم ممنوع، لم يتسِّم به أحد، قد قبض الله عنه الألسن، فلم يدع به شيء سواه ". [5]

5- الخالق

اسم من أسماء الله تعالى المبدع للشيء المخترع له لا عن مثال سابق [6] وجاء في اللسان " الخلاق في التنزيل هو الله الخالق البارئ المصور ". [7]

" ومن صفات الله تعالى الخالق والخلاق، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله عز وجلّ، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة ". [8]

---

(1) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ج164/1).

(2) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج56/1).

(3) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج56/1).

(4) حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان، فقيه، محدث، له تصانيف عديدة منها " بيان إعجاز القرآن " و " إصلاح غلط المحدثين " و " غريب الحديث "، انظر: الزركلي، الأعلام (ج273/2).

(5) الخطابي، شأن الدعاء (ج30/1-31).

(6) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج230/1)، المعجم الوسيط (ج252/1).

(7) ابن منظور، لسان العرب (ج1243/2).

(8) المرجع السابق (ج1244/2)، الأزهري، تهذيب اللغة (ج16/7).

والخلاق من أفعال المبالغة من الخالق، وتدل على كثرة خلق الله تعالى وإيجاده، قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: 86].

قال ابن كثير –رحمه الله– "والله الخالق للأشياء، المالك لأزمة الأمور، المتصرف فيها القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته وفى مشيئته، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا نظير له، ولا وزير، ولا عديل، ولا والد، ولا ولد، ولا صاحبه، فلا إله غيره ولا رب سواه".[1]

لقد ورد في سورة الرعد ما يدل على إثبات اسم الخالق لله كما في قوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: 16]، فالأصل في الخلق أن الله هو الخالق، فلا يوجد خلق غير خلقه، ولا يوجد خالق سواه، " كائناً ما كان ليس لغيره في ذلك مشاركة بوجه من الوجوه، قال الزجاج: والمعنى أنه خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقاً، ترى أنه تعالى خالق كل شيء وهو غير مخلوق " [2] " الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل، ولا يزال على هذا الوصف العظيم ". [3]

قلت والشوكاني – رحمه الله – هنا يتفق مع ابن كثير – رحمه الله – في إثبات اسم الخالق لله جل وعلا، إذ الخالق من أسماء الله عز وجل، بمعنى المقدر للأشياء على مقتضى إرادته ومشيئته، ومن مقتضيات هذا الاسم أن الخالق هو الله وحده لا أحد سواه، فينبغي أن يوجه إليه الإنسان العبادة بكل أشكالها، لكي يفوز بكلتا الدارين ويسعد في الجنة إلى الأبد، فيمتلئ قلبه باليقين، أما إن توجه إلى غيره بالعبادة فقد ضل سواء السبيل.

6- الحكم

يوصف الله عز وجل بأنه الحاكم والحكم، والحكم اسم ثابت له بالكتاب والسنة.

والحكم والحاكم بمعنى واحد، إلا أن الحكم أبلغ من الحاكم، وهو الذي إليه الحكم فيحكم ويفصل ويقضي في سائر الأمور، وأصل الحكم منع الفساد والظلم ونشر العدل والخير. [4]

---

(1) تفسير ابن كثير (ج236/3).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج102/3).

(3) القحطاني، الثمر المجتبى (ج95/1).

(4) السقاف، صفات الله عز وجل الواردة فى الكتاب والسنة (ج121/1).

قال الأزهري[1] " من صفات الله الحكم والحكيم والحاكم، ومعاني هذه الأسماء متقاربة والله أعلم بما أراد بها وعلينا الإيمان بأنها من أسمائه"[2] ، " جاء في مختار الصحاح ﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾ [الرعد: 41]، أي لا أحد يتعقب حكمه بنقض ولا تغيير ".[3]

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير معنى الحكم " أي هو أحكم الحاكمين، الذي لا يجور ولا يظلم أحداً".[4]

" أي يحكم ما يشاء في خلقه، فيرفع هذا ويضع هذا، ويحيي هذا ويميت هذا، ويغني هذا ويفقر هذا، وقد حكم بعزة الاسلام وعلوه على الأديان... ولا يتعقب أحد حكم الله سبحانه بنقص ولا تغيير " [5] " ويدخل في هذا حكمه الشرعي، والقدري، والجزائي، فهذه الأحكام التي يحكم الله فيها توجد في غاية الحكمة والإتقان، لا خلل فيها ولا نقص؛ بل هي مبنية على القسط والعدل والحمد، فلا يتعقبها أحد، ولا سبيل إلى القدح فيها، بخلاف حكم غيره، فإنه قد يوافق الصواب وقد لا يوافقه ". [6]

فالحاكم الدنيوي يقضي، ولكن قضاءه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً، وإنما هو بحسب الظاهر فقط، أما حكم الله تعالى فهو الحق المحض الذي لا يمكن أن يقع فيه اختلاف ولا لبس، وهذا وجه الفرق بين صفة الله وصفة المخلوق [7] فالحكم يثبت لله سبحانه وتعالى، لكن حكم الله بالحق دائماً، وحكم المخلوق الله أعلم به، فقد يوافق الحق وقد لا يوافقه ". [8]

---

(1) محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحه الأزهري الهرري اللغوي الشافعي، أبو منصور، كان رأسا فى اللغة والفقه، ثقة ثبتا دينا، من تصانيفه كتاب تهذيب اللغة، وكتاب التفسير، وكتاب الروح، وكتاب الأسماء الحسنى، توفي سنة 37 هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج328/12).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة (ج69/4)، ابن منظور، لسان العرب (ج951/2).

(3) الرازي، مختار الصحاح (ج467/1).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج435/8).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج125/3).

(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص374).

(7) الشنقيطي، سلسلة الأسماء والصفات (2/8).

(8) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

قال السعدي رحمه الله " ومن أسمائه الحكم [1] العدل، الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله، وقسطه فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمل أحد وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه ". [2]

والحكم العدل الذي إليه الحكم في كل شيء، فيحكم تعالى بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، من الطرق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويحكم فيها بأحكام القضاء والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه حتى من قضي عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة. [3]

قلت الشوكاني هنا وافق ابن كثير– رحمهما الله – في معنى اسم الحكم لله تعالى، فالله وحده هو الحاكم للنفوس، وليست الأهواء المتحكمة المتعصبة، فلا قهر للأقوياء على الضعفاء، ولا الأغنياء على الفقراء، إنما هو الرحمة والعدل والإحسان، ولا ناقض ولا مغير ولا راد لحكمه.

7- الشهيد

إن من أسماء الله تعالى الشهيد، الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يغيب عن علمه شيء؛ بل هو المطلع على كل شيء، مشاهد له، عليم بتفاصيله. [4]

وهو على وزن فعيل، وهو من أبنية المبالغة، فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم ، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد ". [5]

---

(1) دليل هذا الاسم قوله صلى الله عليه وسلم " إن الله هو الحكم، وإليه الحكم "، [أخرجه أبو داود فى سننه، باب تغير الاسم القبيح، (289/4، ح 4955)]، و[النسائي، السنن الصغرى، (226/8، ح 5387)]، وحكم عليه الألباني فى سنن أبو داود والنسائي صحيح.

(2) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ج185/1)، وانظر: القحطاني، الثمر المجتبى (ج66/1)، القحطاني، عقيدة المسلم فى ضوء الكتاب والسنة، المفهوم، والفضائل (ج286/1)، المزيد، تعظيم الله جل جلاله " تأملات وقصائد " (ج132/1).

(3) انظر: الهراس، شرح نونية ابن القيم (ج285/2)، السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ج185/1)، الجليل، ولله الأسماء الحسنى (ج432/1).

(4) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج433/3).

(5) ابن منظور، لسان العرب (ج2348/4).

فاسم الشهيد يدل على ذات الله، وعلى صفة الشهادة بدلالة المطابقة، قال تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 19]، والمتأمل في القرآن يجد أن الله قد سمى نفسه شهيداً، وقد ورد في سورة الرعد ما يثبت ذلك، فقال عز من قال ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 43]، قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيرها " أي حسبي الله هو الشاهد على وعليكم. شاهد فيما بلغت عنه من الرسالة، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان " [1]، " فهو يعلم صحة رسالتي وصدق دعواتي ويعلم كذبكم ". [2]

وجاء في موضع أخر ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166]، قال ابن كثير – رحمه الله – " فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليك الكتاب، وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

"أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ" أي فيه علمه الذي أراد أي يطلع العباد عليه، من البينات والهدى والفرقان وما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة، التي لا يَعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب، إلا أن يُعلمه الله به.

" وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ" أي بصدق ما جاء وأوحي إليك وأنزل عليك، مع شهادة الله تعالى لك وكفى بالله شهيداً ". [3]

قال الحليمي[4]– رحمه الله – في تفسير معنى الشهيد " المطلع على ما لا يعلمه المخلوقين إلا بالشهود وهو بالحضور، ومعنى ذلك أنه وإن كان لا يوصف بالحضور الذي هو

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج686/2).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج125/3).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج476/2).

(4) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، القاضي، العلامة، رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر، أحد الأذكياء، ومن أصحاب الوجوه فى المذاهب، كان متقننا، سيال الذهن، مناظرا، طويل الباع فى الأدب والبيان، وله تصانيف نفسة، توفي سنة 143هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج35/3)، السمعاني، الأنساب (ج221/4).

المجاورة أو المقاربة في المكان، فإن ما يجري ويكون من خلقه لا يخفى عليه كما يخفى على البعيد النائي عن القوم ما يكون منهم ". [1]

وقال ابن الأثير [2]– رحمه الله – " الشهيد هو الذي لا يغيب عنه شئ، يقال: شاهد وشهيد، كعالم وعليم ، أي أنه حاضر يشاهد الأشياء ويراها [3] المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شئ، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوا ". [4]

" فإذا كان الله رقيباً على دقائق الخفيات، مطلعاً على السرائر والنيات، كان من باب أولى شهيداً على الظواهر والجليات. وهي الأفعال التي تفعل بالأركان: أي بالجوارح ". [5]

وإن المتأمل في القرآن يجد أن الله كما سمى نفسه شهيداً، فإنه قد سمى بعض عباده شهيداً كما قال سبحانه ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النحل: 89]، وقوله تعالى ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: 78]، ، ولا يلزم من ذلك اتفاق الخالق والمخلوق في المسمى، وقد ذكر الشيخ الحافظ الحكمي [6] – رحمه الله – هذه المسألة ووضح أن الله تعالى قد سمى نفسه سميعاً بصيراً، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سميعاً بصيراً، وسمى نفسه رؤوفاً رحيماً، وأخبر أن نبيه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وهو حكيم وسمى بعض عباده حكيم ، وهو شهيد وسمى بعض عباده شهيداً وغير ذلك، فلا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق الأسماء ومقتضياتها، فليس

---

(1) البيهقي، الأسماء والصفات (ج125/1).

(2) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني، أبو السعادات، الجزري، الموصلى، القاضي، الرئيس العلامة البارع، الأوحد، البليغ، مجد الدين، صاحب جامع الأصول وتميز الحديث وغير ذلك، توفي سنة 166هـ بالموصل، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج45/16)، شذرات الذهب (ج52/1)، ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج141/4).

(3) ابن الأثير، جامع الأصول فى أحاديث الرسول (ج173/4).

(4) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ج211/1)، وانظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج433/3).

(5) الهراس، شرح نونية ابن القيم (ج89/2)، القحطاني، عقيدة المسلم (ج269/1).

(6) هو حافظ بن أحمد بن على الحكمي: فقيه أديب، من علماء (جيزان) بين الحجاز واليمن ولد فى قرية (السلام) التابعة لمدينة المضايا، جنوبي جيزان. ونشأ بدويا يرعى الغنم ثم قرأ القرآن. ولما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم وهو يواصل رعي غنمه. ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله من كتبه المطبوعة وكلها رسائل " الجوهرة الفريدة فى العقيدة " و " اللؤلؤ المكنون فى أحوال السند والمتون " و " الأصول فى نهج الرسول "، وغيرها، توفي سنة 1377هـ. انظر: الزركلي، الأعلام (ج159/2).

السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، ولا الرأفة كالرأفة، ولا الرحمة كالرحمة، ولا الشهادة كالشهادة، كما أنه ليس المخلوق كالخالق، ولا المحدث الكائن بعد أن لم يكن كالأول الآخر الظاهر الباطن، وليس الفقير العاجز عن القيام بنفسه كالحي القيوم الغني عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، فصفات الخالق الحي القيوم قائمة به، لائقة بجلاله، أزلية بأزليته، دائمة بديموميته، لم يزل متصفا بها، ولا يزال كذلك، لم تسبق بضد ولم تعقب به؛ بل له تعالى الكمال المطلق أولاً وأبداً، وقد قال عن نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فمن شَبَّه الله تعالى بخلقه فقد كفر، ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه. (1)

ثانيا: الصفات الواردة في السورة

إن صفات الله جل جلاله تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: **صفات ذاتية**، وهي ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال، وهي صفات لا تنفك عن ذاته سبحانه، كالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والملك والعظمة والكبرياء والعزة والعلو ونحو ذلك. (2)

والآخر: **صفات فعلية** ، وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل، وهي صفات تتعلق بالمشيئة، كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعفو والعقوبة والنزول والمجيء ونحو ذلك. (3)

وسأعتمد إن شاء الله على هذا التقسيم لشرح الصفات الواردة في سورة الرعد

أولا: الصفات الذاتية :-

أ. إثبات صفة العلم :-

ولقد دلت السورة على إثبات صفة العلم لله عز وجل في أربع آيات:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9]، قال ابن كثير– رحمه الله – في تفسيرها " أي يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفى عليه شيء". (4)

---

(1) انظر: الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ج211/1).

(2) انظر: البيهقي، الأسماء والصفات (ج276/1).

(3) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج661/2).

وقال ابن كثير – رحمه الله – في موضع آخر " يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها ؛ ليحذر الناس علمه، فيستحيوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر ". [1]

وقال في موضع أخر " يخبر تعالى أنه عالم غيب السموات والأرض، وأنه إليه المرجع والمآب، وسيوفى كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر، فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه، فإنه كافٍ من توكل عليه وأناب إليه.

" وما ربك بغافل عما تعملون " فليس يخفى عليه ما عليه المكذبون؛ بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم، وسيجزون على ذلك أتمَّ الجزاء في الدنيا والآخرة، وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين ". [2]

الآية االثانية: قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُ﴾ [الرعد: 8]، فهذه الآية لبيان إحاطته سبحانه بالأمور، وعلمه بالغيب الذي هذه الأمور المذكورة منه، فهو سبحانه يعلم ما تحمله كل أنثى في بطنها من علقه، أو مضغة، أو ذكر أو أنثى، أو صبيح أو قبيح، أو سعيد أو شقي. لقوله تعالى ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾[لقمان: 34]، وقوله: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾ [النجم: 32]. [3]

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ [الرعد: 42]، أي أنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر من خير أو شر، وسيجزي كل عامل بعمله. [4]

الآية الرابعة: قوله تعالى ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[الرعد: 43]، أي من عنده علم اللوح المحفوظ، وهو الله سبحانه، وهذا القول اختاره الزجاج ؛ لأن الأشبه أن الله لا يستشهد على خلقه بغيره. [5]

---

(1) المرجع السابق (ج135/7).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج364/4).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج94/3).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج686/2).

(5) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج125/3).

أثبت الشوكاني– رحمه الله – صفة العلم لله تعالى، وهى صفة ذاتية لله عز وجل، فقد ثبت علمه في كثير من آيات القرآن والأحاديث، فقد تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة أن علم الله أزلي، وأنه قد سبق كل شيء، ولا يصح أن يقدر وقوع غير ما علمه، وإلا انقلب العلم جهلاً، وذلك لا يجوز اجماعاً ؛ لأن علمه عز وجل سابق أزلي، وقد علم ما يكون قبل أن يكون، ولا خلاف بين أهل الحق من هذه الحثيثة. [1]

ومعنى ذلك أن الله تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بجميع المعلومات، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، جاءت في آيات لا تحصى: أنه عالم بعلم هو صفة له، قائم بذاته، ولما اشتق منها ككونه عليماً، ويعلم، وأحاط بكل شيء علماً. قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: 62]، وقال تعالى ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ ﴾[سبأ: 2]، وقوله ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الأنعام: 59]، وقوله ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ ﴾ [الحشر: 22]، وقوله ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: 14].

فأفادت هذه الآيات وغيرها إثبات صفة العلم له، وأن علمه سبحانه شامل لكل شيء، ومحيط به، فيعلم بالكليات والجزئيات، وبالسر والعلانية، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون ؟ فهو عالم السر والعلانية، والآخرة والدنيا، وعالم ما غاب من الاحساس وما حضر. [2]

فالعلم صفة من صفات الله ذاته تعالى، فهو عالم بعلم قائم بذاته قديم أزلي لازم لنفسه المقدسة، وهو سبحانه العليم المحيط بكل شيء، ولا تخفى عليه خافية، يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقد اشتد انكار الشوكاني – رحمه الله – أشد الانكار على من يزعم أنه تعالى غير عالم، وينكر علم الله الأزلي، كالمعتزلة، وعلى رأسهم أبو علي الجبائي [3]، حيث حكى عنه قوله "

---

(1) انظر: الشوكاني، تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصه من الدلائل (ج5330/11)

(2) انظر: الشوكاني، فتح القدير (246/5).

(3) هو محمد بن عبد الوهاب البصري، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، توفي بالبصرة سنة 133هـ، انظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج521/17)، ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج189/3).

والله لا يعلم من نفسه إلا ما يعلم هو " [1]، ومعنى هذه المقولة الخاسرة، أن كل ما يعلمه الله يعلمه هذا الجبائي تعالى الله عما يقول علواً كبيراً.

قال الشوكاني – رحمه الله – " وانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى، التي ليس بعدها جرأة، فيا لأم أبي على الويل، أنهيق مثل هذا النهيق، ويدخل نفسه في هذا المضيق ؟ وهل سمع السامعون بيمين أفجر من هذه اليمين الملعونة ؟ أو نقل الناقلون كلمة تقارب معنى هذه الكلمة الملعونة ؟ أو أبلغ مفتخر إيمانه إلى ما يقارب هذا الفجور ؟ ". [2]

فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه إلا الله من عباده، فما ظنك من جاوز هذا وتعداه، وأقسم أن الله لا يعلم من نفسه هو إلا ما يعلمه هو ؟ ". [3]

بالإضافة إلى ذلك أن في المخلوقات من هو عالم والعلم صفة كمال، فلو لم يكن الله عالماً لكان في المخلوقات من هو أكمل منه، وكل علم في المخلوقات إنما استفادة من خالقه وواهب الكمال أحق به، وفاقد الشيء لا يعطيه. [4]

قال الدكتور خليل الهراس في شرح العقيدة الواسطية " والعلم صفة لله عز وجل، بها يدرك جميع المعلومات على ما هي عليه، فلا يخفى عليه منها شيء، وفى هذه الصفة إثبات اسم الحكيم ، ومعناه: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وكذلك اثبات اسمه الخبير، بمعنى: كمال العلم ووثوقه، والإحاطة بالأشياء على وجه التفصيل، ووصول علمه إلى كل ما خفى ودق من الحسيات والمعنويات ". [5]

والعلم صفة ثابتة لله عز وجل، قال السفاريني [6] " يجب الجزم بأنه تعالى عالم بعلم وجودي قديم باقٍ ذاتي، ينكشف به المعلومات عند تعلقه بها، وإنما قلنا بأن علمه كسائر صفاته تعالى للرد على المعتزلة القائلين بأنه يعلم بالذات، لا بصفة زائده عليها، والدليل أن صفاته زائده

---

(1) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج42/1).

(2) المرجع السابق (ج42/1).

(3) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(4) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج149/1).

(5) الهراس، شرح العقيدة الواسطية (ج91/1).

(6) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون، عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق، ولد فى سفارين ورحل إلى دمشق وأخذ عن علمائها، توفي سنة 1188هـ. انظر: الزركلي، الأعلام (ج14/6).

على ذاته، وردوا النصوص بأنه تعالى حي وقادر وغيرها، وكونه عالماً يعلل بقيام العلم به في الشاهد، فكذلك في الغائب، وقس عليه سائر الصفات ". [1]

" وهو الذي يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعره وشجرة، وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نور ونار وظلمة وما هو أعلم به ". [2]

ولقد وصف الله بعض عباده أنه ذو علم، كما قال تعالى عن يوسف – عليه السلام – ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 22]، وقال عن لوط – عليه السلام – ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 74]، ولا شك أن علم الخالق مختلف عن علم المخلوق تماماً.

قال الإمام الخطابي – رحمه الله – " والآدميون وإن كانوا يوصفون بالعلم، فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الآفات، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالماً بالفقه غير عالم بالنحو و، وعالماً بهما غير عالم بالحساب والطب وبنحوهما من الأمور، وعلم الله سبحانه علم حقيقة وكمال ". [3]

" فعلمه – جل وعلا – ليس كعلم المخلوقين، وهو – سبحانه – يعلم الأشياء على حقائقها بغير استدلال ولا سبب، وهو يعلم الغيوب، ولا يعلمها إلا الله عز وجل ". [4]

وخلاصة القول موافقة الشوكاني لابن كثير– رحمهما الله – في إثبات صفة العلم لله تعالى، وإنكاره أشد الانكار على من يزعم أنه تعالى غير عالم، وينكر علم الله الأزلي.

---

(1) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج145/1).
(2) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة (ج28/1).
(3) الخطابي، شأن الدعاء (ج57/1).
(4) الزجاجي، اشتقاق أسماء الله (ج52/1).

2- إثبات صفتي الوحدانية والقهر

ولقد دلت السورة على إثبات صفتي الوحدانية والقهر لله للباري سبحانه وتعالى في أية واحدة وهي:

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: 16] ، وهذه الآية من السورة تضمنت اسمين كريمين من أسمائه هما " الواحد " و " القهار "، وهذان الاسمان يشتق منهما صفتان لله سبحانه هما صفتا " الوحدانية " و " القهر "، قال ابن الأثير – رحمه الله – " من أسماء الله الأحد وهو الفرد الذي لم يزل ولم يكن معه غيره ". (1)

قال ابن كثير– رحمه الله – في بيان قوله :" ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ " أي الذي قهر كل شيء، ودانت له الرقاب، وخضعت له الألباب ". (2)

والفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول: ما جاءني أحد، والواحد اسم بني لمفتتح العدد تقول جاءني واحد من الناس، ولا تقول جاءني أحد، فالواحد منفرد بالذات وعدم المثل والنظير، والأحد المنفرد بالمعنى. (3)

و التوحيد الإيمان بالله وحده أي: التصديق بما جاء به النبي من الخبر الدال على أن الله – تعالى – واحد في ألوهيته لا شريك له. (4)

ومن هذه النصوص اللغوية يتبين أن هذه المادة – وحد – تدور حول انفراد الشيء بذاته، أو بصفاته، أو بأفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه.

فاسمه – تعالى – الواحد معناه الاعتقاد الجازم بأن الله واحد لا شريك له، ونفي المثل والنظير عنه، والتوجه إليه وحده بالعبادة، وانفراده بما له من صفات وعدم مشاركة غيره فيها، فهو سبحانه واحد في ألوهيته فلا إله غيره، وواحد في ربوبيته فلا رب سواه، وواحد في كل ما ثبت له من صفات الكمال التي لا تنبغي إلا له – جلّ وعلا –.

" الواحد الأحد الذي يوحد بجميع الكمالات، وتفرد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال وحمد، وحكمه، ورحمه، وغيرها من صفات الكمال، فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب

---

(1) ابن الأثير، النهاية فى غريب الحديث (ج47/1).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج522/4).

(3) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ج126/5)، والزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى (ج58/1).

(4) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ج324/1).

بوجه من الوجوه، فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ". [1]

" فيجب على العبيد توحيده، عقداً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة ". [2]

قال البيهقي [3]– رحمه الله – في الاعتقاد " الواحد: هو الفرد الذي لم يزل وحده بلا شريك، وقيل هو الذي لا قسيم لذاته ولا شبيه له ولا شريك، وهذه صفة يستحقها بذاته ". [4]

أما صفة القهر فقد دل ثبوتها للباري، والقهر بمعنى الغلبة وهي من صفاته تعالى، جاء في المفردات في غريب القرآن " القهر الغلبة والتذلل معاً، ويستعمل في كل منهما ". [5]

وقال ابن الأثير – رحمه الله – " القاهر الغالب على جميع الخلائق قهره، فهو قاهر وقهار للمبالغة ". [6]

قال الخطابي – رحمه الله – " القهار هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت[7]، وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله، عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً، ثم إنه قهر مستلزم لحياته وعزته وقدرته، فلا يتمّ قهره للخليقة إلا بتمام حياته، وقوة عزته واقتداره ". [8]

---

(1) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ج167/1).

(2) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(3) هو أحمد بن الحسين بن على، أبو بكر، من أئمة الحديث، له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه فى نصرة مذهبه، وبسط موجزه، وتأييد أرائه، له تصانيف عديدة منها " السنن الكبرى" و "السنن الصغرى " و " المعارف " و " والأسماء والصفات " و " دلائل النبوة " وغيرها، انظر: الزركلي، الأعلام (ج116/1).

(4) البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ج59/1).

(5) الأصفهاني، المفردات فى غريب القرآن (ج611/1).

(6) ابن الأثير، النهاية فى غريب الحديث (ج212/4).

(7) الخطابي، شأن الدعاء (ج53/1)

(8) الهراس، شرح نونية ابن القيم (ج103/2)، السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ج223/1).

" وهو الواحد القهار، أي واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، قهار لجميع خلقه، داخلون تحت قدرته، والسموات مطويات بيمينه، ومقهورون في قبضته، وتحت سلطانه قهر اقتدار، لا إله إلا هو الواحد القهار ". [1]

فهو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت وخضعت له المخلوقات، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وقدرته، فدل ذلك على توحده وانفراده بالقهر لجميع الخلق.

قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ قال ابن كثير – رحمه الله – في معنى الآية :" الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء، فلا إله إلا هو ولا رب سواه " [2] .

قال الشوكاني – رحمه الله – " المتفرد بالربوبية القهار لما عداه، فكل ما عداه مربوب مقهور مغلوب ". [3]

يتبين مما سبق اثبات الشوكاني – رحمه الله – صفة الوحدانية و القهر لله – تعالى – وبالتالي يتفق مع ابن كثير – رحمه الله – ، ومن خلال هذه النصوص ندرك معنى اسمه تعالى " القهار " ومعناه الذي يغلب كل شيء، ويبسط سلطانه على كل مخلوق، ولا يمتنع عليه ما يريده، ولا يفلت من قبضته جبار تمرد على جبروته، ولا متكبر نازعه رداء كبريائه؛ بل سبحانه آخذ بنواصي عباده، فمن تمرد عليه قصمه وأذلة، وجعله عبرة لغيره، وبسط سبحانه سلطانه على كل الكائنات فاستجابت لأمرة، وخضعت لحكمته، فجميع الموجودات خاضعة لسلطانه، مذعنة لمشيئته، مقهورة لإرادته.

3- إثبات صفة الشدة

ولقد دلت السورة على إثبات صفة الشدة لله – سبحانه – في آيتين منها .

الآية الأولى ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: 13]، وللصحابة والتابعين في تفسير المحال هنا ثمانية أقوال: –

الأول: العداوة، الثاني: الحول، الثالث: الأخذ، الرابع: الحقد، الخامس: القوة، السادس: الغضب، السابع: الهلاك، الثامن: الحيلة. [4]

---

(1) ابن الحاج القناوي، حز الغلاصم فى إفحام المخاصم عند جريان النظر فى أحكام القدر (ج69/1).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج572/4).

(3) الشوكاني، الشوكاني، فتح القدير (ج102/3).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج667/2)، الشوكاني، فتح القدير (ج100/3).

الآية الثانية ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الرعد: 6]، قال الشوكاني – رحمه الله – " يعاقب العصاة المكذبين من الكافرين عقاباً شديداً على ما تقتضيه مشيئته في الدار الآخرة ". (1)

وهي صفة ذاتية لله – عز وجل – ثابتة بالكتاب والسنة، جاء في اللسان الشدة بمعنى القوة والصلابة وهي بنقيض اللين. (2)

قال الزجاجي– رحمه الله – " الشديد في صفات الله عز وجل على ضربين: أحدهما يراد بالشديد القوي ؛ لأنه قد يقال للقوي من الآدميين شديد كما في قوله ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: 29]، وكأنه في صفات الآدميين يذهب به إلى معنى شدة البدن وصلابته وجلده، وذلك في صفاته بمعنى القوي حسب. والشديد خلاف الضعيف، والأخر: أن يراد بالشديد في صفاته عز وجل إنه شديد العقاب فيرجع المعنى في ذلك الحقيقة إلى أن عذابه شديد كما قال ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

فالشديد هو القوي المتناهي في القوة والقدرة، الذي لا تتناقض قوته، ولا تضعف قدرته، والذي لا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: 58]، فالله عز وجل من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متين. (3)

فمن قوته واقتداره أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، أنه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحيي هم ثم إليه يرجعون ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: 28]، ومن أثار قدرته أنك ترى الأرض هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ومن أثار قدرته ما أوقعه بالأمم المكذبين والكفار الظالمين من أنواع العقوبات وحلول المثلات، وأنه لم يغنِ عنهم كيدهم ولا أموالهم ولا جنودهم ولا حصونهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تتبيب، وخصوصاً هذه الأوقات.

فإن هذه القوة الهائلة والمخترعات الباهرة التي وصلت إليها مقدرة هذه الأمم هي من إقدار الله لهم وتعليمه لهم ما لم يكونوا يعلمونه، فمن آيات الله أن هواهم وقدرهم ومخترعاتهم لم تغنِ عنهم

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج93/3).

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج2214/3).

(3) الرضواني، أسماء الله الحسنى الثابتة فى الكتاب والسنة (ج78/32).

شيئاً في صد ما أصابهم من النكبات والعقوبات المهلكة مع بذل جدهم واجتهادهم في توقي ذلك، ولكن أمر الله غالب، فقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي والسفلي.

ومن آثار قدرته ورحمته ما يحدثه لأهل النار و أهل الجنة من أنواع العقاب وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهى. فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على من يشاء، إذا أراد شيئاً ﴿كُن فَيَكُونُ ﴾، قال تعالى ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: 148] [1]

ومعنى هذه الصفة أن الله متصف بالقوة، فهو سبحانه إذا أخذ الظالم المذنب بظلمه أخذه بقوة، وإذا عاقب الكفار عاقبهم بقوة كما قال تعالى ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: 7].

وفى نهاية المطاف يتبين موافقة الشوكاني لابن كثير– رحمهما الله – في إثبات صفة الشدة والقوة لله عز وجل، فهو بالغ القدرة، شديد القوة ذو الحبل المتين.

4- إثبات صفتي الإرادة والمشيئة

ولقد ورد في السورة ما يثبت صفتي الإرادة والمشيئة لله تعالى .

قال تعالى :﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: 11]، بمعنى أن الله إذا أراد بقوم سوءاً أعمى قلوبهم وأبصارهم، حتى يختاروا ما فيه البلاء.

وقوله ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[الرعد: 31]، بمعنى أفلم يعلم الذين ءامنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً من غير أن يشاهدوا الآيات.

وقوله ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ [الرعد: 27]، [2] أي هو المضل والهادي، سواء بعث الرسول بأية على وفق ما اقترحوه أو لم يجيبهم إلى سؤالهم، فإن الهداية

والإضلال ليس منوطاً بذلك ولا عدمه.

---

(1) انظر: القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى فى ضوء الكتاب والسنة (ج1/96-98).

(2) وهذه الآية تم التحدث عنها، عند الحديث عن اسم الهادي من أسمائه تعالى فى هذا المبحث صفحة 118.

وقوله :﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: 39]، أي يمحو من ذلك الكتاب ويثبت ما يشاء منه ، وقوله ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد:26][1] وهنا يخبرنا الله جل وعلا أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء، ويقتر على من يشاء لما في ذلك من الحكمة والعدل. [2]

وهذه الآيات سيتم توضيحها بشكل مفصل إن شاء الله – تعالى – عند الحديث عن القضاء والقدر، مرتبة المشيئة ، والإرادة والمشيئة عبارتان عن معنى واحد، فهو مريد، وله إرادة صفة له، يباين بها صفة من يكون ساهياً أو مغلوباً أو مكروهاً. [3]

وقد أثبت الشوكاني– رحمه الله – صفتي الإرادة والمشيئة لله – سبحانه وتعالى – ، بما قد تقرر من الأدلة القرآنية كقوله تعالى :﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: 107]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: 68]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: 1]، وقوله: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: 6]. [4]

وذهب بعض العلماء إلى أن الإرادة هي المشيئة، يقول السفاريني – رحمه الله – :" ويجب له سبحانه صفة الإرادة ويراد منها المشيئة " [5]، وقال التفتازاني [6]– رحمه الله – :" أفعال العباد كلها بإرادته ومشيئته، قد سبق أنهما عندنا عبارة عن معنى واحد " [7]، وقال ابن تيمية – رحمه الله – قد يراد بالإرادة المشيئة. [8]

فالإرادة والمشيئة وإن كانتا بمعنى واحد إلا أن هذا الكلام ليس على الإطلاق؛ وذلك لأن الإرادة تنقسم إل قسمين كونية ودينية، فالإرادة الكونية هي التي ترادف المشيئة، وهي التي تتعلق

---

(1) وهذه الآية تم الحديث عنها بشكل مفصل عند الحديث عن دلالة السورة على توحيد الربوبية صفحة 59.
(2) ينظر تفسير هذه الآيات: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الشوكاني، و فتح القدير.
(3) انظر: البيهقي، الاعتقاد (ج1/81).
(4) انظر: الشوكاني، قطر الولي فى حديث الولي = ولاية الله والطريق إليها (ج1/269).
(5) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج1/145).
(6) هو الإمام مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، عالم مشارك فى النحو والتصريف والمعاني والبيان، ولد بتفتازان من بلاد خرسان، انظر: كحالة، معجم المؤلفن (ج12/228)، ابن حجر، الدرر الكامنة (ج6/112).
(7) التفتازاني، شرح العقيدة النسفية (ج1/56).
(8) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية (ج3/19).

بجميع الممكنات، كقول ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولفظ المشيئة لم يرد إلا في الكوني كقوله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: 29]. [1]

يقول ابن حجر العسقلاني [2]– رحمه الله – في تعريف الإرادة الكونية " إرادة قضاء وتقدير... شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات طاعة ومعصية ". [3]

فالمشيئة والإرادة معناهما متقارب، إلا أن المشيئة واحدة لا تنقسم، ويندرج تحتها كل ما شاءه الله عز وجل، وكل ما قضاه الله وقدره في هذا الكون فإنه مندرج تحت المشيئة ؛ فالخير والشر وكل حادث وكائن في هذا الكون مندرج تحت مشيئة الله عز وجل، فالمشيئة شيء واحد يندرج تحته كل خلق الله جل وعلا ؛ إذ كل شيء خلقه الله عز وجل فقد شاءه.

وقد أوضح الشوكاني – رحمه الله – الإرادة وقسمها إلى قسمين:

إرادة كونية وهي مشيئته لما خلقه من جميع مخلوقاته، إنسهم وجنهم، مسلمهم وكافرهم، حيوانهم وجمادهم، ضارهم ونافعهم، ومنه قوله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: 135]، فهذه الإرادة القدرية الكونية خلقية، وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات. [4]

وإرادة دينية وهي محبته المتناولة لجميع ما أمر به وجعله شرعاً وديناً، فهي مختصة بالإيمان والعمل الصالح ومنه قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185][5]، وهذه الإرادة الدينية أمريه شرعية، وهي متضمنة للمحبة والرضى.[6]

---

(1) انظر: الحكمي، معارج القبول (ج230/1).

(2) هو الإمام أحمد بن على بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصلة من عسقلان بفلسطين. انظر: الزركلي، الأعلام (ج178/1).

(3) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج450/13).

(4) انظر، الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج113/1).

(5) انظر: الشوكاني، قطر الولي (ج269/1).

(6) انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج113/1).

فما خلقه الله سبحانه وقدره وقضاه فهو يريده، وإن كان لا يأمر به، ولا يحبه ولا يرضاه، ولا يثيب أصحابه، ولا يجعلهم من أوليائه، وما أمر به وشرعه، وأحبه، ورضيه ، وأحب فاعله، وأثابهم وأكرمهم عليه فهو الذي يحبه ويرضاه، ويثيب فاعله عليه. [1]

وكما ثبت بالأدلة النقلية صفة الإرادة والمشيئة لله عز وجل كونية ودينية، ثبت بالضرورة أنه مريد؛ لأنه إنما يفعل على حسب علمه، ثم إن كل موجود، فهو على قدر مخصوص، وصفة معينة، وله وقت ومكان محددان، وهذه وجوه قد خصصت له دون بقية الوجوه الممكنة، وتخصيصها كان وفق العلم بالضرورة، ولا معنى للإرادة إلا هذا. [2]

قال شيخ الاسلام – رحمه الله – في التدمرية "... وكذلك وصف نفسه بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة... وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة... ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته ". [3]

وهناك من أسماء الله الحسنى ما يعود إلى الإرادة منها:

الرحمن وهو المريد لرزق كل حي، ومنها الرحيم وهو المريد لإنعام أهل الجنة، ومنها الغفار وهو المريد لإزالة العقوبة بعد الاستحقاق، ومنها الودود وهو المريد للإحسان للمؤمنين، ومنها العفو وهو المريد لتسهيل الأمور على أهل المعرفة، ومنها الرؤوف وهو المريد للتخفيف عن العباد، ومنها الصبور لإسقاط العقوبة في الأصل عن المعصية، ومنها الكريم وهو المريد لتكثير الخيرات عند المحتاج، ومنها البر وهو المريد لإعزاز أهل الولاية.[4]

وخلاصة القول في الإرادة والمشيئة أن الشوكاني موافق لابن كثير – رحمهما الله – في إثباته لصفتي الإرادة والمشيئة بما قد تقرر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

ثانياً: الصفات الفعلية الخبرية [5] (الاختيارية)

ولما كانت هذه الصفات من أهم ما وقع فيه التناقض والنزاع من بين مثبت لها ونافٍ، بذل الشوكاني– رحمه الله – قصارى جهده في بيان مذهب السلف فيها، متتبعا تاريخ

---

(1) انظر: الشوكاني، قطر الولي على حديث الولي (ج269/1).

(2) انظر: ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية (ج200/1).

(3) ابن تيمية، العقيدة التدمرية (ج9/1).

(4) انظر: البيهقي، الأسماء والصفات (ج349/1).

(5) سبق تعريفها صفحة (127).

المبتدعين في إحداث بدعة نفى هذه الصفات، كمعبد الجهني [1]، والجعد بن درهم [2]، ومن قال بقولتهم، وانتحل نحلتهم، مبينا موقف علماء السلف من هؤلاء.

قال الشوكاني – رحمه الله – " كانت الكلمة في الصفات متحدة، والطريقة لهم جميعاً متفقة، وكان اشتغالهم بما أمر الله بالاشتغال به وكلفهم بالقيام بفرائضه من الإيمان بالله وإقام الصلاة، وطلب العلم النافع، وإرشاد الناس إلى الخير، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم ينشغلوا بما يكلفهم الله بعلمه، ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته، فكان الدين إذ ذاك صافياً عن كدر البدع، خالصاً عن شوب قذر التمذهب، فعلى هذا النمط كان الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعين وتابعيهم، وبهدي رسول الله اهتدوا، وبأفعاله وأقواله اقتدوا، فمن قال: إنهم تلبسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو غيرها فقد أعظم الفرية ". [3]

فهنا يحتج الشوكاني– رحمه الله – في إثبات هذه الصفات الخبرية بأن الصحابة – رضي الله عنهم – ، والتابعين، وتابعي تابعيهم، أثبتوا الحقيقة المتبادرة من ظواهر النصوص التي وردت في صفات الله دون تأويل أو تعطيل، فلم يتعرضوا لتأويلها وصرفها عن ظاهرها، ولو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق الناس إليه.

قال الشوكاني– رحمه الله – " إن مذهب السلف من الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعين وتابعيهم، هو إيراد الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل [4] متعسف لشيء منها، ولا جبر [5]، ولا تشبيه، ولا تعطيل يُفضي إليه كثير من التأويل ". [6]

---

(1) معبد الجهني القدري، يقال أنه معبد بن عبدالله بن عليم ، أول من تكلم فى القدر، وهو أول من أنشأ فرقة القدرية، قال الحسن البصري إياكم ومعبدا فإنه ضال مضل، صلبه عبد الملك بن مروان فى سنة 80 بدمشق ثم قتله، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية(ج42/9).

(2) الجعد بن درهم بن المرابى، أصله من خرسان، مبتدع له أخبار فى الزندقة، وهو أول من أحدث القول بخلق القرآن، سكن الجزيرة القرانية، وأخذ عنه مروان بن محمد، قال الذهبي: مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسي تكليما، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر سنة 118م. انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج293/1)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج382/9).

(3) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج36/1).

(4) التأويل هو صرف الألفاظ عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج:463/1).

(5) مذهب الجبر وهو مذهب يرى أصحابه أن العباد مجبورون على أفعالهم، لا اختيار لهم فيها، فهم كالريشة فى مهب الريح، انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج436/1).

(6) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج36/1).

وعلى ذلك أثبت الشوكاني كغيره من علماء السلف هذه الصفات، فأثبت لله العلو، والاستواء، والنزول، والمجيء، والعين، واليدين إلى آخر الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه العزيز، وأثبتها له رسوله في السنة النبوية.

يقول الشوكاني– رحمه الله – " الناس في هذه الأشياء الموهمة للجهة [1] ونحوها ثلاث، فرقة تؤول، وفرقة تشبه، وثالثة ترى أنه لم يطلق الشارع مثل هذه اللفظة إلا وإطلاقه سائغ، وحسن قبولها مطلقة مع التصريح بالتقدير، والتنزيه، والتبري من التحديد والتشبيه، وعلى هذه الطريقة معنى صدر الأمة، واختارها أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه، وهذا هو المنهج المصحوب بالسلامة عن الوقوع في مهاوي التأويل ". [2]

ويتضح منهج الشوكاني – رحمه الله – في هذه الصفات الخبرية، عندما سئل: ما حكم من أول الصفات، ونفى ما وصف الله به نفسه، ووصفه به نبيه، وأول الآيات وجعل الاستواء استيلاء، وأول النزول بالرحمة، وجعل التأويل مطردة في سائر نصوص الصفات ؟

فكان الجواب تنديداً بالمتكلمين ومسالك المتأولين، وأصولهم الزائفة التي دفعوا بها الآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة النبوية، معتلين في ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلفة .

قال الشوكاني– رحمه الله – " إن هؤلاء سلكوا طريقة متوعرة، لا يرجع من سلكها بمطلوب صحيح، ومع هذا أصلوها أصولاً ظنوها حقاً، فدفعوا بها آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة نبوية، واعتلوا في ذلك الدفع بشبة واهية وخيالات مختلفة ". [3]

ومما سبق يتبين موقف السلفة والشوكاني – رحمهما الله – تجاه الصفات الخبرية الذين رأوا أن من تعليم حرمات الله تعالى حفظ حرمة نصوص هذه الصفات بإجرائها على ظواهرها، واعتقاد مفهومها المتبادر إلى أذهان العامة. [4]

---

(1) لم يرد لفظ (الجهة) لا فى الكتاب ولا فى السنة، وعليه فلا ينبغي إثباتها ولا نفيها، وجملة القول فيها أنه إن بها أمر وجودي غير الله كان مخلوقاً، والله تعالى فوق خلقه لا يحصره ولا يحيط به شيء من المخلوقات، فإنه بائن من المخلوقات، وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، وهذا المعنى الأخير هو المراد من كلام المثبتين للعلو، انظر: الذهبي، مختصر العلو للعلى العظيم (ج69/1-70).

(2) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى علم الأصول (ج299/1).

(3) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج26/1).

(4) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج85/2).

فكلمة السلف والأئمة متفقة على أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ؛ لأنه عرف بالشرع مع العقل أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

ومن الصفات الفعلية الواردة في سورة الرعد

1- صفة الاستواء على العرش

الاستواء من الصفات الفعلية الثابتة لله سبحانه بالكتاب والسنة، وأنه استواء حقيقي يليق بجلاله وعظمته قال تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5] وقوله :﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الفرقان: 59]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الحديد: 4]، وهذه الآيات وغيرها قطعية الثبوت؛ لأنها من كتاب الله، تدل دلالة واضحة لا تحتمل أي تأويل على أن الله تعالى مستوٍ على عرشة بذاته حقيقة، استواء يليق بجلاله وكمال عظمته، لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات.

ولقد جاء في سورة الرعد ما يثبت صفة الاستواء لله تعالى، استواء يليق بجلاله وعظمته، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الرعد: 2].

أعرب الإمام ابن كثير – رحمه الله – هنا بوضوح عن عقيدته السلفية، حيث قال في تفسير هذه الآية : " فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، وليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله سبحانه ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" ، بل الأمر كما قال الأئمة – منهم نعيم بن حماد [1] و الخزاعي [2] شيخ البخاري (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر). وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والاخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله النقائص، فقد سلك سبيل الهدى ". [3]

---

(1) تقدمت ترجمته صفحة 24.

(2) تقدمت ترجمتهصفحة 24.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج427/3).

قال الشوكاني – رحمه الله – " إن الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيل ولا قال، ولا قصور في شيء من المقال، فمن جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط، فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة، ولا معتصم عن الخطأ ".[1]

فكان الشوكاني– رحمه الله – في ذلك على النهج الذي أثبته القرآن في صفة الاستواء، وهو معرفة معنى الاستواء، وجهل الكيفية، والنهي عن البحث فيهما، فلم ينشغل بالبحث عن الكيف، بل كان سبيله إقرار الآية على ما دلت عليه من معنى دون البحث عن الكيفية والماهية.

يقول رحمه الله تعالى : " ومن جملة الصفات التي أمرها السلف على ظاهرها، وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء... يقولون: نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها إلا هو، وكيفيه لا يدري بها سواه، ولا نكلف أنفسنا غير هذا، فليس كمثله شيء، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا يحيط عباده به علما، وهكذا يقولون في مسألة الجهة... والأدلة في ذلك طويلة كثيرة في الكتاب والسنة ". [2]

والاستواء في لغة العرب هو العلو والاستقرار، قال الجوهري استوي على ظهر دابته ، أي استقر إلى السماء، أي صعد. [3]

لذلك لجأ الشوكاني – رحمه الله – إلى معنى الاستواء الصحيح في اللغة التي لم يعتريها التغيير والتبديل فقال : الاستواء في اللغة الاعتدال، والاستقامة، ويطلق على الارتفاع والعلو على الشيء، قال تعالى :﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ ﴾ [المؤمنون: 28]، وقال: ﴿ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [الزخرف: 13]، وهذا المعنى المناسب لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: 29] [4]

---

(1) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج53/1).
(2) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج49/1).
(3) انظر: الجوهري، الصحاح (ج2385/6).
(4) الشوكاني، فتح القدير (ج72/1).

أما معنى العرش قال ابن كثير – رحمه الله – " هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات [1] وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمن، وإحاطته بالسموات والأرض وما بينهما وما عليهما ". [2]

فالعرش حقيقة موجودة، وأنه فوق السموات، وأنه أعظم مخلوقات الله تعالى، وأنه جسم مجسم خلقه سبحانه، واستوي عليه لحكمة أرادها، لا لحاجة منه إليه، وهو من الأمور الغيبية التي يجب علينا الإيمان بها كما أخبر الله ورسوله. [3]

قال الطحاوي [4]– رحمه الله – " والعرش والكرسي حق، وهو مستغنٍ عن العرش، وما دونه، محيط بكل شيء، وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة به خلقه ". [5]

فالصواب في هذه المسألة ما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات استواء الله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله – " والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به ". [6]

فأهل السنة يثبتون استواء الله تعالى على العرش، ولكنهم لا يسألون عن الكيفية، كما أنكر الإمام مالك – رحمه الله – على من سأل عن كيفية الاستواء فقال : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه.

ومما تقدم نعلم أن الشوكاني– رحمه الله – والسلفية آمنوا باستوائه على عرشه كما أخبر عن نفسه، ولم يتأولوا آيات الاستواء بصرفها عن ظاهرها، ولم يتوهموا في الاستواء كيفاً، بل كان سبيلهم الكف عن البحث عن الكيف، وإلى هذا القول سبقه الكثير من علماء السلف الصالح الذين يمرون الصفات كما وردت من دون تحريف ولا تأويل.

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية(ج12/1).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج241/2).

(3) الحنفي، انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ج277/1).

(4) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمه بن عبد الملك الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، أبو جعفر، الحافظ الكبير، الإمام العلامة، محدث الديار المصرية وفقيهها، صاحب التصانيف، برز فى علم الحديث والفقه، ولد سنة 319هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج361/11)، السمعاني، الأنساب (ج53/9)، ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج71/1)، ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج239/3)

(5) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج277/1–280).

(6) ابن تيمية ، الفتوي الحموية الكبرى (ج270/1).

ومن هنا يتضح موقف الشوكاني – رحمه الله – الموافق لابن كثير– رحمه الله – في إثبات صفة الاستواء لله عز وجل، فصفاته سبحانه نثبتها على وجه يليق بجلاله، ويجب علينا إمرارها كما جاءت بدون تكييف، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا يجوز لنا التفكير في كيفيتها ؛ لأن الكيف مجهول؛ بل نفوض ذلك إلى الله عز وجل، ونقف حيث أوقفنا الله ورسوله، ولا نخوض في الغيبيات التي يعجز العقل عن إدراكها.

2- إثبات صفتي البسط والقبض

قال الله تعالى في سورة الرعد ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الرعد: 26]، فهذه الآية قد بينت معنى الباسط، وبينت أيضا أنه عز وجل إنما يقبض ويبسط على حسب ما يراه من المصلحة [1].

قال الشوكاني – رحمه الله – " فقد يبسط الرزق لمن كان كافراً، ويقتره على من كان مؤمناً، ابتلاءً وامتحاناً، ولا يدل البسط على الكرامة، ولا القبض على الإهانة ". [2]

فهو سبحانه يوسع الرزق ويقتره، يبسطه بجوده ورحمته، ويقبضه بحكمته وعدله.

فيوصف الله عز وجل بالبسط وتوصف يده بالبسط، وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة، والباسط اسم من أسمائه. [3]

البسط نقيض القبض، وبسط الشيء: نشره، ويد بسط، أي مطلقة، والبسطة الزيادة والسعة ومنه قوله تعالى ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة:247] [4]

" والباسط هو الذي يبسط الرزق لعباده، ويوسعه عليهم بجوده ورحمته، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة ". [5]

قال الزجاجي – رحمه الله – في الاشتقاق :" فهو باسط رزق من أراد من عباده أن يوسع عليه، ومقتر على من أراد كما يرى في ذلك من المصلحة لهم ". [6]

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج673/2).

(2) الشوكاني، الشوكاني، فتح القدير (ج111/3).

(3) انظر: السقاف، صفات الله الواردة فى الكتاب والسنة (83/1).

(4) انظر ابن منظور، لسان العرب (282/1).

(5) المرجع السابق ص282 .

(6) الزجاج، اشتقاق أسماء الله الحسنى (99/1).

فالله سبحانه وتعالى يوسع الرزق على من يشاء، ويقبضه عمن من يشاء من عباده، يبسط برحمته ولطفه، ويقبض بعدله وحكمته، فهو الذي يبسط الأرزاق بمقتضى حكمته ومصالح العباد.

بسط الخالق ليس كبسط المخلوق، من حيث الحقيقة، ومن حيث المعنى

فمن حيث الحقيقة: الله سبحانه وتعالى وصف نفسه ببسط اليدين فقال ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]، ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29]، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط....

ومن حيث المعنى: بسط الكف يستعمل في المخلوق للبذل والعطاء تارة، وتارة للطلب والأخذ نحو ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ [الرعد: 14]، أما بسط الله إنما هو للعطاء فقط.[1]

والقبض هو أخذ الشيء باليد وجمعه، وهذا من صفات الله تعالى الاختيارية، التي تتعلق بمشيئته وإرادته، وهي ثابته بآيات كثيرة وأحاديث صحيحة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وهي مما يجب الإيمان به ؛ لأن ذلك داخل في الإيمان بالله تعالى، ويحرم تأويلها المخرج لمعانيها عن ظاهرها، وقد دل على ثبوتها لله تعالى العقل أيضا ؛ فإنه لا يمكن لمن نفاها إثبات أن الله هو الخالق لهذا الكون المشاهد ؛ لأن الفعل لا بد له من فاعل، والفاعل لا بد له من فعل، وليس هناك فعل معقول إلا ما قام بالفاعل، سواء كان لازماً كالنزول والمجيء، أو متعدياً كالقبض والطي، فحدوث ما يحدثه تعالى من المخلوقات تابع لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة به تعالى، وهو تعالى حي قيوم، فعال لما يريد. فإن من أنكر قيام الأفعال الاختيارية به تعالى، فإن معنى ذلك أنه ينكر خلقه لهذا العالم المشاهد وغير المشاهد، وينكر قوله أنه على كل شيء قدير، فالعقل دل على ما جاء به الشرع. [2]

ويحسن أن يقرن بين هذين الاسمين، أو يوصل بينهما ليكون ذلك أكمل في القدرة وأدل على الحكمة ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 245]؛ ولأن الكمال المطلق إنما يحصل بمجموع الوصفن.

---

(1) انظر: ابن تيمية، العقيدة التدمرية (ج10/1).

(2) انظر: الغنيمات، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج140/1).

قال الخطابي – رحمه الله – في شأن الدعاء " وقد يحسن في هذين الاسمين أن يقرن أحدهما في الذكر بالأخر، وأن يوصل به ليكون أنبأ في القدرة وأدل عل الحكمة، واذا ذكرت القابض مفرداً عن الباسط، كنت قد قصرت بالصفة على المنع والحرمان. وإذا وصلت أحدهما بالأخر فقد جمعت بين الصفتين، منبئا عن وجه الحكمة فيهما ". [1]

قال ابن القيم– رحمه الله – في النونية:

"هو قابض هو باسط هو خافض هو رافع بالعدل والإحسان " [2]

" فهو سبحانه يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء، ويبسط الأرزاق للضعفاء، ويبسط الرزق لمن يشاء حتى لا تبقى فاقة، ويقبضه عمن يشاء حتى لا تبقى طاقة، ويقبض القلوب فيضيقها حتى تصير حرجا كأنما تصعد في السماء، ويبسطها بما يفيض عليها من معاني بره ولطفه وجماله ". [3]

يتبين مما سبق الاتفاق بين الشوكاني وابن كثير– رحمهما الله – في صفتي القبض البسط، فالله جلا وعلا هو الباسط القابض الذي يبسط ويرزق، ويمكن ويعطي، ويجود ويتفضل على عباده بنعمه وإحسانه ، وتبعاً لحكمته ولطفه ورحمته، وهاتان الصفتان من الصفات الاختيارية التي متى شاء اتصف بهما.

3- صفة الارسال

ولقد دلت السورة على هذه الصفة الفعلية لله تعالى في ثلاثة مواضع منها :-

الموضع الأول: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الرعد: 30].

" أي مثل هذا الإرسال العظيم الشأن المشتمل على المعجزة الباهرة أرسلناك يا محمد [4]، لتتلوا عليهم ولتبلغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله، وقد كذب الرسل من قبلك بهم أسوة، وكما أوقعنا بأسنا ونقمتنا بأولئك فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم ". [5]

---

(1) الخطابي، شأن الدعاء (ج57/1)

(2) ابن القيم: متن القصيدة النونية (ج211/1).

(3) الهراس، شرح القصيدة النونية (ج113/2)

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج112/3).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج677/2).

الموضع الثاني: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾ [الرعد: 38].

أي إن الرسل الذين أرسلناهم قبلك من جنس البشر، لهم أزواج من النساء، ولهم ذرية توالدوا منهم ومن أزواجهم، ولم نرسل الرسل من الملائكة الذين لا يتزوجون ولا يكون لهم ذرية. (1)

الموضع الثالث: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد: 13].

أي يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء، وحال هؤلاء الكفار أنهم يجادلون ويشكون في عظمته سبحانه، ولا يعترفون أنه لا إله إلا هو. (2)

فهذه الآيات وغيرها أثبتت لله عز وجل صفة الإرسال، وهذه من الصفات التي يجب علينا الإيمان بها؛ لأنها دالة على كمال قدرته سبحانه وعظمته وحكمته.

4- صفة الأخذ

ولقد دلت السورة على إثبات هذه الصفة الفعلية لله تعالى في مواضع منها:

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: 32]، وفي هذه الآية تسلية للرسول – صلى الله عليه وسلم – عما أصابه من حزن بسبب تعنت المشركين معه، ومطالبتهم له بالمطالب السخيفة التي لا صلة لها بدعوته كطلبهم منه تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى، فقال الله له لقد استهزئ برسل كثير من قبلك، فقد استهزأ قوم نوح به عندما صنع السفنة، واستهزأ قوم هود به، وقوم شعيب، وغيرهم، وفيه إشارة إلى أن من أمارات الشقاء الاستهزاء بالأنبياء والأولياء.

فأمهلت الذين كفروا وأنظرتهم، وأجلتهم مدة طويلة من الزمن، ثم أخذتهم بالعذاب الذي أنزلته بهم، فكيف كان عقابي لهؤلاء الكفار الذين استهزؤوا بالرسل، وكيف بلغك ما صنعت بهم، أمليت لهم ثم أخذتهم وهي شبيه من قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ

---

(1) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج120/3).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج665/2).

وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]، ومعنى الآية أني سأنتقم من هؤلاء الكفار، كما انتقمت من أولئك المتقدمين. [1]

" والأخذ كناية عن الإشعار بالسلطان ؛ لأن الأخذ يتضمن أنهم صاروا غير خارجين من سلطانه ؛ لأن الأخذ أقصي ما يدل على التمكين ، وأن يكونوا في قبضته يصرفهم كيف يشاء ". [2] وهذا فيه دلالة على تناهي كيفيته في الشدة والقوة والفظاعة ما لا يخفى.

" فهذا تنزل من الله سبحانه وتعالى، حيث عامل عبادة معاملة حسنة، ملك عدل في رعيته، حيث أمرهم بطاعته المرة بعد المرة، وأغدق عليهم النعم، وكلما عصوه سترهم وأمدهم بالعطايا، فلما تكرر منهم العصيان وعدم الخوف أخذهم بالعقاب ". [3]

"ولا شك أن مثل هذه المعاملات القبيحة من غلبة أوصاف النفس، فعلى العاقل أن يزكي نفسه عن سفساف الأخلاق، حتى يتخلص من قهر القهار الخلاق، ألا ترى أن المؤمنين نظروا إلى النبي عليه السلام بعين التنظيم وبدلوا الكبر بالتواضع، ودخلوا في الاستسلام ، فاستسعدوا بسعادة الدارين، وأما الكفرة فعتو عتواً كبيراً، فاستأصلهم الله من حيث لا يحتسبون، فشقوا شقاوة أبدية، وهكذا حال سائر المؤمنين والمنكرين إلى يوم القيامة ". [4]

وخلاصة القول من كلام ابن كثير والشوكاني– رحمهما الله – في إثبات صفة الأخذ، أن عادة الكثير من البشر على مر العصور، السخرية من الرسل والتهكم بهم، لاعتقادهم أنهم في غنى عنهم ، وأن عندهم اكتفاء ذاتي ولا حاجة لهم عند غيرهم، فكذبوا واستهزؤوا برسل الله وآذوهم، فلا يضيق صدرك بهم، ولا يحزنك فعلهم، فإن من رحمة الله وعدله بهم أنه يمهلهم ولا يعجل لهم العقوبة، ويعطيهم الفرص الكثيرة للرجوع والتوبة والإنابة، ولكنهم لا يستجيبوا له ويصروا على عنادهم وكفرهم واستهزائهم، فيأخذهم الله بسوء أعمالهم وبإصرارهم على الجحود والنكران، فكان عقابي لهم أليم شديد، وما لهم من دون الله من ولي ولا واق.

5– صفة العهد والوعد

ولقد جاء في سورة الرعد ما يثبت هاتين الصفتين لله جلا وعلا في ثلاث آيات: –

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج679/2)، الشوكاني، فتح القدير (ج116/3).

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3955/8).

(3) الصاوي، حاشية الصاوي (ج1006/3).

(4) البروسوي ، روح البيان (ج399/4)

الآية الأولى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31].

أي لا يزال الذين كفروا تصيبهم بسبب ما صنعوا من الكفر والتكذيب للرسل داهية مهلكة تفجؤهم ، والقارعة هي النكبة وقيل العذاب وقيل الطلائع والسرايا، ولا يخفى أن القارعة تطلق على ما هو أعم من ذلك، أو تحل هذه القارعة قريباً من دارهم فيفزعون ويقلقون منها، ويشاهدون من آثارها ما ترتجف له قلوبهم وترعد منه بوادرهم، حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو قيام الساعة عليهم، فإذا جاء وعد الله المحتوم حل بهم من عذابه ما هو الغاية في الشدة، إن الله لا يخلف الميعاد ولا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة، فما جرى به وعده فهو كائن لا محالة قال تعالى: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: 47]. [1]

وهذا تهديد وتخويف لهم من نزول ما وعدهم الله به على كفرهم، وعنادهم وظلمهم، وإن الله ينجز وعده حتماً وأن الله لا يخلف الميعاد، ووعد الله متحقق وواقع بهم لا محالة قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: 55].

قال الشوكاني – رحمه الله – :" أن الوفاء بالوعد شأن الإله سبحانه، وخلفه يخالف الألوهية كما أنها تنافيه وتباينه ". [2]

الآية الثانية: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: 20]، أي أن من صفات هؤلاء المؤمنين أولوا الألباب أصحاب العقول الراجحة أنهم يوفون بعهد الله أي بما عقدوه من العهود بينهم وبين ربهم، أو فيما بينهم وبين العباد، ولا ينقضون الميثاق الذي وثقوه على أنفسهم وأكدوه بالإيمان ونحوها. فليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان. [3]

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج679/2)، الشوكاني، فتح القدير (ج116/3).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج365/1).

(3) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج671/2)، والشوكاني، فتح القدير (ج107/3).

قال الشوكاني – رحمه الله – " وهذا تعميم بعد تخصيص ؛ لأنه يدخل تحت الميثاق كل ما أوجبه العبد على نفسه كالنذور ونحوها، ويحتمل أن يكون الأمر بالعكس، فيكون التخصيص بعد التعميم على أن يراد بالعهد جميع عهود الله، وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده، ويدخل في ذلك الالتزامات التي يلزم بها العبد نفسه ". [1]

الآية الثالثة :﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [الرعد: 25]، أي بعد أن ذكر أحوال السعداء من المؤمنين أتبعه بذكر أحوال الأشقياء وذكر ما لهم في الأخرة، ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون ، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا، فأولئك يوفون بعهد الله وهؤلاء الكفار الأشقياء ينقضون عهد الله وميثاقه وهكذا.

وسياتي توضيح الآية الثانية والثالثة في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى عند الحديث عن صفات السعداء من المؤمنين والأشقياء من الكفار.

مما سبق يتبين موافقة الشوكاني لابن كثير – رحمهما الله – في إثبات صفتي العهد والوعد لله عز وجل، وأنه تعالى لا ينقض وعده لرسله بالنصر لهم والتمكين لهم في الأرض وأن الغلبة والعاقبة المحمودة ستكون لهم بإذن الله.

6- إثبات صفة السرعة :

ولقد جاء في سورة الرعد ما يثبت صفة السرعة لله جلّ وعلا كما في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: 41].

قال ابن كثير – رحمه الله – " أي أن في حال محاسبته لعبده سريع النجاز ؛ لأنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه خافية، وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم، كقوله تعالى ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ﴾ [لقمان: 28] [2]

قال الشوكاني– رحمه الله – " أي يحكم ما يشاء في خلقه، فيرفع هذا ويضع هذا، ويحيي هذا ويميت هذا، ويغني هذا ويفقر هذا، وقد حكم بعزة الاسلام وعلوه على الأديان... وهو سريع الحساب فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته على السرعة [3] والمعنى أن

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج107/3).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج523/4).
(3) الشوكاني، فتح القدير (ج125/3).

حسابه لعباده يوم القيامة سريع مجيئه فبادروا ذلك بأعمال الخير، أو أنه وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم، وأنه لا يشغله شأن عن شأن فيحاسبهم في حالة واحده ". [1]

وقال في موضع أخر " سريع الحساب ؛ لأنه سبحانه لا يحتاج إلى تفكير في ذلك كما يحتاجه غيره لإحاطة علمه بكل شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة ". [2]

قال الطبري– رحمه الله – في تفسيره " وإنما وصف جلّ ثناؤه نفسه بسرعة الحساب لأنه جلّ ذكره يحصي ما يحصي من أعمال عباده بغير عقد أصابع، ولا فكرٍ، ولا روية، فعل العجزة الضعفة من الخلق، ولكنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما، ثم هو مجازٍ عباده على كلِ ذلك، فلذلك جلّ ذكره امتدح بسرعة الحساب ". [3]

"لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ" أي لا مغير ولا ناقض لحكمه ، فليس هناك من يعقب على حكمه فيبطله، فإذا حكم بظهور الاسلام وإدبار الكفار فمن يرد ذلك إلى الله. [4]

وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ" أي وهو سبحانه سريع المحاسبة والمجازاة ؛ لأنه لا يحتاج إلى ما يحتاج غيره من الإحصاء والعد، إذ هو سبحانه محيط بكل شيء، فلا تستبطئ عقابهم أيها الرسول الكريم، فإن ما وعدناك به واقع لا محاله " [5] ، " فإن الحساب آت لا ريب، وكل آت فهو سريع ؛ لأنه مؤكد الوقوع، وعدد السنين والشهور لا قيمة له ما دام مؤكد الوقوع، وما يكون سريع الحساب يكون شديد ؛ لأنه يفاجيء المنكرين من حيث لا يحتسبون ؛ ولأن سرعة الحساب يكون لأجل غرضه العقاب، ولتحقيق معنى الجزاء، وذلك يكون على قدر ما ارتكب المسيء، والله عزيز ذو انتقام " [6]، " وسرعة حساب الله واجبة ؛ لأنها بالإحاطة والشمول، وليست بعدد قليل أو كثير " [7] ؛ " لأن عواقب الأعمال من خير أو شر سرعان ما تنجلي ". [8]

---

(1) المرجع السابق (ج253/1).

(2) المرجع نفسه (ج557/4).

(3) الطبري، جامع البيان (ج207/4).

(4) انظر: الصابوني، أيسر التفاسير (ج463/2).

(5) الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج91/11).

(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3971/8).

(7) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1176/2)

(8) الزين، بيان النظم فى القرآن الكريم (ص 431).

خلاصة ذلك أن الشوكاني موافق لابن كثير – رحمهما الله – في إثبات صفة سرعة الحساب لله جلّ وعلا، فالله سبحانه وتعالى هو الحكم الفصل الذي يحكم بين عباده، فيحكم بالعز للإسلام والمسلمين والذل والهوان للكفر والكافرين، والغنى لهذا والفقر لهذا، ولا مغير لحكمه ، فيقضي بالقضاء المبرم الذي لا راد لقضائه ولا ناقض له، فحكمه نافذ ومشيئته لا راد لها، وهو سريع الحساب فيحاسب عباده في زمن يسير على وجه السرعة بالعدل دون ظلم أو جور في الحكم بين العباد.

7- إثبات صفتي المكر والمحال

لقد دلت السورة على إثبات صفتي المكر والمحال لله تعالى، فأما إثبات صفة المحال كما في قوله تعالى ﴿ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد: 13].

أي إن الله يرسل الصواعق ينتقم بها ممن يشاء، وهؤلاء الكفار الفجار يجادلون ويشكون في عظمة الله الواحد القهار ويشكون في ألوهيته وأنه لا إله إلا هو.

قال الشوكاني – رحمه الله – " وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ " للصحابة والتابعين في تفسير المحال أقوال ثمانية:

الأول: العداوة، الثاني: الحول، الثالث: الأخذ، الرابع: الحقد، الخامس: القوة، السادس: الغضب، السابع: الهلاك، الثامن: الحيلة ". [1]

وأما إثبات صفة المكر قال الله جلّ ذكره ﴿ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 42].

أي وقد مكر الكفار بمن أرسله الله إليهم من الرسل، وبالحق الذي جاءوا به ، فكادوهم وكفروا بهم، وأرادوا إخراجهم من بلادهم، فأخبرهم الله بأن مكرهم هذا كالعدم، وأن المكر كله لله، ولا اعتداد بمكر غيره، فمكر الله بهم وجعل العاقبة للمتقين، كقوله تعالى ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: 30].

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج100/3).

وأصل المكر: الحرص على إيصال المكروه والأذى إلى غيره من حيث لا يشعر به. [1]

ثم فسر سبحانه هذا المكر الثابت له دون غيره فقال ﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ﴾ من خير وشر فمجازيها على ذلك، ومن علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزائها كان المكر كله له ؛ لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون. [2]

وفى هذا تسلية للنبي – صلى الله عليه وسلم – وتقوية لعزمة وتصبير له على أذاهم، فإن النصر والتمكيين له في النهاية حتماً، وأن الدائرة ستكون على الكفار. [3]

" فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا " أي لا يقدر أحد أن يمكر مكراً إلا بإذنه، وتحت قضائه وقدره، فإذا كانوا يمكرون بدينه، فإن مكرهم سيعود عليهم بالخيبة والندم، فإن الله يعلم ما تكسب كل نفس، فيعلم همومها وإرادتها وأعمالها الظاهرة والباطنة ، والمكر لا بد أن يكون من كسبها، فلا يخفى على الله مكرهم، فيمتنع أن يمكروا مكراً يضر الحق وأهلة، ويفيدهم شيئاً ". [4]

وهذا النص السامي يدل على ثلاثة أمور: –

1– أن مكرهم لا اعتداد به، ولا ثمرة له في تحقيق الغاية التي أرادوها.
2– أن القلوب بيد الله، وهو الذي يهديها، وهو الذي يتركها تسير في الضلالة.
3– أن الله مذهب كيدهم، وجعلها في هباء، وناصر أهله. [5]

وخلاصة القول أن الكفار السابقون كادوا لرسلهم وآذوهم بالقتل والاضطهاد والتدبير السيئ، والاستهزاء بهم ، والسخرية منهم ، والذم فيهم، وصدهم عن الدعوة، وصد الناس عن الإيمان بهم، ومكروا بهم، ولكن يأبى الله إلا أن يُتمَّ نوره ولو كره الكافرون، فلم ينالوا ما أرادوا ؛ لأن المكر كله لله سبحانه فهو العليم المطلع على سرائرهم ونواياهم وخباياهم، المخيب لآمالهم.

و العاقبة المحمودة في النهاية ستكون للإسلام وأهلة، وهذا تبشير للمسلمين بأن الغلبة والنصر والتمكين ستكون لهم بإذن الله تعالى، فيوفى كل نفس ما كسبت من خير أو شر ؛ لأنه هو العليم بما في القلوب وما تتحدث به النفوس.

---

(1) انظر: تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1690/3).
(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج686/2)، الشوكاني، فتح القدير (ج125/3).
(3) انظر: حجازي، التفسير الواضح (ج241/2).
(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص375).
(5) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3973/8).

8- إثبات صفتي الهدي والضلالة لله عز وجل :

ومن الصفات المتقابلة المذكورة في سورة الرعد (يهدي ويضل) كما في قوله تعالى ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾[الرعد: 27].

فهذا فيه إثبات لصفتين متقابلتين وهما الهداية والضلالة، فالله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن هداه فبفضله ومن أضله فبعدله ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: 32].

فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال. (1)

ولقد قرر الشوكاني – رحمه الله – " أن الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وأن الأمر بيده ما يشاء يفعل، من شاء تعالى أن يضله أضله، ومن شاء أن يهديه جعله على صراط مستقيم، لا يذهب به إلى غير الحق، ولا يمشي فيه إلا إلى صواب الاستقامة " (2) ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الأنعام: 39].

وهداية الله سبحانه وتعالى صفة من صفات الأفعال، لكنها تنقسم إلى قسمين:

1- هداية إرشاد وهي إرساله للرسل وإقامة الحجة بالدليل العقلي والعلمي، فيهدي عبده بأن يريه الطريق، وهذه الهداية لا تقتضي نجاته؛ بل قد يعمل الإنسان بمقتضاها فينجو، وقد يخالفها فلا ينجو، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ [فصلت: 17]، وهداية الإرشاد هذه كثيراً ما يقابلها العمى، وقد أثبتها الله لرسوله في قوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: 52].

2- هداية توفيق وهي من صفات الله المختصة به فلا يتصف بها سواه، ولذلك نفاها عن رسوله صلى الله عليه وسلم – فقال ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: 56].

وهذه الهداية يقابلها الإضلال، والهداية والإضلال يترتبان على المحبة والكره، فمن أحبه الله هداه، وكل من تعلق به المقت والبغض لا بد أن يضله الله. (3)

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج21/8).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج131/2).

(3) انظر: الشنقيطي، سلسلة الأسماء والصفات (ج6/7).

فهو الذي قوله رشد، وفعله كله رشد، وهو مرشد الحيران الضّال فيهديه إلى الصراط المستقيم بياناً، وتعليماً، وتوفيقاً، فأقواله القدرية التي يُوجد بها الأشياء ويُدبر بها الأمور، كلُّها حقٌّ لاشتمالها على الحكمة والحسن والإتقان، وأقواله الشرعية الدينية هي أقواله التي تكلّم بها في كتبه، وعلى ألسنة رسله المشتملة على الصدق التام في الإخبار، والعدل الكامل في الأمر والنهي، فإنه لا أصدق من الله قيلاً، ولا أحسن منه حديثا ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: 115]، وهي أعظم وأجلّ ما يرشد بها العباد، بل لا حصول إلى الرشاد بغيرها، فمن ابتغى الهدى من غيرها أضله الله، ومن لم يسترشد بها فليس برشيد، فيحصل بها الرشد العلمي وهو بيان الحقائق، والأصول، والفروع، والمصالح والمضار الدينية والدنيوية، ويحصل بها الرشد. (1)

مما سبق يتبين أن الشوكاني – رحمه الله – أثبت صفتي الهداية والضلال لله جلّ وعلا وبالتالى يتفق مع ابن كثير – رحمه الله – في الاثبات، فهو تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن هداه فبفضله ورحمته ومن أضله فبعدله وحكمته.

9- إثبات صفة المغفرة

أخبر الله –سبحانه وتعالى– أنه لولا حلمه وعفوه لعجل لهم العقوبة والعذاب، كما قال﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: 61]، وكما قال تعالى في سورة الرعد ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الرعد: 6].

قال ابن كثير – رحمه الله – " قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما في قوله ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾[الحجر: 49–50]، إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين انتقامه ورحمته".(2)

فإنه تعالى ذو مغفرة وعفو وصفح وستر للناس وتجاوز عظيم للناس مع أنهم يظلمون أنفسهم باقترافهم الذنوب ووقوعهم في المعاصي ويخطئون بالليل والنهار. (3)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – " فالرحمة والمغفرة من صفاته المذكورة بأسمائه، فهي من موجب نفسه المقدسة، ومقتضاها ولوازمها (4) فجعل الرحمة صفة مذكورة في

---

(1) ابن القيم، بدائع الفوائد (ج60/1).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج324/4).
(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج93/3).
(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج272/14)

أسمائه الحسنى، وأما العذاب والعقاب فجعلهما من مفعولاته غير مذكورين في أسمائه ". [1]

ولهذا كان الخير في أسمائه وصفاته، وأما الشر ففى الأفعال كقوله ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة: 98] [2]، ومما يبين هذا أن الشر لم يرد في أسماء الله، وإنما ورد في مفعولاته، لم يضف إليه إلا على سبيل العموم، وإضافة إلى السبب إلى المخلوق أو بحذف فاعله كقوله ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴾ [الزمر: 62]، وقوله ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق: 2]. [3]

قال الزجاج – رحمه الله تعالى – " الغفور " هو فعول من قولهم غفرت الشيء إذا سترته، وفعول موضوع للمبالغة وكذلك فعال. [4]

قال العيني [5]–رحمه الله–"إذ المغفرة ستر الذنوب ومحوها، والرحمة إيصال الخيرات".[6]

قال ابن كثير– رحمه الله – " المغفرة: مغفرة لما سلف من سيئاتهم، ومجازاة حسنة على القليل من حسناتهم".[7]

وجاء في النهاية " الغفار الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، وأصل الغفر التغطية، يقال: غفر الله لك غفرا وغفراناً ومغفرة، والمغفرة إلباس الله تعالى العفو للمؤمنين". [8]

قال ابن رجب [9] – رحمه الله تعالى – " المغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها ".[10]

إذن يتبين مما سبق موافقة الشوكاني لابن كثير – رحمهما الله – في إثبات صفة المغفرة لله تعالى، وأن اسمه تعالى الغفور معناه كثير المغفرة، وأن المغفرة ستر الذنوب والتجاوز عنها،

---

(1) المرجع السابق (ج295/5).

(2) انظر: ابن تيمية، الفتاوى (ج437/15).

(3) المرجع السابق.

(4) انظر: الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى (ج46/1).

(5) تقدمت ترجمته (ص29).

(6) العيني، عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري (ج292/22).

(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج441/5).

(8) النهاية فى غريب الحديث (ج703/3).

(9) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي، الدمشقي، أبو الفرج زين الدين، الإمام، الحافظ، ولد فى بغداد سنة 736 هـ، وتوفي سنة 795هـ، انظر:الزركلي، الأعلام (ج295/3)، ابن حجر، الدرر الكامنة (ج108/3).

(10) الحنبلي، جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم (ج407/2).

والعفو عن مقترفيها وصونهم من أن يمسهم العذاب بسببها، وإلباسهم العفو عن خطاياهم، فالله سبحانه وتعالى غفور أي كثير الستر لذنوب عباده المؤمنين، عظيم التجاوز عنهم، وهذا من باب حلمه وعفوه وعدله وحكمته.

ولا شك أن ما وصف به خالق السموات والأرض من هذه الصفات أنه حق لائق بكماله وجلاله، لا يجوز أن ينفى خوفاً من التشبيه بالخلق، وأن ما وصف به الخلق من هذه الصفات حق مناسب لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم، وعلى كل حال فلا يجوز للإنسان أن يتنطّع إلى وصف أثبته الله جل وعلا لنفسه فينفى هذا الوصف عن الله متهجماً على ربّ السموات والأرض مدعياً عليه أن هذا الوصف الذي تمدح به أنه لا يليق به وأنه هو ينفيه عنه ويأتيه بالكمال من كيسه الخاص فهذا جنون وهوس ولا يذهب إليه إلاّ من طمس الله بصائرهم. [1]

أما بالنسبة للصفات المتبقية وهي (العلو – الخلق – الألوهية – الهدي – الحكم – والشهادة) فقد سبق أن تكلمت عن هذه الصفات عند الكلام على أسماء الله (المتعال – الخالق – الإله – الهادي – الحكم – الشهيد) ؛ لأن تلك الصفات مشتقة من هذه الأسماء، فهي مرتبطة مع بعضها البعض ؛ لذلك شرحت تلك الصفات مع هذه الأسماء.

المطلب الثاني: نواقض[2] توحيد الأسماء والصفات

الناقض هو ما يضاد توحيد الأسماء والصفات، كإنكار أسماء الله تعالى أو صفاته العليا، إنكار كلي لها أو إنكار جزئي، أو اعتقاد التشابه في الصفات بين الخالق والمخلوق، أو تماثلها، أو تعطيلها وتأويلها وصرفها عن الحقائق والمعاني الثابتة لها.

فلا شك أن تحريف أسماء الله تعالى بالنقص منها أو الزيادة فيها لا يجوز ؛ لأنها توقيفية من عند الله الذي هو أعلم بنفسه و بغيره، فيجب أن نتوقف فيها على ما جاء به من نصوص الوحي من القرآن والسنة.

---

(1) الشنقيطي، الأسماء والصفات نقلا وعقلا (ج18/1).

(2) فى اللغة " النقيض فى البناء، والحبل، والعهد، وغيره: ضد الإبرام، كالانتقاض والتناقض، والنقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، وذكر الجوهري الحبل والعهد، ونقض البناء هدمه ". الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج169/10).

الناقضّ فى الشرع: هو الاعتقاد والقول والفعل المكفر؛ الذي ينتفى به إيمان العبد ويزول، ويخرجه من دائرة الإسلام والإيمان إلى خطيرة الكفر والعياذ بالله. انظر: الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ج321/1).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – " الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله – صلى الله عليه وسلم – من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل فهو ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ؛ لأنه سبحانه لا سميّ له ولا كفواً له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه و بغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً ". [1]

ومن نواقض توحيد الأسماء والصفات الواردة في سورة الرعد:

الإنكار والإلحاد [2] بشيء من أسماء الله تعالى وصفاته العليا

إن نفى معاني أسماء الله الحسنى من أعظم الإلحاد فيها، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180]؛ لأنها لو لم تدل على معانٍ وأوصاف لم يجزِ أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها لكن الله أخبر بها وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله، كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات: 85]، فعلم أن القوي من أسمائه، ومعناه الموصوف بالقوة.

وأيضا لو لم يكن أسماؤه مشتملة على معانٍ وصفات لم يسغ أن يخبر عنه بأفعالها، فلا يقال: يسمع، ويرى، ويعلم، فإن ثبوت أحكام الصفات فرع من ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها، وأيضاً فلم تكن أسماؤه ذوات معانٍ وأوصاف لكانت جامدة، كالأعلام المحضة التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به، فكانت كلها سواء، ولم يكن فرق بين مدلولاتها، وهذه مكابرة صريحة وبُهت بيّن، فإن من جعل معنى اسم القدير هو معنى اسم السميع، ومعنى اسم التواب هو معنى اسم المنتقم فقد كابر العقل واللغة والفطرة. [3]

ولقد دلت سورة الرعد على إنكار المشركين لاسم الرحمن، فالرحمن اسمه وصفته، ودل على هذا الاسم أن الرحمة وصفه القائم به سبحانه.

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج134/3).

(2) الإلحاد: هو العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت لها، انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج30/1).

(3) انظر ابن القيم، مدارج السالكين (ج53/1).

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: 30].

الشاهد في هذه الآية أن المشركين كانوا لا يُقرون ببعض أسماء الله كالرحمن ويأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم، فإن هؤلاء كفروا باسمه وصفته مع إقرارهم بربِ العالمين، فهؤلاء أقروا بالاسم وجعلوا المسمى مخلوقاً من مخلوقاته تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ يعني باسم الله (الرحمن)، وهذا اسم من أسماء الله الحسنى، وهو مشتمل على صفة الرحمة؛ لأن الرحمن فيه صفة الرحمة ومبني على وجه المبالغة ، فالرحمن أبلغ في اشتماله على صفة الرحمة من اسم (الرحيم)، ولهذا لم يتسمّ به على الحقيقة إلا الله جلّ وعلا – فهو من أسماء الله العظيمة التي لا يشركه فيها أحد، أما الرحيم فقد أطلق الله على بعض عباده بأنهم رحماء، وأن نبيه –صلى الله عليه وسلم– رحيم كما قال: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: 128]. [1]

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – " والظاهر أن إنكارهم هذا، إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في بعض أشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمن. قال الشاعر:

وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق ". [2]

فالذي يجحد اسماً سمى الله به نفسه، أو سماه به رسوله، وثبت ذلك عنه وتيقنه، فإنه يكون كافراً بالله ؛ لأنه يكون غير مصدق و مكذب لله رسوله فيما أخبروا، كما أخبر الله عن المشركين ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾.

" فالله سبحانه وتعالى سمى جحود اسم من أسمائه كفراً، فدل على أن جحود شيء من أسماء الله وصفاته كفر، فمن جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة ونحوهم، فله نصيب من الكفر بقدر ما جحد من الاسم أو الصفة، فإن الجهمية والمعتزلة ونحوهم، وإن كانوا يقرون بجنس الأسماء والصفات فعند التحقيق لا يقرون بشيء ؛ لأن

---

(1) ابن عبد العزيز، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ج438/1).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج127/1).

الأسماء عندهم أعلام محضَّة، لا تدل على صفات قائمة بالرب تبَّارك وتعالى وهذا نصف كفر الذين جحدوا اسم الرحمن ". [1]

قال ابن القيم – رحمه الله – في نونيته:

" ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء والبلدان

الكائي الإمام حكاه عنـــ هم بل حكاه قبله الطبراني " [2]

وقد ذمَّ الشوكاني رحمه الله الإلحاد في أسماء الله وحذر منه فذكر معنى الإلحاد في قوله ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ ﴾ فقال " الإلحاد: الميل وترك القصد، يقال لحد الرجل وألحد إذا مال، ومنه اللحد في القبر ؛ لأنه ناحية الإلحاد، والإلحاد في أسمائه سبحانه يكون على ثلاثة أوجه: إما بالتغيير، كما فعله المشركون، فإنهم أخذوا اسم اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، أو بالزيادة عليها بأن يخترعوا أسماء من عندهم لم يأذن الله بها، أو بالنقصان منها بأن يدعوه ببعضها دون بعض".[3]

بالإضافة إلى ذلك التعطيل لها من معانيها وحقائقها، كقول المعتزلة سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، أو إنكارها عليه كقول الجهمية.

يتبين مما سبق أن الإلحاد في الأصل معناه العدول عن القصد والميل والانحراف والجور، ويتجلى في الأسماء والصفات الربانية في التشبيه والتمثيل والتعطيل والتأويل مما لا يليق بجلاله، فالمشركون غيروا في أسماء الله تعالى فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز، فسماهم ملحدين في أسمائه، فكذلك كل من يغير أو يبدل في أسماء الله فهو ملحد.

والإلحاد في أسمائه على وجوه:

أحدهما: أن يسمي الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلها، وهذا إلحاد حقيقة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصَّارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك .

---

(1) ابن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ج498/1).

(2) ابن القيم، متن القصيدة النونية (ج42/1).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج305/2).

الثالث: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول اليهود: إنه فقير، وقولهم يد الله مغلولة.

الرابع: تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها، وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا من أسمائه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوا كماله، وجحدوها وعطلوها، وكلاهما ألحد في أسمائه.

الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد. [(1)]

ومن هنا يتبين موقف الشوكاني الموافق لابن كثير– رحمه الله – في ذم الإلحاد في أسماء الله وصفاته ؛ لأن معتقد أهل السنة والجماعة في أسمائه وصفاته، أنهم لم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه؛ بل أثبتوا كل ما أثبته الله لنفسه، ونفوا عنه كل ما نفاه عن نفسه، فنفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه، وتنزيههم خالياً من التعطيل.

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة والأشاعرة وأشباههم على التعطيل جحدوا ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم فقالوا: هذه هي صفات الأجسام فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسماً، فهذا منشأ ضلال عقولهم لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه ثم عطلوه من صفات كماله، وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات فشبهوا أولاً وعطلوا ثانياً وشبهوه ثالثاً بكل ناقص ومعدوم فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته، وهذا هو الذي عليه سّلف الأمة وأئمتها فإنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه و سلم إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ، فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتاً لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من

---

(1) ابن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ج560/1–561)، الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ج104/1).

صفات كماله ونعوت جلاله لا تشبه صفاته صفات خلقه، فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه و سلم ولم يتناقضوا، وأولئك المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك وتناقضوا فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل وإجماع أهل السنن من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين. [1]

قال الشيخ الشنقيطي [2]– رحمه الله – " والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان، هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث. وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته ؟ لا والله لا ينكر ذلك إلا مكابرة، والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله ؛ لأنه كفر وتشبيه إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله عز وجل، وعدم الإيمان بها مع أنه جلّ وعلا هو الذي وصف نفسه بها فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً ثم معطلاً ثانياً ". [3]

لأن مجرد الاتفاق في المسميات لا يقتضي التشبيه، إنما التشبيه عند السلف أن يقال: يد كيد أو وجه كوجه ونحو ذلك.

قال إسحاق بن راهويه [4]– رحمه الله – " إنما التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع فهذا تشبيه، وأما إذا قال كما قال: يد وسمع وبصر ولا يقول كيد ولا مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيها وهو كما قال تبارك وتعالى في كتابه ". [5]

---

(1) انظر: آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ج389/1).

(2) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي الشنقيطي، مفسّر، مدرس، من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وعلم بها، وله كتب منها " أضواء البيان فى تفسير القرآن " و" منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ". انظر:الزركلي، الأعلام (ج45/6).

(3) الشنقيطي، أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن (ج30/2).

(4) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي المعروف بابن راهوية، ثقة، حافظ، مجتهد، أثنى عليه الإمام أحمد فقال: إسحاق لم يلق مثله، توفي سنة 238هـ. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج17/2).

(5) الحنبلي، أقاويل الثقات فى تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ج139/1).

قال نعيم بن حماد [1]– رحمه الله – " من شَّبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه، فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهاً ". [2]

وقد أنَّكر الله تعالى على المشركين نفيهم اسم الرحمن كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: 60]، وقوله :﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ [الرعد: 30].

فإذا كان هذا قوله سبحانه فيمن ينكر الرحمن فما الظن بمن ينكر جميع معاني أسمائه وصفاته، وحمية هذا الملحد وأمثاله أن يكون له صفات حمية جاهلية أشر من حمية الذين قال الله فيهم:﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: 29].

فهؤلاء أخذتهم حمية الجاهلية في إثبات أسماء الله ونبوة رسوله والملاحدة شاركوهم في ذلك من وجوه كثيرة، فإنهم ينفون حقائق أسماء الله وحقيقة رسالة رسوله، وغايتهم أن يؤمنوا بها من وجه ويكفرون من وجه كالذين قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض. [3]

فأولَّ من عُرف عنه إنّكار الصفات بعض مشركي العرب الذين أنزل فيهم ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ ﴾ ،

أما نفاة الصفات في هذه الأمة من المعتزلة والجهمية والمعطلة وأشباههم، فإنهم قد ورثوا نُفاة الجاهلية، واتبعوا سبيل أهل الجاهلية، فنفوا عن الله جلّ وعلا الأسماء الحسنى، بمعنى أن المشركين ينكرون أسماء الله، فمن نفى أسماء الله من الفرق الضالة كالجهمية، أو نفي معانيها وأثبت ألفاظها كالمعتزلة أو نفي بعض الصفات وأثبت بعضها كالأشاعرة، فإنه يكون وارثاً لأهل الجاهلية.

ومعلوم أن الأسماء إذا كانت أعلاماً وجامدات لا تدل على معنى لم يكن فرق فيها بين اسم واسم، فلا يلحد أحد في اسم دون اسم، وقد يمتنع عن تسمته مطلقاً، ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من أسمائه، وإنما امتنعوا عن بعضها، وأيضاً فالله له الأسماء

---

(1) تقدمت ترجمته صفحة 24.

(2) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة (ج532/1).

(3) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج52/2–54).

الحسنى دون السوأى، وإنما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيء بمعناه، فلو كانت كلها بمنزلة الأعلام الجامدات التي لا تدل عل معنى لا تنقسم إلى حسنى وسوأى؛ بل هذا القائل لو سمى معبوده بالميت والعاجز والجاهل بدل الحي والعالم والقادر لجاز ذلك عنده. [1]

فبيَّن سبحانه وتعالى أن أسماءه كثيره، وتعدد الأسماء لا يدل على تعدد المسمى؛ بل تعدد الأسماء يدل على عظمة المسمى، والله جل وعلا له أسماء كثيرة، قال تعالى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180]، فالله له أسماء كثيرة كلها حسنى، يعني تامة عظيمة، تشتمل على معان جليلة. [2]

فتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، ما كان أحد من الخلق ينكرهما إلا مكابر ومعاند، وتعدد الاسماء يدل على تعدد صفات الكمال ، بل الكفار هم جاهلون وبعث الرسول لدعوتهم كانوا يقرون بهذا، وإذا أنكر شيء من ذلك فهو من باب المعاندة والجحود، كما أنكروا اسم الرحمن عناداً وتكبراً كقوله :﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وذلك أنهم أنكروا هذا الاسم اتباعاً لآبائهم وما كانت طريقتهم عليه في كتاباتهم. [3]

وهكذا من ينظر في القرآن يجده كله حديثاً عن الايمان بالله، إما حديث مباشر عن الله تعالى وذاته، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وإما دعوته إلى عبادته وحده لا شريك له، وهذا كله تعريف بالله ودعوة للقيام بحقه، ونهى عن صرف ذلك لغيره. [4]

والواجب على العباد أن يوحدوا الله جل وعلا في أسمائه وصفاته، ومعنى توحيد الله في أسمائه

وصفاته أن يتيقنوا ويؤمنوا أن الله ليس له مثيل ولا شبيه في أسمائه ولا في صفاته كما قال جلّ وعلا :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فنفى أن يماثل الله شيء وأثبت له صفتي السمع والبصر، فجميع الصفات التي أثبتها الله لنفسه كلها صفات دالة على كمال الله وعظمته.

---

(1) انظر: ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية (ج107/1).

(2) انظر: الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (ج141/2).

(3) انظر: الغنيمات، شرح كتاب التوحيد (ج3/2).

(4) الأشقر، العقيدة فى الله (ج67/1).

وخلاصة معنى الآية أي وكذلك أرسلناك يا محمد في هذه الأمة لتبلغهم رسالة الله إليهم، وتدعوهم إلى الهدى كما أرسلنا في الأمم الماضية التي خلت ومضَّت، فلست ببدع من الرسل حتى يستنكروا رسالتك ودعوتك، فكذبوا وآذوا، وهذا تسلية للرسول – صلى الله عليه وسلم – وتصبير له على أذى قومه له.

وهؤلاء الكفرة الفجرة الجهلة المعاندين يكفرون بالرحمن ولا يقرون باسم الله الرحمن الرحيم، فلم يقابلوا رحمة الله وإحسانه بالشكر والقبول وإنما قابلوا ذلك بالإنكار والرد.

العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة:

فبين توحيد الربوبية، والألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات علاقة تلازم معناها: أن من أشرك في أي نوع منها فهو مشرك في بقيتها، فدعاء غير الله وسؤاله حاجة، شرك في الألوهية، كما أنه شرك في الربوبية ، حيث اعتقد أنه متصرف مع الله في ملكوته، وأنه يسمعه على البعد والقرب، وهو شرك في الأسماء والصفات، حيث أثبت للمدعو من دون الله سمعاً محيطاً بجميع المسموعات، لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك في الألوهية، الشرك في الربوبية والشرك في الأسماء والصفات. [1]

كما أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: 191]. ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: 16]، وقال: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 17] [2]

أما الشمول الموجود بين الأنواع الثلاثة: فهو أن في توحيد الأسماء والصفات شمولاً للألوهية والربوبية ؛ وذلك؛ لأنه يقوم على إفراد الله بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا، ومن جملتها كونه رباً واحداً لا شريك له في ربوبيته، وكونه إلهاً واحداً لا شريك له في ألوهيته.[3]

---

(1) الحكمي، معارج القبول فى شرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ج475/2).

(2) انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج77/1).

(3) انظر: العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة (ج223/1).

وكذلك لا يكمل توحيد الربوبية والألوهية بدون توحيد الأسماء والصفات ؛ لأن من وحد الله في ربوبيته وألوهيته، ولكن من سمى الله بغير اسمه، أو ألحد في أسمائه، أو جحد صفة من صفاته، أو أثبت لغيره مثل صفته، لم ينفعه توحيد حتى يجمع بين أنواع التوحيد الثلاثة، يقول الشيخ في معرض كلامه عن أنواع التوحيد "... وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها، ولم يأت بالأخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب ". [1]

ومن ذلك يتبين أن الأنواع الثلاثة في التوحيد متكافلة ومتلازمة، يكمل بعضها بعضاً، ولا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماعها جميعاً.

(1) ابن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ج17/1).

المبحث الرابع

القرآن كلام الله تعالى وموقف الفرق منه

المطلب الأول: القرآن كلام الله تعالى

إن من الإيمان بالله، الإيمان بأسمائه وصفاته سبحانه، فالله تعالى قد وصف نفسه بصفات تليق به سبحانه، فمن الواجب الإيمان بها وإثباتها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ، ومما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه به نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – صفة الكلام، فالذي عليه أهل السنة والجماعة أن الله يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام مسموع، فالكلام صفة ذاتية باعتبار النوع، وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام.

فقد قرر الإمام الشوكاني – رحمه الله – أن القرآن كلام الله المنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وهو صفة من صفات الله تعالى، قديم النوع، حادث الآحاد في التنزيل، وأنه المتلو والمسموع والمكتوب في المصاحف.

قال في تعرف القرآن " هو اسم لكلام الله تعالى، وهو بمعنى المقروء كالمشروب سُمي شراباً، والمكتوب سُمي كتاباً، وقيل هو مصدر قرأ يقرأ ". (1)

وقال في موضع آخر " والقرآن في اللغة مصدر بمعنى القراءة، غلب في العرف العام على المجموع المعين من كلام الله سبحانه وتعالى المقروء بألسنة العباد، واصطلاحاً هو الكلام المُنَّزل على الرسول – صل الله عليه وسلم –، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً ". (2)

ونزيد على التعريف: وكانت ألفاظه للإعجاز، وتعبدنا الله بتلاوتها، وذلك حتى نفرق بينه وبين الحديث القدسي. (3)

وهناك تعريف جامع للقرآن هو " كلام الله تعالى المنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – المتعبد بتلاوته " (4).

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج210/1).

(2) الشوكاني، إرشاد الفحول (62/1).

(3) القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ج67/1).

(4) القطان، مباحث فى علوم القرآن (ج17/1).

" فالكلام " جنس في التعريف، ويشمل كل كلام، وإضافته إلى الله تعالى يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

" المُنَزَّل " يخرج كلام الله تعالى الذي استأثر به سبحانه ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: 109].

وتقييد المُنَزَّل بكونه على " محمد " يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما.

" المتعبد بتلاوته " يخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية ؛ لأنها لا تقرأ في الصلاة.

قال ابن كثير – رحمه الله – مقرراً عقيدة السلف الصالح في كتاب الله تعالى " بل القرآن كلام الله غير مخلوق، تكلم به كما شاء تعالى وتقدس وتنزه عما يقولون علواً كبيراً، فالخلق كلهم عاجزون حقيقة وفى نفس الأمر عن الإتيان بمثله ولو تعاضدوا وتناصروا على ذلك، بل لا تقدر الرسل الذين هم أفصح الخلق وأعظم الخلق وأكملهم أن يتكلموا بمثل كلام الله، وهذا القرآن الذي يبلغه الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الله، أسلوب كلامه لا يشبه أساليب كلام رسول الله، وأساليب كلامه عليه السلام المحفوظة بالسند الصحيح إليه لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه في فصاحته وبلاغته ". (1)

فالإمام ابن كثير – رحمه الله – أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه جلَّ ثناؤه، فأثبت بأن القرآن كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال رحمه الله في موضع آخر " وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة، وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، فسمع أهل السموات كلامه أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي... ". (2)

ولقد ورد في سورة الرعد ما يبين أن القرآن منزل من الله تعالى غير مخلوق، كما تضمنت الرد على القائلين بخلق القرآن من المعتزلة، وترد قول القائلين أن المراد من النزول نزول الملك الذي بلغه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرعد: 1].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج77/6).

(2) المرجع السابق (514/6).

وقوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾ [الرعد: 37].

ففى الآية الأولى أخبر الله تعالى أن هذا القرآن هو آيات الكتاب الدالة على كل ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، وأن الذي أنزل إلى الرسول من ربه هو الحق المبين؛ لأن إخباره صدق، وأوامره ونواهيه عدل، مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة، فمن أقبل عليه وعلى علمه، كان من أهل العلم بالحق، الذي يوجب لهم علمهم به، والعمل بما أوجب الله، ومع ذلك فقد أخبرنا سبحانه أن أكثر الناس لا يؤمنون بهذا القرآن كما في قوله ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]، إما جهلاً وإعراضاً عنه وعدم اهتمام به، وإما عناداً وظلماً غير منتفعين به ؛ لعدم السبب الموجب للانتفاع. (1)

" وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والداعين بدعوته من بعده، لكيلا يحزنوا على إعراض المعرضين وكثرة الجاحدين ". (2)

أما في الآية الثانية يخبر تعالى أنه أنزل من السماء على سيدنا محمد هذا القرآن حكماً عربياً، أي محكماً متقناً، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، وشرفناك به، وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضِّح الجليِّ ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: 42]؛ لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه، ولا يتبع ما يضاده ويناقضه من أهواء الذين لا يعلمون، الذين يطلبون موافقتهم وعدم مخالفتهم في شيء مما يعتقدونه.

وفى هذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل الضلالة بعدما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والحجة المحمدية. (3)

فهاتان الآيتان من السورة دلت على أن القرآن مُنَّزل غير مخلوق، وكما هو معلوم أن الإيمان بالكتب ركن من أركان الإيمان السِّتة، ومن الإيمان بالكتب الإيمان بأن القرآن كلام الله مُنَّزل غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزل على محمد هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو

(1) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص367).
(2) تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير كلام الرحمن (ج1663/3).
(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج682/2)، السعدي، تيسير العزيز الحميد (374).

عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف. (1)

وهذا ما يجب اعتقاده في القرآن ولا يجوز العدول عنه بأي حال من الأحوال.

وقد بين الله سبحانه وتعالى في سورة الرعد فضل القرآن الكريم على سائر الكتب السماوية المنزلة، بأن وصفه بأوصاف ذاتية تجعله في منزلة لا تصل إليها معجزات أخرى ، فقال تعالى :﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31].

قال ابن كثير – رحمه الله – في معنى هذه الآية : " أي لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق، أو تكلم به الموتى في قبورهم لكان هذا هو القرآن، فهو المتصف بذلك دون غيره.

" بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا " أي مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومن يضلل الله فلا هادي له، ومن يهد الله فما له من مضل ". (2)

فمن خصائص القرآن التي أشار إليها الشوكاني – رحمه الله – في تفسيره:–

1– إنه آخر ما أنزله الله من الكتب السماوية، وذلك لختم النبوة بنبوة صاحبه المنزل عليه قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: 40]، وإن ما يحمله من التشريع الإلهي عام لكل الناس في أي مكان كانوا وفى أي زمان وجدوا، وذلك لعموم رسالة صاحبه المنزل عليه، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: 1]، بخلاف الكتب السابقة فإنها كانت في المكان والزمان، ولا عموم فيها. (3)

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج144/3).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج678/2).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج565/1).

2- إنه مصَّدق لما قبله من كتب الله، التوراة والإنجيل والزبور، وموافق له في الدعوة إلى الله وإلى توحيده ونفى الشرك بجميع أقسامه، وإن خالفه في بعض الأحكام، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: 92]. (1)

3- إنه خارج عن قدرة غيره سبحانه وتعالى، لما اشتمل عليه من الإعجاز الذي تتقاصر دونه قوة المخلوقين، وأنه أنزل بعلم الله الذي لا تحيط به العقول ولا تبلغه الأفهام ، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]. (2)

قال ابن كثير رحمه الله " هذا بيان لإعجاز القرآن وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور، ولا بسورة من مثله ؛ لأنه بفصاحته وبلاغته، ووجازته، وحلاوته، واشتماله على المعاني العزيزة النافعة في الدنيا والآخرة لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله... هذا وقد كانت الفصاحة من سجاياهم، وأشعارهم، ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا الباب ؛ ولكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد به، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام، وحلاوته، وجزالته، وطلاوته، وإفادته، وبراعته، فكانوا أعلم الناس به وأفهمهم له، وأتبعهم له ، وأشهرهم له انقياداً ". (3)

4- إنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وذهاب الريب، وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه، كما أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك، وإنه رحمة للمؤمنين لما فيه من العلوم النافعة المشتمل عليها، فيه صلاح الدين والدنيا، ولما في تلاوته وتدبره من الأجر العظيم الذي يكون سبباً لرحمة الله سبحانه ومغفرته ورضوانه ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82].(4)

5- إنه ناسخ لكل الكتب السماوية السابقة، كما أن شريعة الإسلام نسخت كل الشرائع، فلا شريعة ولا منهاج إلا ما جاء به محمد. (5)

---

(1) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج133/1)

(2) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج552/2).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج268/4).

(4) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج300/3).

(5) المرجع السابق (ج56/2).

6- إن الله سبحانه تكَّفل بحفظه من التحريف والتبديل فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، في حين أنه سبحانه قد وكل حفظ الكتب السابقة إلى أصحابها قال تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: 44]. [1]

وقد ذكر الصابوني – رحمه الله – معتقد أهل السنة والجماعة في القرآن، وهو ما كان عليه السلف الصالح حيث كانوا على عقيدة واحده وهو القول بأنه كلام الله حقيقة مُنَّزل غير مخلوق

قال الصابوني– رحمه الله – " ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله، وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 192-195].

وهو الذي بلغه الرسول إلى أمته... إلى أن قال سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة – رحمه الله – يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق فمن قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم، لا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض، ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ". [2]

قال العلامة ابن القيم– رحمه الله – " وقد تنازع الصحابة رضي الله عنهم في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحده من مسائل الأسماء والصفات والأفعال؛ بل كلهم على إثبات ما نطَّق به الكتاب والسنة كلمة واحده ". [3]

فعقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن أنه " كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر " [4]

---

(1) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج149/3).

(2) العقل، شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث (ج2/4).

(3) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج39/1).

(4) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج179/1).

وأهل السنة والجماعة يثبتون أن الله تعالى يتكلم ويقول وينادي، وأن القرآن صوت وحرف، وأن القرآن كلامه، منزل من عنده غير مخلوق، فالله عز وجل يتصف بصفة الكلام وهي صفة ذاتية فعلية ثابتة في الكتاب والسنة. [1]

الدليل من القرآن

قال الله عز وجل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: 164]، وقال سبحانه ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: 30]، وقال أيضاً : ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6].

ومن السنة: حديث قصة الإفك، حيث قالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –: " ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى ". [2]

وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على إثبات صفة الكلام لله تعالى، وأن القرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق ؛ لأنه صفة الرب سبحانه.

قال الأصبهاني [3] – رحمه الله – " خاطر أبو بكر– رضي الله عنه– أي (راهن) قوماً من أهل مكة، فقرأ عليهم القرآن، فقالوا:هذا كلام صاحبك، فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله تعالى، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على المنبر: إن هذا القرآن كلام الله، فهو إجماع الصحابة وإجماع التابعين بعدهم... أشاروا إلى أن كلام الله هو المتلوّ في المحاريب والمصاحف ". [4]

وخلاصة القول أن ابن كثير والشوكاني– رحمهما الله – اتفقا على أن القرآن كلام الله، منه نزل وإليه يعود، وهي صفته ، وهذا القول هو مذهب سلف هذه الأمة رضوان الله عليهم

---

(1) انظر: السقاف، صفات الله عز وجل الواردة فى الكتاب والسنة (ج1/296).

(2) [البخاري، صحيح البخاري، (2743/6، ح 7106)].

(3) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل بن على، الحافظ الكبير، أبو القاسم التيمي الطلحي الأصبهاني، الملقب بِقوَّام السنة، كان إماما فى التفسير والحديث واللغة والأدب، من أعلام الحفاظ، له تصانيف، توفي سنة 535هـ. انظر: الزركلي، الأعلام (ج1/323)، الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج14/469).

(4) الأصبهاني، الحجة فى بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (ج1/360).

بحيث يثبتون أن القرآن كلام الله مُنَّزل على محمد وهو غير مخلوق، وأنه تعالى يتكلم بصوت يسمع كما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، وأن صوته سبحانه لا يشبه أصوات خلقه كما أن ذاته لا تشبه ذواتهم، ومن قال بغير ذلك فقد ضل سواء السبيل.

أما بالنسبة لرأي الشوكاني– رحمه الله – في مسألة خلق القرآن التي ابتدعها وتبنتها الجهمية والمعتزلة ، فقد أخذ جانب التوقف في هذه المسألة وقال بأنه الطريق الأمثل والأصوب للخلوص من تكفير الطوائف، حيث قال : " هذه المسألة: أي قدم القرآن وحدوثه قد ابتلى بها كثير من أهل العلم والفضل في الدولة المأمونية، والمعتصمية، والواثقية، وجرى للإمام أحمد بن حنبل ما جرى من الضرب الشديد والحبس الطويل، وضُرب بسببها عنق محمد بن نصر الخزاعي [(1)]– رحمه الله – وصارت فتنة عظيمة في ذلك الوقت وما بعده، والقصة أشهر من أن تذكر [(2)]... ولقد أصاب أئمة السنة بامتناعهم من الإجابة إلى القول بخلق القرآن وحدوثه، وحفظ الله بهم أمة نبيه عن الابتداع، ولكنهم رحمهم الله جاوزوا ذلك إلى الجزم بقدمه، ولم يقتصروا على ذلك حتى كفروا من قال بالحدوث؛ بل جاوزوا ذلك إلى تكفير من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ بل جاوزوا ذلك إلى تكفير من وقف، وليتهم لم يجاوزوا حد الوقف، وإرجاع العلم إلى علام الغيوب، فإنه لم يسمع من السّلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى وقت قيام المحنة وظهور القول في هذه المسألة شيء من الكلام، ولا نقل عنهم كلمة في ذلك، فكان الامتناع من الإجابة إلى ما دعوا إليه، والتمسك بأذيال الوقف وإرجاع علم ذلك إلى عالمه هو الطريقة المثلى، وفيه السلامة والخلوص من تكفير طوائف من عباد الله، والأمر لله سبحانه ". [(3)]

فالشوكاني – رحمه الله – قد ذهب إلى مذهب الواقفية في مسألة خلق القرآن، فلم يجزم فيه برأي هل هو مخلوق أو غير مخلوق، ولم يرضَ من الأئمة إلا الوقوف في هذه المسألة كما وقف السَّلف في صدر الاسلام.

قلت ورأي الشوكاني – رحمه الله – في هذه المسألة مجانب للصواب ولرأي السَّلف ؛ لأن السَّلف في صدر الاسلام كانوا في غنى عن الزيادة على القول: القرآن كلام الله ؛ لأنهم لم

---

(1) هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، هذا هو الصحيح، أبو عبد الله، من أشراف بغداد، وكان له وجاهة ورياسة، ومن أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، و كان يخالف من يقول بخلق القرآن، ويقدح فى الخليفة الواثق بالله فى أيامه، فقبض عليه وقتله بيده فى سامراء سنة 231هـ. انظر: البغدادي، تاريخ بغداد (ج178/5)،ابن الجوزي، صفوة الصفوة (ج363/2).

(2) انظر القصة كاملة ذكرها ابن كثير فى البداية والنهاية (ج366/10–367–368).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج469/3).

يكونوا يفقهون من هذه الإضافة إلا أنها صفة من صفات الله، وصفات الله غير مخلوقه، حتى ظهرت الجهمية وظهرت بدعة القول بخلق القرآن، فعقل أئمة السّلف خطرها، وقابلوهم برفضها وإنكارها والتشديد عليهم في ذلك ؛ لأن حقيقة كلامهم الكفر، لما تضمن من تكذيب القرآن، وإثبات النقص لله، ولا سبيل لهم لإبطال هذه البدعة إلا أن قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال الدارمي [1]– رحمه الله – : " وقد كان من مضى من السَّلف يكرهون الخوض في هذا أو ما أشبهه، وقد كانوا رزقوا العافية منهم وابتلينا بهم عند دروس الإسلام وذهاب العلماء فلم نجد بداً من أن نرد ما آتوا به من الباطل بالحق، وقد كان رسول الله يتخوف ما أشبه هذا على أمته ويحذرها إياهم، ثم الصحابة بعده والتابعون مخافة أن يتكلموا في الله وفى القرآن بأهوائهم فيضلوا ويتماروا على جهل فيكفروا، فإن رسول الله قد قال المراء في القرآن كفر ". [2]

وعلى هذا قال الإمام أحمد – رحمه الله – : " كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه لم نجد بداً من مخالفتهم والرد عليهم ". [3]

قال الآجري [4]– رحمه الله – : " معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى: يقول لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله عزو جل، فلما جاء جَّهم [5] فأحدث الكفر بقوله إن القرآن مخلوق، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق بلا شك، ولا توقف فيه، فمن لم يقل غير مخلوق سُمي واقفياً شاكاً في دينه ". [6]

---

(1) هو عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، أبو سعيد، محدث هراة، له تصانيف فى الرد على الجهمية منها " النقض على بشر المريسى " سماه ناشروه " رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ". انظر :الزركلي، الأعلام (ج205/4).

(2) الدارمي، الرد على الجهمية (ج23/1).

(3) الدارمي، نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجلّ من التوحيد (ج538/1).

(4) هو محمد الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري، نسبته إلى آجر من قري بغداد، فقيه، شافعي، محدث، كان إماما عالما عاملا، صاحب سنة واتباع، له تصانيف كثيرة، توفي سنة 260هـ. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج99/3)، انظر: البغدادي، تاريخ بغداد (ج243/2).

(5) هو جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، رأس الجهمية، وإليه ينتسبون؛ لأنه أول من نشر المذهب، قال الذهبي عنه: الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك فى زمان صغار التابعين، وقد زرع شراً عظيماً، قتله سلم بن أحوز سنة 128هـ. انظر: الزركلي، الأعلام (ج141/2)، الذهبي، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (ج322/2)، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ (ج149/9).

(6) الآجري، الشريعة (ج527/1).

وبيَّن الشوكاني رحمه الله تجدد كلام الله المفهوم حيث قال " بيَّن سبحانه أنه مع اقتداره على أن يجعلهم ملجئين إلى الإيمان يأتيهم بالقرآن حالاً بعد حال، وأن لا يجدد لهم موعظة وتذكيراً إلا جددوا ما هو نقيض المقصود، وهو الإعراض والتكذيب والاستهزاء ". [1]

وقال في موضع آخر " إن القرآن كلام الله، لا كلام محمد، وأنه من عند الله، وأن محمد صلى الله عليه وسلم إنما يبلغ إليهم منه ما أمره بتبليغه، لا يقدر غير ذلك فقال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس: 16]، أي أن هذا القرآن المتلوّ عليكم هو بمشيئة الله ليس لي في ذلك شيء، ولو شاء الله ما أعلمكم به على لساني".[2]

كما قرر أن كلمات الله لا تتناهى ؛ لأنها تابعة لمعلوماته، وهي غير متناهية، فالكلمات غير متناهية، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109] [3]

قال ابن كثير– رحمه الله – في تفسير أية الكهف : " لو كانت تلك البحور مداداً لكلمات الله، والشجر كله أقلام لانكسرت الأقلام، وفني ماء البحر، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء ؛ لأن أحداً لا يستطيع أن يقدره قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي أثنى على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول ". [4]

قال عثمان بن سعيد الدارمي – رحمه الله – : "... لو جمع مياه بحور السموات والأرض وعيونها، وقطعت أشجارها أقلاماً ؛ لنفدت المياه وتكسرت الأقلام قبل أن تنفد كلمات الله ؛ لأن المياه والأشجار مخلوقة وقد كتب الله عليها الفناء... والله حي لا يموت ولا يفنى كلامه ولا يزال متكلماً بعد الخلق كما لم يزل متكلما قبلهم، فلا يُنفد المخلوق الفاني كلام الخالق الباقي الذي لا انقطاع له في الدنيا والأخرة ". [5]

وقد دل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق الكتاب والسنة ونصوص السَّلف:

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج110/4)

(2) المرجع السابق (ج490/2).

(3) المرجع نفسه (ج375/3).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج205/5).

(5) الدارمي، الرد على الجهمية (ج75/1).

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف: 45]، حيث فرق سبحانه وتعالى بين خلقه وأمره، وهما صفتان من صفاته، أما الخلق ففعله، وأما الأمر فقوله، والخلق إنما يكون بالأمر كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: 82].

قال سفيان بن عيينه [1] – رحمه الله – عندما قيل له: إن بشراً المريسي [2] يزعم أن القرآن مخلوق ، قال: " كذب، قال الله عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾فالخلق خلق الله تبارك وتعالى، والأمر القرآن ". [3]

ومن السنة قوله – صلى الله عليه وسلم – " من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك ". [4]

فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث مشروعية الاستعاذة بكلمات الله كما في قوله أيضاً ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ [الأعراف: 200]، فلو كانت كلماته مخلوقه، لكانت الاستعاذة بها شركاً ؛ لأنها استعاذه بمخلوق، ومن المعلوم أن الاستعاذة بغير الله تعالى وأسمائه وصفاته شرك، فدل هذا على أن كلمات الله تعالى غير مخلوقه، أما من استعاذ بصفة من صفاته تعالى فقد استعاذ بالله.

قال البخاري – رحمه الله – : " وقال نعيم لا يستعاذ بالمخلوق ولا بكلام العباد والجن والإنس والملائكة، وفى هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق وأن سواه مخلوق ". [5]

---

(1) هو سفيان بن عيينه بن أبي عمران الهلالي الكوفى، أبو محمد، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الاسلام، المحدث، كان من الحفاظ المتقنين، قال الشافعي: ما رأيت أحد أحسن تفسيراً للحديث منه، توفي سنة 198هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج414/7)، الزركلي، الأعلام (ج105/3)، الذهبي، ميزان الاعتدال (ج170/2).

(2) هو بشر بن غياث المريسي العدوي، معتزلي، مبتدع ضال، عارف بالفلسفة، أخذ مقالة الجهم بن صفوان واحتج لها ودعا إليها، وإليه تنتسب الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء قال ابن خلكان: جدد القول بخلق القرآن وحكى عنه أقوال شنيعة. انظر: الزركلي، الأعلام (ج55/2)، البغدادي، تاريخ بغداد (ج65/7)، الذهبي، ميزان الاعتدال (ج322/1)، ابن الأثير، الكامل (ج149/6)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج1308).

(3) البخاري، خلق أفعال العباد (ج47/1)، بن حنبل، الرد على الجهمية والزنادقة (ج39/1).

(4) [مسلم، صحيح مسلم، (2080/4، ح 2708)].

(5) البخاري، خلق أفعال العباد (ج240/1).

وقال في موضع آخر " إن حركات العباد وأصواتهم واكتسابهم وكتاباتهم مخلوقه، فأما القرآن المتلوّ المبيَّن المثبت في المصاحف، المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بخلقه ". [1]

قال ابن حجر – رحمه الله – : " قال نعيم بن حماد – رحمه الله – في الرد على الجهمية: دلت هذه الأحاديث الواردة في الاستعاذة بأسماء الله وكلماته، والسؤال بها... على أن القرآن غير مخلوق، إذ لو كان مخلوقاً لم يستعذ بها، إذ لا يستعاذ بمخلوق، فاستعذ بالله... " [2]

وقال البيهقي – رحمه الله – :" بلغني عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه كان يستدل بذلك " أي بكلمات الله التَّامة " على أن القرآن غير مخلوق، قال: وذلك لأنه ما من مخلوق إلا وفيه نقص ". [3]

أما أقوال أئمة السَّلف الصالح في إثبات أن القرآن غير مخلوق فهي كثيرة جداً منها ما روي عن سفيان بن عيينه– رحمه الله – أنه قال: " أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار [4] يقولون القرآن كلام الله وليس بمخلوق ". [5]

وعن أنس [6] – رضي الله عنه – إمام دار الهجرة قال " القرآن كلام الله ليس بمخلوق ". [7]

وكذلك ما نقل عن أبي الدرداء [8] –رضي الله عنه– مرفوعاً " القرآن كلام الله غير مخلوق" [9]

---

(1) المرجع السابق (ج47/1).

(2) ابن حجر، فتح الباري (ج381/13).

(3) البيهقي، الأسماء والصفات (ج477/1).

(4) هو عمرو بن دينار، أبو محمد الجمحي، عالم أهل مكة، سمع ابن عباس وجابر وغيرهما، وهو محدث وفقيه، قال شعبه: ما رأيت أثبت فى الحديث منه، توفي سنة 126هـ. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال (ج259/3)، الزركلي، الأعلام (ج77/5).

(5) البخاري، خلق أفعال العباد (ج29/1)، البيهقي، الأسماء والصفات (ج596/1).

(6) تقدمت ترجمته صفحة 15 .

(7) البيهقي، الأسماء والصفات (ج594/1).

(8) هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، أبو الدرداء، صحابي، من الحكماء الفرسان القضاة، كان قبل البعثة تاجرا ثم انقطع للعبادة، ولما ظهر الاسلام اشتهر بالشجاعة والنسك، قال ابن الجزري: كان من العلماء الحكماء، وهو أحد الذين جمعوا القرآن، حفظاً على عهد النبي بلا خلاف، مات بالشام، انظر: الأعلام (ج98/5).

(9) البيهقي، الأسماء والصفات (ج583/1).

فالقول بأن القرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق؛ بل مُنَّزل من عند الله وهو صفة من صفات الله، قديم النوع حادث الآحاد في التنزيل، هذا معتقد السَّلف أهل السنة والجماعة قاطبةً. [1]

أما عن حكم من توقف في القرآن فلم يقل مخلوق ولم يقل غير مخلوق.

" قال أبو بكر: أتيت أنا والعباس بن عبد العظيم العنبري أبا عبد الله أحمد بن حنبل فسأل العباس أبا عبد الله – رحمه الله – فقال له: قوم ههنا قد حدثوا يقولون القرآن مخلوق ولا غير مخلوق .

فقال: هؤلاء أضَّر من الجهمية على الناس، ويلكم فإن لم تقولوا ليس بمخلوق فقولوا مخلوق .

قال أبو عبد الله: هؤلاء قوم سوء ". [2]

فالواقفية وهم الذين يزعمون أن القرآن كلامه عز وجل ولا يقولون غير مخلوق هم أشر الأصناف و أخبثها وذلك ؛ لأنهم شكاك، والحق لا بد أن يكون في أحد الأمريين اللذين وقف بينهما.

ويبين ابن قتيبه – رحمه الله – ذلك بقوله : "... وكل من ادعى شيئاً أو انتحل نحلة، فهو يزعم أن الحق فيما ادعى وفيما انتحل، فخلا الواقف الشاك فإنه يقر على نفسه بالخطأ ؛ لأنه يعلم أن الحق في أحد الأمرين اللذين وقف بينهما، وإنه ليس على واحد منهما... ". [3]

والحجة على هؤلاء ما احتججنا به من كتاب الله ومن أثار رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن القرآن نفس كلام الله غير مخلوق. [4]

يتبين مما سبق أن الشوكاني – رحمه الله – قرر أن القرآن كلام الله تعالى المُنَّزل على سيدنا محمد، فيتفق مع السلفية وابن كثير– رحمه الله – في هذا الجانب ، ويخالفهم في جانب أن القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق، ابن كثير– رحمه الله – قال في كتابه البداية والنهاية أنه كلام الله غير مخلوق وهو صفة من صفاته، أما الشوكاني– رحمه الله – توقف في ذلك فلم يجزم القول هل هو مخلوق أم غير مخلوق، قلت والصواب رأي ابن كثير– رحمه الله –

---

(1) انظر: البخاري، خلق أفعال العباد (ج45/1)، ابن قدامه، لمعة الاعتقاد (ج18/1)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج182/4)، الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج179/1)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج77/6)، ابن تيمية، التسعينية (ج296/1).

(2) الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة (ج87/1).

(3) ابن قتيبه ، الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة (ج62/1).

(4) انظر: الدارمي، الرد على الجهمية (ج195/1).

لأنه معتقد السَّلف أهل السنة والجماعة قاطبةً، أما الشوكاني رحمه الله لم يسلك المسلك الصحيح في مسألة خلق القرآن.

المطلب الثاني: موقف الفرق من القرآن

كان مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعيهم مجتمعاً خالياً من الشوائب والانحرافات والضلالات، ولم يُحدث القول بخلق القرآن إلا الجهمية أتباع الجهم بن صفوان والمعتزلة، وهو من أعظم المحن والفتن التي مرت بها الأمة الإسلامية في تاريخها، وكان أولَ من أحدث القول بخلق القرآن هو الجعد بن درهم في خلافة هشام بن عبد الملك، وقتله خالد بن عبد الله القسري [1] أمير العراق على مقالته هذه بأمر من الخليفة هشام، قال ابن الأثير– رحمه الله– " قيل أن الجعد ابن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك، فأخذه هشام وأرسله إلى خالد القسري، وهو أمير العراق و أمره بقتله... فلما صلى العيد يوم الأضحى قال في آخر خطبته: انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول ما كلم الله موسى ولا اتخذ إبراهيم خليلاً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبير ثم نزل فذبحه " [2]، وأخذ الراية بعد هلاكه الجَّهم بن صفوان ودعا إلى هذه البدعة، قال البخاري– رحمه الله– : " قال قتيبة–رحمه الله–بلغني أن جهماً كان يأخذ الكلام عن الجعد بن درهم".[3]

ولما بدأ القرن الثالث الهجري قام بنشر بدعة خلق القرآن بشر بن غياث الُمريسي سنة 218هـ، وقام يناظر عليها، وأُذي من أجلها في خلافة هارون الرشيد، فكان يسترها حتى توفي الخليفة فأظهر مقالته ودعا إلى ضلالته، قال ابن الجوزي – رحمه الله–[4] " قال أحمد: فكان بشر متوارياً أيام هارون نحواً من عشرين سنة، حتى مات هارون، فظهر ودعا إلى الضلالة وكان من المحنة ما كان".[5]

---

(1) هو خالد بن عبد الله بن يزيد القسري الدمشقي، هلك سنة 126هـ. انظر: الذهبي، العبر فى خبر من غبر (ج98/1)، الذهبي، ميزان الاعتدال (ج633/1).

(2) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ (ج284/4).

(3) البخاري، خلق أفعال العباد (ج3/1).

(4) هو عبدالرحمن بن على بن محمد بن على ابن الجوزي، البكري، البغدادي، الناسخ، بدر الدين، أبو القاسم على ابن الشيخ، الواعظ المفسر صاحب التصانيف السائرة فى الفنون، قال ابن نقطة: هو صحيح السماع، ثقة، كثير المحفوظ، حسن الإيراد، توفي سنة 163هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج256/6)،الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج92/4).

(5) الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ج417/1).

ثم تلقاها أحمد بن أبي دؤاد [1]، فلما تولي المأمون خالطه قوم من المعتزلة وحسنوا له القول بخلق القرآن، وزينوها للمأمون حتى اعتنقها، وحمل الناس عليها وأكرمهم على اعتقادها، وأخذها من بعده وتلقاها أخوه المعتصم بالله والواثق.

وفى زمن هؤلاء الخلفاء العباسيين نزل البلاء بعلماء أهل السنة والجماعة، الذين ثبتوا على اعتقادهم على منهج السَّلف ببيان الحق في كلام الله تعالى بأنه منزل غير مخلوق، حتى أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ضرب في هذه الفتنة ضرباً شديداً وعذب عذاباً شديداً، لكي يحصلوا منه على أدنى شيء يوافق مذهب الاعتزال فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، فثبت رحمه الله على التمسك بعقيدة السَّلف حتى كان سبباً في حفظ العقيدة الإسلامية الصحيحة من الفساد والضلال، وبين موقفه من بطلان ما دبره الجهمية والمعتزلة من الكيد للإسلام والتفريق بين المسلمين، فبلغ الأمة ضلال وفساد قولهم بأن القرآن مخلوق، وبسبب تلك المحنة التي امتحن فيها أئمة الإسلام، وثبت فيها أحمد بن حنبل – رحمه الله – اختلف الناس اختلافاً كبيراً، فانقسموا إلى طوائف مختلفة في صفة الكلام، وأخذت كل فرقه تدافع عن رأيها وعن معتقدها التي تعتقد به. [2]

وبذلك يتبين لنا أن الله تعالى تكَّفل بحفظ دينه عن التحريف والتغيير والتبديل، بأن أوجد من علماء الكتاب والسنة من يبين للناس أمر دينهم وينكرون على أهل البدع بدعتهم، يقول الشوكاني– رحمه الله – " أوجد الله تعالى من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهل البدع بدعتهم، فكان لهم المقامات المحمودة، والمواقف المشهودة في نصر الدين، وهتك أستار المبتدعين ". [3]

ومن هذه المحنة ندرك مدي قوة العلاقة بين الدين والدولة في ذلك العصر، وما كان يشغله الدين آنذاك من مكانة رفيعة في عهد الخلافة الإسلامية، وما حظي به أئمة الدين وفقهاؤهم من رعاية من جانب الخلفاء؛ ولكن لا يخفى أنه لو اتيح لهذه الحركة العقلية التي نهضت بها المعتزلة لحملت المسلمين على ترك و نبذ السنة النبوية، فيتأثر الإسلام بما قد يطرأ

---

(1) هو أحمد بن أبي دؤاد، قاضي القضاة، أبو عبدالله الإيادي، فصيحاّ، مفوهاّ، شاعراّ، جواداّ، وهو الذي شغب على الإمام أحمد وأفتى بقتله، وقد مرض بالفالج قبل موته بنحو أربع سنين، توفي سنة 240هـ. انظر: الذهبي، العبر (ج339/1).

(2) انظر: ابن الجوزي، القصة كاملة فى كتاب مناقب أحمد بن حنبل (ج416/1–482)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج334/10–368) (ج382/9).

(3) الشوكاني، التحف فى مذهب السَّلف (ج35/1).

عليه من عوامل التغيير والتعديل والاصلاح، بحيث أنه لو وجد هذا لكنا نرى بعد انقضاء فترة من الزمن صوراً من العقائد وصوراً من الحياة الدينية تخالف ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة. ومذاهب الفرق في القرآن هي :-

أولا: مذهب السلف

قالوا مما يجب الإيمان به التصديق بأن الله تعالى متكلم، وذهبوا إلى أن كلامه تعالى صفة قائمة بذاته، لا تنفك عنه سبحانه، إذ الكلام كمال له تعالى، وكماله من لوازم ذاته، وإذا كان كلامه سبحانه غير منفصل عن ذاته ؛ بل صفة من صفاته تعالى، فهو غير مخلوق.

فقد وضَّح ابن تيمية - رحمه الله - رأي السَّلف في مسألة كلام الله تعالى وناقش المخالفين من المعتزلة والمتفلسفة والأشعرية وأنزل كلاً منهم منزلته من صفة الكلام فقال : " اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله متكلم بكلام قائم بذاته، وأن كلامه غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود.

ومعنى بدأ: أي هو المتكلم به، لم يخلقه في غيره، كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم، بأنه بدأ من بعض المخلوقات، وأنه سبحانه لم يقم به كلام.

ومعنى وإليه يعود: ما جاء في الأثار، أن القرآن يسري به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف، ولا في القلوب منه أية ". [1]

وأن القرآن كلام الله بجميع جهاته مُنَّزل غير مخلوق ولا حرف منه مخلوق منه بدأ وإليه يعود. قال عبد الله بن المبارك - رحمه الله - " من كفر بحرف من القرآن فقد كفر ". [2]

فجميع أهل السنة متفقون على أنه متكلم بمشيئته وأنه لم يزل متكلماّ إذا شاء وكيف شاء " قال عامة أهل السنة أن الكلام صفة ذات وفعل، وأن الله لم يزل متكلماّ إذا شاء وكيف شاء، وهذا قول عامة أهل السنة، فلهذا اتفقوا على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ". [3]

وأجمعوا على أن موسى سمع كلام الله من الله بلا واسطه، والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض، فسماع موسى مطلق بلا واسطه وسماع الناس مقيد بواسطة. [4]

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج175/174/3)، الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج168/1).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج182/4).

(3) المرجع السابق (ج132/13).

(4) المرجع نفسه (ج137/12).

كما وضح الشوكاني – رحمه الله – أن كلام الله تعالى لموسى عليه السلام كان من غير واسطة ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: 143]، قال الشوكاني – رحمه الله – " أي سمع كلامه من غير واسطه ". [1]

كما ذكر الشوكاني – رحمه الله – في قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: 164]، " أن الله هو الذي كلم موسى و تكليماً مصدر مؤكد، وفائدة التوكيد دفع توهم المجاز، فإذا أكد الكلام لم يكن إلا حقيقة، وأجمع النحويون على أنه إذا أكد الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً ". [2]

وذهبوا إلى أن هذا القرآن وهو كلام الله المؤلف من الحروف والكلمات والسور والآيات كلام الله حقيقة غير مخلوق، نزل به جبريل من الله تعالى لا من مخلوق، وأنه سمعه من الله حقيقة، وإن كان كيفية تكلم به لا تعلم، وجبريل بلغه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد بلغه إلى صحابته رضي الله عنهم والصحابة بلغوه إلى من بعدهم.

قال ابن تيمية – رحمه الله – " فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه سمعه منه جبريل وبلغه من الله إلى محمد، ومحمد سمعه من جبريل وبلغه إلى أمته فهو كلام الله حيث سمع وكتب وقرئ كما قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾ [التوبة: 6] [3]

قال الإمام أحمد بن حنبل– رحمه الله – "... بل نقول أن الله لم يزل متكلماً إذا شاء، ولا نقول أنه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاماً، ولا نقول أنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً ". [4]

وقال الآجري – رحمه الله – : " أما بعد فإنه من ادعى أنه مسلم ثم زعم أن الله عز وجل لم يكلم موسى فقد كفر، يستتاب فإن تاب وإلا قتل. فإن قال قائل: لم ؟ قيل : لأنه رد القرآن ورد السنة وخالف جميع علماء المسلمين ". [5]

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج276/2).
(2) المرجع السابق (620)
(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج566/12).
(4) ابن حنبل، الرد على الجهمية والزنادقة (ج129/1).
(5) الآجري، الشريعة (ج1107/3).

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " صرح أحمد وغيره من السَّلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولم يقل أحد من السَّلف أن الله تكلم بغير مشيئته وقدرته، ولا قال أحد منهم أن نفس الكلام المعين كالقرآن أن ندائه لموسى أو غير ذلك من كلامه المعين أنه قديم أزلي لم يزل ولا يزال، وأن الله قامت به حروفه معينه أو حروف وأصوات معينة قديمة أزلية لم تزل ولا تزال، فإن هذا لم يقله ولا دل عليه قول أحمد ولا غيره من أئمة المسلمين؛ بل كلام أحمد وغيره من الأئمة صريح في نقض هذا، وأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وأنه لم يزل يتكلم إذا شاء، مع قولهم أن كلام الله غير مخلوق... ". [1]

كما ذكر أنه لا يجوز اطلاق القول بأن القرآن العربي حكاية أو عبارة عن كلام الله القديم؛ بل نقول نقرأ كلام الله ونؤديه ونبلغه ونكتبه ونحفظه، فقال " ولا يجوز اطلاق القول بأن القرآن حكاية عن كلام الله أو عبارة ؛ بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك من أن يكون كلام الله حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً ". [2]

" وإذا كان القرآن كلام الله عز وجل، وكلام الله صفة من صفات ذاته، فلا يجوز أن يكون شيء من صفات ذاته مخلوقاً ولا محدثاً ولا حادثاً، فلو كان القرآن مخلوقاً لكان الله سبحانه قائلاً له كن، والقرآن قوله، ويستحيل أن يكون قوله مقولاً له ؛ لأن هذا يوجب قولاً ثانياً... وهذا يفضي إلا ما لا نهاية وهو فاسد، وإذا فسد ذلك فسد أن يكون القرآن مخلوقاً ". [3]

يتبين مما سبق أن القرآن عند أهل السُّنة والجماعة كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله، وأنه غير مخلوق بحروفه ومعانيه، فهو كلام الله حقيقة، ويضاف إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، يتكلم به ما يشاء متي شاء وكيف شاء، والله تكلم بحروفه ومعانيه وصوته بلفظ نفسه ليس شيء منه كلاماً لغيره ولا صوتاً لغيره، ومن زعم غير ذلك فقد كفر.

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج86/2).

(2) المرجع السابق (ج144/3).

(3) البيهقي، الاعتقاد (ج94/1)

ثانيا: مذهب المعتزلة

حقيقة مذهب المعتزلة في صفات الله تعالى هو نفى قيامها بذاته تعالى فقد قالوا: إن كلام الله تعالى مخلوق، خلقه منفصلا عنه، وهو حرف وصوت، وأن موسى سمع كلاماً أحدثه الله في الشجرة، ولم يسمع كلام الله حقيقة. [1]

و ذهبت المعتزلة إلى أن القرآن مخلوق، وأن الله متكلم بما خلقه، بحيث يقول القاضي عبد الجبار [2] " ولا خلاف بين جميع أهل العدل أن القرآن مخلوق محدث مفعول لم يكن ثم كان... وأنه أحدثه بحسب مصالح العباد وهو قادر على أمثاله، وأنه موصوف بأنه مخبر به وقائل وناه من حيث فعله، وكلهم يقولون أنه عز وجلّ متكلم به ". [3]

وما ذهبت إليه المعتزلة من أن حقيقة كلام الله حروف منظومة، وأصوات مقطعة من جنس الكلام المعقول في الشاهد يشتمل على الأمر والنهي والخبر وغيرها من أقسام الكلام، يقول القاضي " والذي يذهب إليه شيوخنا أن كلام الله عز وجل من جنس الكلام المعقول في الشاهد، وهو حروف منظومة وأصوات مقطعة، وهو عرض يخلقه الله سبحانه في الأجسام على وجه يسمع ويفهم معناه، ويشتمل على الأمر والنهي وسائر أقسام الكلام ". [4]

وإنما قالوا كلام الله مخلوق في الأجسام لنفيهم أن يقوم كلامه تعالى بذاته ؛ ولأن الكلام لا يعقل أن يقوم بنفسه لأنه عرض، فيحتاج إلى محل يقوم به، فمحله عندهم ما يوجده الله فيه من الأجساد.

وقد وضح شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فساد مذهب المعتزلة القائلين بأن الكلام مخلوق قائلاً " وقد بين السَّلف والأئمة وأتباعهم فساد قول المعتزلة وأتباعهم الذين يقولون كلام مخلوق من بوجوه كثيرة مثل قولهم: لو كان مخلوقا في غيره لكان صفة لذلك المحل و لاشتق لذلك المحل منه اسم كما في سائر الصفات مثل العلم والقدرة والسمع والحياة، وكما في الحركة والسكون، والسواد والبياض وسائر الصفات التي تشترط لها الحياة، فإنها إذا قامت بمحل

---

(1) الأشعري، انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ج582/1).

(2) هو عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، القاضي المتكلم، كان من غلاة المعتزلة، صاحب التصانيف، انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال (ج533/2)، الذهبي، العبر (ج229/2).

(3) أبي الحسن، المغني فى أبواب التوحيد والعدل (ج3/7).

(4) المرجع السابق (ج3/7).

كانت صفة لذلك المحل دون غيره، واشتق لذلك المحل اسم دون غيره، فإن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره، وسُمي بالاسم المشتق منها دون غيره.

فلو كان ما يخلقه من النطق والكلام كلاما له لكان ذلك كلام الله كما أن القرآن كلاماً، وكان لا فرق بين أن ينطق هو وبين أن ينطق غيره من المخلوقات وهذا ظاهر في الفساد...".[1]

قال أبو جعفر الطَّحاوي – رحمه الله – " ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره لصح أن يقال للبصير أعمى، وللأعمى بصير؛ لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره، ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التي خلقها في غيره من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك... ".[2]

والقرآن والسنة يبطلان مذهب المعتزلة، قال تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: 82]، وجه دلالة هذه الآية أن الله تعالى خلق كل شيء بقوله كن، فلو كانت كن مخلوقة لأدي ذلك إلى أن مخلوقاً خلق مخلوقاً آخر، وهذا من الباطل الذي لا يقول به أحد.

والمعتزلة يستدلون على خلق القرآن بقوله ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ [الرعد: 16]، فيقولون " إن القرآن داخل في عموم "كل"؛ لأنه شيء فيكون مخلوقا، فهذا مما يعجب له العقلاء إذ أنهم يزعمون أن أفعال العباد غير مخلوقة لله جلّ وعلا، وإنما يخلقها العباد جميعها لا يخلقها الله فأخرجوها من عموم "كل"، وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفات الله تعالى به تكون الأشياء المخلوقة، إذ المخلوقات تكون بأمره سبحانه، ومن قال: بأن صفات الله – تعالى – مخلوقة كالعلم والقدرة وغيرها، فهذا من الكفر الصريح ؛ لأن علمه تعالى شيء وقدرته شيء، فيدخل في العموم الذي تتضمنه "كل" فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ".[3]

---

(1) ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية (ج22/1).

(2) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج168/1).

(3) المرجع السابق (168/1).

قال ابن القيم – رحمه الله – " احتج المعتزلة على مخلوقية القرآن بقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ ونحو ذلك من الآيات، فأجاب الأكثرون بأنه عام مخصوص، يخُص محل النزاع كسائر الصفات من العلم ونحوه .

فقوله تعالى " خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ" التي استدل بها المعتزلة على خلق القرآن أية عامة في جميع الخلق، لا يخرج عنها شيء من هذا الوجود أعيانه وأفعاله، وحركاته وسكناته، ولا يخصص بذات الله تعالى وصفاته، إذ الباري سبحانه خالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له، ونفس اللفظ في الآية قد فرق بين الخالق وبين المخلوق، وصفاته تعالى داخله في مسمى اسمه تعالى، فإن لفظ الجلالة "الله" اسم للإله تعالى الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة عيب ونقص ومثال، والخلق سمان: أعيان وأفعال، وهو سبحانه الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال ". [1]

ويقال للمعتزلة: إن عموم "كل" في كل مقام بحسبه، ويتبين ذلك بالقرائن، وبرهان ذلك قوله تعالى ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الاحقاف: 25]، ومساكن قوم عاد شيء، ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح ؛ لأن المراد تدمر كل شيء قابل للتدمير بواسطة الريح ". [2]

والمعتزلة عندهم أدلة أخرى يستدلون بها على مذهبهم الباطل، ولكن بحمد الله ومنته رد عليهم علماء السَّلف وبينوا عدم وجهة استدلالهم بها وبطلانها، وأن استدلالهم بها لا يساعد على دعواهم في القول بخلق القرآن.

وهذا الكلام المحدث المبتدع جعلوه أصلا لهم في نفى صفات الله تعالى، وظنوا أنهم ينصرون به الإسلام، ويضرون به أعداءه، ولكن لا الإسلام نصروا ولا لأعداءه كسروا، وإنما النتيجة التي حصلت لهم من وراء هذا الأصل الباطل أن سلطوا على أنفسهم علماء الشرع والعقل، فعلماء الشرع قالوا لهم: إنكم خالفتم بقولكم هذا المعقول رغم أن المعتزلة أعرف من الفلاسفة بعلوم الدين، وأولئك أجهل منهم بالشرع والعقل في الإلهيات، ففتحوا على أنفسهم مدخلاً دخلوا عليهم منه، ونقموا منهم بسبب مخالفتهم للعقل. [3]

---

(1) ابن القيم، شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعلىل (ج53/1).

(2) ابن القيم، شفاء العليل (/53)

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج544/5).

ثالثا: مذهب الجهمية

أما مذهب الجهمية في صفة الكلام فإنهم قالوا: إن كلامه سبحانه مخلوق، ومن بعض مخلوقاته ليس قائماً بذاته، فالكلام بدأ من هذه المخلوقات وليس من الله، ولا يقوم بالله كلام ولا إراده ولا قدره ولا اختيار ولا محبة، ومن أثبت له هذه الصفات فهو مُجسِّم، وأنه سبحانه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة، وكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء. (1)

قال أبو الحسن الأشعري (2)– رحمه الله – " وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى ؛ لأن النصارى زعمت أن كلمة الله حواها بطن مريم، وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق في الشجرة، وكانت الشجرة حاويه له فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كلم موسى، وأن الشجرة قالت ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه: 14] (3)

قال ابن تيمية – رحمه الله – بعد أن ذكر أن المعتزلة والجهمية ينفون الصفات " لكن المعتزلة يقولون أن الله كلم موسى حقيقة وتكلم حقيقة، لكن حقيقة ذلك عندهم أنه خلق كلاماً في غيره إما في شجرة وإما في هواء وإما في غير ذلك، من غير أن يقوم بذات الله عندهم كلام ولا علم ولا قدرة ولا رحمه ولا مشيئة ولا حياة ولا شيء من الصفات.

والجهمية تارة يبوحون بحقيقة القول، فيقولون أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولا يتكلم، وتارة لا يظهرون هذا اللفظ لما فيه من الشناعة المخالفة لدين الإسلام واليهود والنصارى، فيقرون باللفظ، ولكن يقرنونه بأنه خلق في غيره كلاماً ". (4)

وقال في موضع أخر مبينا بطلان قول الجهمية "... فإنهم زعموا أن القرآن خلقه الله في غيره، فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذي خلق فيه لا من الله كما يقولون: كلامه لموسى

---

(1) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج87/1)، الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج117/1).

(2) هو على بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن أبي بردة بن أب موسي، أبو الحسن الأشعري، المتكلم، صاحب التصانيف فى الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة، توفي سنة 330 ونيف. انظر: البغدادي، تاريخ بغداد (ج346/11).

(3) الأشعري، الإبانة (ج68/1).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج503/12).

خرج من الشجرة، فبين السَّلف والأئمة أن القرآن من الله بدأ وخرج، وذكروا قوله ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي ﴾ [السجدة: 13]، فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات.

و "من" هي لابتداء الغاية، فإن كان المجرور بها عيناً يقوم بنفسه لم يكن صفة لله كقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية: 13]، وقوله في المسيح ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ [النساء: 171]،وكذلك ما يقوم بالأعيان كقوله ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 53].

وأما إذا كان المجرور بها صفة ولم يذكر لها محل كان صفة لله كقوله " وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي "

وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن أن القرآن نزل منه وأنه نزل به جبريل منه، رداً على هذا المبتدعين و أمثالهم ممن يقولون أنه لم ينزل منه ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ [الأنعام: 114]، وقال تعالى ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: 102]، وروح القدس هو جبريل... فبيَّن أن جبريل أنزله من الله لا من الهواء ولا من لوح ولا غير ذلك.

وكذلك سائر آيات القرآن كقوله ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [الزمر: 1]، فقد بيَّن في غير موضع أنه منزل من الله.

فمن قال: أنه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفتر على الله، مكذب لكتاب الله، متبع لغير سبيل المؤمنين، ألا ترى أن الله فرق بين ما نزل منه وما نزل من بعض المخلوقات كالمطر بأن قال ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾ [الرعد: 17]، فذكر المطر في غير موضع وأخبر أنه نزله من السماء، والقرآن أخبر أنه منزل منه، وأخبر بتنزيل مطلق في قوله ﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾[الحديد: 22]؛ لأن الحديد ينزل من رؤوس الجبال لا ينزل من السماء...

ولو كان جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لكان اليهود أكرم على الله من أمة محمد ؛ لأنه يثبت بالنقل الصحيح أن الله كتب لموسى التوراة بيده وأنزلها مكتوبة، فيكون بني إسرائيل قد قرأوا الألواح التي كتبها الله، وأما المسلمون فأخذوه عن محمد – صلى الله عليه وسلم – ومحمد

أخذه عن جبريل وجبريل من اللوح، فيكون بنوا إسرائيل بمنزلة جبريل، وتكون منزلة بني إسرائيل أرفع من منزلة محمد صلى الله عليه وسلم على قول هؤلاء الجهمية ". [1]

وقال البخاري – رحمه الله – " وقال بعض أهل العلم: إن الجهمية هم المشُّبهة ؛ لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم والأبكم ، الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق، وقالت الجهمية: هو كذلك لا يتكلم ولا يبصر نفسه ". [2]

فهذا هو مذهب الجَّهمية الزنادقة الملاحدة في كلام الله الله تعالى حيث يزعمون أن القرآن كلام الله على سبيل المجاز لا الحقيقة، وهو مخلوق غير منزل ، وقولهم هذا باطل وفاسد لمخالفته القرآن والسنة وإجماع سلف الأمة.

وهو متفقون مع المعتزلة في نفى أن يكون لله تعالى صفات قائمة به ذاتية كانت أو فعلية . فالرسل إنما بعثوا ليبلغوا كلام الله، والكلام المخلوق في غيره لا يكون كلامه، بل قولهم يقتضي تعطيل التوحيد والعالم عن موجده.

رابعا: مذهب الأشاعرة

فقد ذهب الأشاعرة في مسألة كلام الله إلى أمر لا يقبله العقل ولا يسوغه الشرع فقد قالوا " الكلام عبارة عن معنى واحد قائم بنفسه وهو صفة أزلية قديمة، ليس بصوت ولا حرف، وهو عين الأمر، وعين النهي، وعين الخبر، وعين الاستخبار، الكل من أمر واحد ليس له أنواع ولا أجزاء، فإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وإن عبر عنه بالعربية فهو قرآناً.

وقالوا: تسمي هذه العبارات كلام الله مجازاً، وأن موسى – عليه السلام – لم يسمع كلام الله حقيقة بل سمع ما يدل عليه. [3]

ويلزم من هذا أن ما في القرآن من المعاني هو ما في التوراة والإنجيل، وهذا عين الباطل قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وجمهور العقلاء يقولون: إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام، نحن إذا عربنا التوراة والإنجيل لم يكن معناهما معنى القرآن، بل

---

(1) ابين تيمية، الفتاوى (ج12/518-521).

(2) البخاري، خلق أفعال العباد (ج1/34).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج6/522)، ابن القيم ، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة (ج1/499).

معاني هذا ليست معاني هذا ليست معاني هذا، وكذلك ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] ليس هو معنى ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1]" [1].

والقرآن عند الأشاعرة كلام نفسي؛ لأن الكلام ينقسم إلى قسمين: كلام نفسي وهو كلام الله فذلك قديم، وكلام لفظي وهو حادث مخلوق.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – في الرد على مذهب الأشعرية " فالكلام القديم النفساني الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو ؟ بل ولا تصورتموه ، وإثبات الشيء فرع عن تصوره ما يثبته كيف يجوز أن يثبته، ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيئاً يعقل بل يقول: هو معنى يناقض السكوت... ". [2]

وجاء في موضع آخر وأما قول الأشاعرة إن الكلام عبارة عن معنى واحد فهو باطل ؛ لأنه يقال لهم: هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى أو بعضه، فإن قالوا: سمعه كله فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله، وفساد هذا ظاهر.

وإن قال: بعضه فقد قال: تبعيض وكذلك كل من كلمة الله، أو أنزل إليه شيئاً من كلامه، ولما قال الله تعالى للملائكة ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾ [البقرة، 30]، أو قال لهم ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾[البقرة: 34].

وأمثال ذلك فهل هذا جميع كلامه أو بعضه: فإن قال إنه جميعه فهذا مكابرة، وإن قال: بعضه فقد اعترف بتعدده، وكذلك أن معنى أية الكرسي ليس معنى ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ولا معنى ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ ولا معنى﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [3].

أما مذهب الأشاعرة في صفة الكلام بعيد كل البعد عن مذهب السَّلف ، وقريب كل القرب من مذهب الجَّهمية والمعّتزلة ، كما صرح الإيجي بذلك حيث قال:

" قالت المعّتزلة أصوات، وحروف يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ، أو جبريل، أو النبي، وهو حادث، وهذا لا ننكره، لكنا نثبت أمرا وراء ذلك وهو المعنى القائم بالنفس، ونزعم أنه غير العبارات إذ تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة والأقوام ". [4]

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج122/12)، السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج166/1).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج296/6).

(3) ابن تيمية، انظر مجموعة الرسائل والمسائل (ج96/3)، الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج179/1).

(4) الإيجي، المواقف (ج129/3).

هذا موقفهم بالنسبة لكلام الله تعالى، أما موقفهم من مسألة خلق القرآن فذكر ابن رشد في منهاج الأدلة أن أبا الحسن الأشعري يذهب في كتابه الإبانة أن القرآن غير مخلوق لفظه ومعناه، وأنه كان أقرب إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل في قوله: القرآن غير مخلوق.

فقال "... لكنا وجدنا أن الأشعري كان أقرب إلى أحمد بن حنبل – رحمه الله – ؛ لأنه ينص صراحة على أن كلام الله غير مخلوق، وهو يريد بذلك القرآن لفظه ومعناه ؛ لأنه يقول " ولا يجوز أن يقال أن شيئاً من القرآن مخلوق ؛ لأن القرآن بكمال غير مخلوق ". [1]

وكذلك نص على كلام الله هو القرآن المكتوب في المصاحف، والمحفوظ في الصدور، والذي تتلوه الألسنة، وقد أراد بذلك أن يقطع السبيل على هؤلاء الذين يقولون أن لفظ القرآن مخلوق.

ويؤكد ذلك قوله وهو يرد على الجهمية الذين يقولون القرآن مخلوق " وإن سألونا عن قول الله عز وجلّ "قرآنا عربيا" قيل لهم الله عز وجل أنزله وليس مخلوقاً، فإن قالوا فقد قال الله ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ والحديد مخلوق، قيل لهم: الحديد جسم موات، وليس يجب إذا كان القرآن منزلاً أن يكون جسماً مواتاً، فكذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلاً أن يكون مخلوقاً، وإن كان الحديد مخلوقاً ". [2]

إلا أنه يقال آخر ما ذهبت إليه الأشعرية في كلام الله هو أنه كلام الله غير مخلوق لفظه ومعناه، كما أشار إلى ذلك ابن حجر – رحمه الله – بقوله " والذي استقر عليه قول الأشعرية أن القرآن كلام الله غير مخلوق، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، قال تعالى ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6] وقال ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت: 49] ". [3]

خامسا: مذهب الماتوريدية:

أما مذهب الماتريدية في كلام الله فقد ذهبوا إلى ما ذهبت إليه الأشعرية، وهو أن الله تعالى متكلم بكلام نفسي هو صفة له، قائمة به لم يزل متكلماً به .

حيث جاء في كتاب المسايرة " وبعد اتفاق أهل السنة من الأشعرية والماتريدية وغيرهم على أنه تعالى متكلم بكلام نفسي هو صفة له قائمة به، لم يزل تعالى متكلماً به ". [4]

---

(1) الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة (ج101/1).

(2) الأشعري، الإبانة (ج103/1-104).

(3) فتح الباري لابن حجر (493/13).

(4) المسامرة لكمال ابن أبي يوسف فى شرح المسايرة، لكمال ابن الهمام فى علم الكلام، (ج81/8).

وأن كلامه تعالى معنى واحد لا يختلف، ليس من جنس الحروف والأصوات بل هذه الحروف والأصوات عبارات عن المعنى القائم بذاته تعالى، فليست كلامه تعالى إذ هي حادثه مختلفة.

قال الدكتور فتح الله خليفة في تحقيق كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي " فنقرأ في تبصرة الأدلة للإمام أبي معين النسفي وهو من أكبر من نصر مذهب الماتريدي: اختلف الناس في كلام الله أقديم هو أم محدث. قال أهل الحق: أن كلام الله تعالى صفة له أزلية ليست من جنس الحروف والأصوات، وهي صفة قائمة بذاته منافية للسكوت، والآفات من الطفولة والخرس وغير ذلك...

وفى موضع آخر يقول النسفى: ثم نشتغل بتصوير المسألة بيننا وبين الخصوم في القرآن ليتبين بذلك اندفاع أكثر أسئلتهم التي يموهون بها على الضعفة، فنقول إن كلام الله تعالى صفة قائمة بذات الله تعالى ليست من جنس الحروف والأصوات، وهو صفة واحدة، وهو أمر به، نهى عما نهى عنه، خبر عما أخبر عنه، وهو صفة أزلية.

ثم هذه العبارات العربية أو العبرية أو السريانية عبارات عنه وهو يتأدى بها، وهذه العبارات حروف وأصوات، وهي محدثة مخلوقة في محلها دلالات على الكلام الذي هو الصفة الأزلية لله تعالى، لها أبعاض وأجزاء وأنصاف وأعشار وغير ذلك، وهي نفسها مختلفة، وكلام الله تعالى واحد ليس بمتجزئ ولا مختلف ". [1]

قال ابن تيمية – رحمه الله – : " والتزم هؤلاء أن حروف القرآن مخلوقة، وإن لم يكن عندهم الذي هو كلام الله مخلوقاً، وفرقوا بين كتاب الله وكلامه، فقالوا: كتاب الله هو الحرف وهو مخلوق، وكلام الله هو معناه غير مخلوق، مع أن الله تعالى سمي مجموع اللفظ والمعنى قرآناً وكتاباً وكلاماً فقال :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: 6]، فجعل اللفظ المسموع من مبلغ كلام الله تعالى كلامه حقيقة لا دال على كلامه، والأصل في الإطلاق الحقيقة ". [2]

(1) السمرقندي، كتاب التوحيد (ج11/1-12).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج35/12).

سادسا: مذهب الفلاسفة [1]

قالوا " إن كلام الله هو عبارة عمَّا يفيض من العقل الفعال أو من غيره على النفوس الفاضلة الزكية، بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات، وتصديقات بحسب ما قبلته منه، ولهذا النفوس عندهم ثلاث قوى، قوة التصور، قوة التخيل، قوة التعبير وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول كلام الله ولا حقيقة له في الخارج، وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية ". [2]

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51].

فهذه الآية دلت على أن الوحي إلى الرسل كان حقيقة ولم يكن تخيلاً يتخيله الرسول كما زعمت ذلك الفلاسفة، فدعواهم هذه من أفسد الأقوال وأبطل الباطل.

" والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه، وهو القائم بنفسه المباين لخلقه العالى فوق سمواته، فوق عرشه، الفعال لما يريد بقدرته ومشيئته، العالم بجميع المعلومات، القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله ". [3]

ثامنا: مذهب الاتحادية:

أما مذهب الاتحادية الحلولية فقد زعموا أن كل كلام في الوجود هو كلام الله، نظمه ونثره، حقه وباطله، سحره وكفره، خيره وشره، فكل ذلك عيّن كلام الله تعالى القائم به، وهذا المذهب بنوه على أصلهم الذي أصلوه وهو اتحاد الخالق بالخلق، وأن الله سبحانه هو عيّن الوجود، فصفاته هي صفات الله، وكلامه هو كلام الله.

---

(1) هو طائفة ينسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتى ن "فيلا" أي محب و "سوفيا" أي الحكمة، فمعناها محب الحكمة، من آرائهم: القول بقدم العالم، وإنكار النبوات، وإنكار البعث الجسماني وغيرها. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج116/2).

(2) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج38/3)، الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج168/1)، ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة (ج497/1).

(3) ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة (ج497/1).

وأصل هذا المذهب إنكار مباينة الله لخلقه وعلوه واستوائه على عرشه، ولما أصلوا لأنفسهم القول بأن الله في مكان، وأنه غير مباين لهذا العالم بل هو عين هذا العالم، فله حينئذ كل اسم حسن وقبيح، وكل صفة كمال ونقص، وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك ". [1]

قال الشوكاني رحمه الله : " والحاصل أن قول الاتحادية يقضي عقل كل عاقل ببطلانه، ولا يحتاج إلى نصب الحجة معهم ". [2]

وبين رحمه الله في موضع أخر أن القرآن كله مصرح خلاف مقالتهم الشنيعة، فهذه فاتحة الكتاب قد اشتملت على أكثر من عشرة أدلة مبطلة لهذه المقالة ؛ لأن الله جل جلاله قد أثبت فيها حامداً ومحموداً، ورباً ومربوباً، وراحماً ومرحوماً، ومالكاً ومملوكاً، وعابداً ومعبوداً، ومستعيناً ومستعاناً به، وهادياً ومهدياً، ومنعماً و منعماً عليه ، وغاضباً ومغضوباً عليه وغير ذلك. [3]

تاسعا: مذهب الكرامية [4]

ذهبت هذه الطائفة أتباع محمد بن كرام [5] إلى أن كلامه تعالى قائم به وهو حروف وأصوات حادثة متعلقة بقدرته ومشيئته تعالى ليست مخلوقه في غيره ، فقد قالوا " إن كلام الباري سبحانه حروف وأصوات، وأنه متعلق بالمشيئة والقدرة، قائم بذات الرب تعالى، تكلم به بعد أن لم يكن متكلماً، وأنه لا مانع أن توجد الحوادث للصانع – جلّ وعلا – بعد أن تكلم،

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج149/12)، ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة (ج496/1).

(2) الشوكاني، قطر الولي (ج420/1).

(3) الشوكاني، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد (ج39/1).

(4) هي فرقة إسلامية تنتسب إلى محمد بن كرام الذي نشأ فى سجستان وتوفي ببيت المقدس سنة 256هـ، والكرامية مجسمون، أطلقوا على الله لفظ "الجسم" لذلك عدهم الشهرستاني من الصفاتية الذين غلو فى الإثبات حتى انتهى بهم إلى التجسيم والتشبيه، وأما الأشعري فى المقالات فعدهم من فرق المرجئة لقولهم إن الإيمان هو الإقرار والتصديق دون اعتقاد القلب وعمل الجوارح، وعرفوا بالزهد والتقشف والعبادة، انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج108/1)، الأشعري، مقالات الاسلاميين (ج141/1).

(5) هو محمد بن كرام، أبو عبد الله، ساقط الحديث على بدعته، وإليه تنسب الكرامية، وكان يظهر عليه التقشف والتعبد، قال ابن حبان: خُذل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أهواها، توفي سنة 255هـ، ودفن فى بيت المقدس. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال (ج21/4)، السبكي، طبقات الشافعية (ج304/2).

فوجود الكلام عندهم في الأزل ممتنع كوجود الأفعال، وكذلك إن الكلام ممتنع أن يكون مخلوقاً في غيره، والله تعالى متكلم بمشيئته وقدرته، فيكون كلامه حادثاً، كان بعد أن لم يكن ". [1]

والكرامية وافقوا الحنابلة في أن كلامه تعالى حروف وأصوات وسلموا أنها حادثة، لكنهم زعموا أنها قائمة بذاته تعالى لتجويزهم قيام الحوادث به ". [2]

وأياً كانت حقيقة كلام الله عند الكرامية فهم يجوزون قيام الحوادث بذاته تعالى، فقالت طائفة: بل نقول إنه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السَّلف والأئمة، وإن لزم من ذلك قيام الحوادث به فلا محذور في ذلك لا شرعاً ولا عقلاً، بل هذا لازم لجميع طوائف العقلاء، وعليه دلت النصوص الكثيرة وأقوال السَّلف والأئمة.[3]

ومذهب الكرامية في كلام الله مشتمل على حق وباطل، فإثباتهم كلاماً وفعلاً حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل هذا حق، وأما زعمهم أن الباري تكلم بعد أن لم يكن متكلماً، فصار الكلام ممكناً بعد أن كان ممتنعاً، فهذا عيّن الباطل، إذ المعلوم أن الممتنع لذاته لا يصير ممكناً لذاته، وقولهم هذا يلزم منه تعطيله عن صفة من صفات كماله أزلاً وهو الكمال ؛ لأن الكلام من صفات الكمال وهو متصف بصفات الكمال أزلاً وأبداً.

عاشراً: مذهب السالمية [4] :

ذهبت هذه الطائفة إلى أن كلام الله تعالى قائم به صفة له، وهو حروف، أو حروف وأصوات قديمة الأعيان قائمة به لم يزل الله تعالى ولا يزال متصفا بها، وإن هذه الحروف والأصوات القائمة به مقترنة ومجتمعة في الأزل وليس لأحدها تقدم بالزمان على الآخر، إذ لا يوجد قبل وبعد في الأزل.

---

(1) ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل (ج29/3)، الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج168/1)، انظر: ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة (ج500/1).

(2) الإيجي، المواقف (ج133/3).

(3) انظر: الهراس، شرح القصيدة النونية (ج46/1).

(4) هي فرقة كلامية، ذات نزعة صوفية، وهي طائفة تنتسب إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري وإلى ابنه أبي الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن سالم، وقد تتلمذ الأب على سهل بن عبد الله التسترى، وقد كانت السالمية بمذهبها الأصولي والصوفى ذات أثر كبير فى العالم الإسلامي، كانوا متكلمة وزهاداً مالكيه.

فقد قالوا: بأن صفة الكلام من الصفات القديمة القائمة بذات الرب – جلّ وعلا – لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته ومع ذلك يقولون: بأنه حروف وأصوات وسور وآيات، سمعه جبريل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان بواسطة وبغير واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضاً، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات، ولا تعدم بل لم تزل قائمة بذاته – سبحانه – قيام صفة الحياة والسمع والبصر. [1]

قال ابن تيمية – رحمه الله – في الرد على هؤلاء "... لم يفرق هؤلاء بين الحروف المنطوقة التي لا توجد إلا متعاقبة، وبين الحروف المكتوبة التي توجد في آن واحد، كما يفرق بين الأصوات والمداد، فإن الأصوات لا تبقى بخلاف المداد، فإنه جسم يبقى، وإذا كان الصوت لا يبقى امتنع أن يكون الصوت المعين قديماً ؛ لأن ما وجب قِدمه لزم بقاؤه، وامتنع عدمه، والحروف المكتوبة قد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد أو ما يقدر بقدر المداد كالشكل المصنوع في حبر وورق، فإزالة بعض أجزائه تدل على حدوثه، وقد يراد بالحروف نفس المداد.

وأما الحروف المنطوقة فقد يراد بها أيضا الأصوات المقطعة المؤلفة، وقد يراد بها حدود الأصوات وأطرافها، كما يراد بالحرف في الجسم وحده ومنتهاه فيقال: حرف الرغيف وحرف الجبل ونحو ذلك، وقد يراد بالحروف الحروف الخيالية الباطنة، وهي ما يتشكل في باطن الإنسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل أن يتكلم به ". [2]

فقولهم أن الكلام حروف وأصوات، لا يتعلق بقدرته ومشيئته تعالى، مخالف لصريح العقل، إذ الصوت لا يكون إلا شيئاً بعد شيء، ولا يكون كلاماً إلا بالحروف، والتعاقب لا يكون إلا بالقدرة والمشيئة، وقد ثبت بالأدلة السمعية والعقلية أن كلامه تعالى بقدرته ومشيئته، وفى ذلك بيان لفساد مذهب السالمية ورد لهم.

الحادي عشر: مذهب الكلابية

لقد ذهب عبد الله بن كلاب إلى أن القرآن عبارة عن حكاية معنى قائم بنفسه لا يتعلق بقدرته ومشيئته وأنه لازم لذاته جلّ وعلا كلزوم الحياة والقدرة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، وليس له حرف ولا صوت، وهو أربعة معاني في نفسه، الأمر والنهي، والخبر والاستخبار، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلوّ المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقه، وأن الله سبحانه لا يتكلم بمشيئته وقدرته،

---

(1) انظر : ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج12/271)، ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة (ج1/105).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج12/151).

وأنه ليس فيما يقوم به شيء يكون بمشيئته وقدرته لامتناع قيام الأمور الاختيارية به عندهم لأنها حادثه، والله لا يقوم به حادث عندهم، وقالوا: إذ لو قلنا أنه بقدرته ومشيئته لزم أن يكون حادثاً فيلزم أن يكون مخلوقاً، أو قائماً بذات الرب، فيلزم قيام الحوادث به ، وذلك يستلزم تسلسل الحوادث ؛ لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده وتسلسل الحوادث ممتنع. (1)

فهو ينكر أن يكون الله في الأزل آمراً، ناهياً، مخبراً، والذي دفعه إلى ذلك نفى العبث عنه تعالى، وذلك أن الأمر قبل وجود المأمور والخبر قبل وجود المخاطب سفه وعبث لا يليق بالله سبحانه.

قال أبو معالى الجويني " ذهب عبد الله بن سعيد بن كلاب من أصحابنا إلى أن الكلام الأزلي لا يتصف بكونه أمراً، نهياً، خبراً، إلا عند وجود المخاطبين... ". (2)

ويرى السُّبكي – رحمه الله – في الطبقات " أن ابن كلاب وصاحبه أبا العباس القلانسي زاداً على الأشاعرة في كلام الله فذهبا إلى أن كلامه تعالى لا يتصف بالأمر والنهي والخبر في الأزل لحدوث هذه الأمور، وقِدم الكلام النفسي، وإنما يتصف بذلك فيما لا يزال ". (3)

ويستدل ابن كلاب على أن كلام الله غير مخلوق بأن الله لا يخلق شيئاً إلا قال له "كن" فلو كان كلامه مخلوقاً لكان مخلوقاً بقوله "كن" وقوله "كن" كلام له فيكون مخلوقاً بكن أخرى ، وهكذا فيلزم التسلسل المحال.

والقرآن عند ابن كلاب اسم لذلك المعنى القديم القائم بذاته تعالى فهو غير مخلوق. (4)

يتبين مما سبق أن القرآن العربي عند الكلابية ليس كلام الله ولا يتعلق بقدرته ولا مشيئته، وإنما كلامه المعنى الذي قام بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى، وإما أن يكون خلق في بعض الأجسام كالهواء وغيره، أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن، أو ألهمه محمد فعبر عنه بالقرآن، وأن الله ليس بالآمر ولا بالناهي وهذا عيّن الباطل ومخالف لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

تلك هي أقوال الناس ومذاهبهم في صفة الكلام، وهي الأقوال التي قيلت في القرآن الكريم، ومما لا شك فيه أن القول الذي يجب على المسلم أن يُدين الله به هو ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع سّلف الأمة من أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه، ليس

---

(1) انظر مجموع الفتاوى (ج150/12)، ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة (ج499/1)، السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج134/1-135).

(2) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة وأصول الاعتقاد (ج119/1).

(3) السُّبكي، طبقات الشافعية (ج300/2).

(4) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج585/1).

شيء من ذلك كلاماً لغيره، ولكن أنزله على رسوله، وأنه تعالى يتكلم بصوت كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد، لا صوت القارئ ولا غيره، وأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يُشّبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه تُشّبه معانيه ، ولا حروفه تُشّبه حروفه، ولا صوت الرب يُشّبه صوت العبد. (1)

أما موقف الشوكاني – رحمه الله – والسّلفية تجاه هذا المنهج الكلامي المبتدع " نقد الشوكاني منهج الطوائف التي أطالت ذيول الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات حتى تشعبت وتخالفت نحلهم، وأرجع هذا التخالف والتشعب إلى أسباب ثلاث:

1- عدم وقوفهم – علماء ومنتسبين للعلم – حيث أوقفهم الله.

2- دخولهم في أبواب لم يأذن الشرع لهم بدخولها.

3- محاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه. (2)

و يقول الشوكاني – رحمه الله – في موضع أخر " دع عنك من تلك التمذهبات في الصفات، وأرح نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون، واصطلحوا عليها، وجعلوها أصلاً يرد الكتاب والسنة... وجعلها من بعدهم أصلا لا مستند لها إلا مجرد الدعوي على العقل والفرية على الفطرة...

وأغرب من هذا وأشنع وأفظع أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقلات أصولاً تُرد إليها أدلة الكتاب والسنة، جعلوها معياراً لصفات الرب تعالى، فما تعقله هذا من صفات الله تعالى قال به جزماً، وما تعقله خصمه منهما قُطع به، فأثبتوا لله تعالى الشيء ونقيضه، استدلالاً بما حكمت به عقولهم الفاسدة .

ولم يلتفتوا إلى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله، فكان حاصل هؤلاء أنهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه ". (3)

وقد حدد الشوكاني – رحمه الله – المورد الذي يجب أن تأخذ منه أصول الدين وما يتعلق بالله من صفات، فذكر أنه لا يجوز التعويل على غير الكتاب والسنة، في أخذ الأسماء

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج375/12)، (ج480/11)، السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج138/1).

(2) الشوكاني، التحف فى مذهب السلف (ج36/1).

(3) المرجع السابق (ج38/1).

والصفات، والاعتصام بالألفاظ والنصوص والمعاني الواردة فيهما فقال " أصول الدين الذي هو عمدة المتقين ما في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما في السنة المطهرة ". [(1)]

وفى نهاية المطاف يتبين أن الحق في هذه المسألة هو ما ذهب إليه أئمة السنة والحديث من أن الكلام صفة كمال لله عز وجل كسائر الصفات، فهو لم يزل ولا يزال متكلماً متى شاء وكيف شاء، ولكلامه حرف وصوت يسمع، والكلام على هذا القول صفة ذات وفعل، قَديم النوع حادث الآحاد، ويقولون في صفة الكلام كما يقولون في سائر الصفات، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، كما عليه سّلف الأمة وفحول الأئمة، فهو حق اليقين بلا محال، وهل بعد الحق إلا الضلال.

---

(1) الشوكاني، تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام، (2090/4).

الفصل الثانـي

البعث والنشور بين تفسيرى

ابن كثير والشوكانـي

الفصل الثاني

البعث والنشور بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

تَقَّدم أن بينتُ في الفصل الأول منهج ابن كثير والإمام الشوكاني في الإيمان بالله تعالى الذي يشمل على أنواع التوحيد الثلاثة، الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وما يناقضه من الأعمال الشركية والبدعية.

وفى هذا الفصل سأبين منهجهما في البعث والنشور وما يتعلق بهما من مسائل الاعتقاد، والله سبحانه أسأله التوفيق والسداد والرشاد والهدى إلى سواء السبيل.

الإيمان بالبعث والنشور بعد الموت، الذي يكون يوم القيامة، ببعث أهل القبور وسوقهم إلى أرض المحشر والمنشر للعرض الأكبر والحساب والجزاء والثواب والعقاب مما يجب الاعتقاد به ؛ وذلك لأن وقوعه دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، وهو قرين الإيمان بالغيب الذي هو فَيْصَل التَفَرّقة بين الإيمان والزندقة، فهو أمر معلوم من الدين بالضرورة، ومنكره خارج عن الإسلام، فقد أخبر الله عنه في كتابه وأقام عليه الدليل وأولاه اهتماماً كبيراً ، ورد على منكريه في آيات كثيرة من القرآن العظيم، وهذا ما سأبينه في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

البعث والحساب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: البعث :-

أ. البعث لغة :

البعث في اللغة هو الإثارة والإخراج ، قال ابن فارس – رحمه الله – : " الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة. ويقال بعثنا الناقة إذا أثرتها ". [1]

" وأصل البعث الإثارة للشيء من محله، يقال: بعثت الناقة، أي أثرتها. ومنه قول عنترة

وصحابة شم الأنوف بعثتهم ليلا وقد مال الكرى بطلاها ". [2]

وجاء في اللسان " والبعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإرسال كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس: 75]، معناه أرسلنا.

والبعث أيضاً إثارة بارك أو قاعد، تقول: بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار. والبعث أيضاً الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: 56]، أي أحييناكم، وبعث الموتى نشرهم ليوم البعث. وبعث الله الخلق يبعثهم بعثاً: نشرهم ". [3]

وفى معنى البعث: النشر، يقال: نشر الميت نشوراً، قال تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: 15]، وقال تعالى ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: 40]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: 10]. [4]

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج266/1).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج103/1).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج307/1).

(4) انظر: الأصفهاني، مفردات فى غريب القرآن (ج805/1)، ابن منظور، لسان العرب (ج4424/6)، السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج158/2).

فالنَشّر في اللغة يأتي بمعنى البسط، والانتشار، وتقلب الإنسان في حوائجه، ويأتي بمعنى التفرق أما مجيئه بمعنى البسط فمثل قوله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير، 10]، وأما مجيئه بمعنى الانتشار ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ [الفرقان: 47]، أي جعل فيه الانتشار وابتغاء الرزق.

وعن تقلب الإنسان في حوائجه قوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة: 10]. [1]

والنشور: البعث أي الإحياء بعد الموت، يقال: أنشر الله الموتى فنشروا. [2]

قال الامام ابن كثير– رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: 22]، " بعثه بعد موته، ومنه يقال البعث والنشور ". [3]

وقال ابن الأثير " يقال: نشر الميت يُنشر نشوراً، إذا عاش بعد الموت، وأنشر الله أي أحياه".[4]

إذن يتبين مما سبق أن النشور يرادف البعث في المعنى، فيقال نشر الميت ينشر نشوراً بعد الموت أي يبعثه الله بعد الموت من قبورهم إلى الموقف للحساب والجزاء.

وأما المراد بالبعث في الشرع: فهو إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم أحياء للجزاء والحساب يوم القيامة.

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –:" البعث هو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة ". [5]

وجاء في شرح المقاصد " هو الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق، وإلى الحياة بعد الموت، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة، ويكون ذلك بعد النفخة الثانية ". [6]

---

(1) انظر: الأصفهاني، المفردات فى غريب القرآن (ج806/1).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج323/8).

(3) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(4) ابن الأثير، النهاية (ج128/5).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج395/5).

(6) التفتازاني، شرح المقاصد فى علم الكلام (ج207/2).

إذن يتبين مما سبق أن البعث هو إحياء الله لأجساد الأموات بعد الفناء، بعد النفخة الثانية ، ورجوع الروح إليها للحساب والجزاء وفصل القضاء، فيحاسب الخلائق، ويُوفى كل عامل عمله، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

وأما الإيمان بالبعث هو التصديق الجازم الحتمي بانتهاء الحياة الدنيا بكاملها، والإحياء بعد الموت والخروج من القبور وقيام الناس لرب العالمين ، صغيرهم وكبيرهم بعد النفخة الثانية للحساب.

قال البيهقي– رحمه الله – : " والإيمان بالبعث هو أن يؤمن بأن الله يعيد الرفات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرق منها في البحار، وبطون السباع وغيرها حتى تصير بهيئتها الأولى، ثم يجمعها حية، فيقوم الناس كلهم بأمر الله تعالى أحياء، صغيرهم وكبيرهم حتى السقط التي قد تم خلقه، ونفخ فيه الروح، فأما الذي لم يتم خلقه أو لم ينفخ فيه الروح أصلاً فهو وسائر الأموات بمنزلة واحده ".[1]

وسُمي البعث بهذا الاسم؛ لأن فيه إحياء للموتى وإخراجهم من قبورهم.

والبعث ضربان: إلهي وبشري – والذي يهمنا في هذا الموضوع هو البعث الإلهي – فالبعث الإلهي ضربان:

أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس، وذلك يختص به الباري تعالى ولم يقدر عليه أحد.

والثاني: إحياء الموتى وقد خَص بذلك بعض أوليائه كعيسى عليه السلام وأمثاله، ومنه قوله تعالى ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الروم: 56]، يعني يوم الحشر، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾ [الكهف: 12]، وذلك إثارة بلا توجيه إلى مكان".[2]

---

(1) البيهقي، شعب الإيمان (ج410/1).

(2) الأصفهاني، غريب ألفاظ القرآن (ج132/1)

الخلاصة

أنه بالمقارنة بين المعنى الشرعي لكلمة البعث والمعنى اللغوي لها، نجد ترابطاً واضحاً بينهما، وذلك أن من معاني البعث في اللغة الإثارة وكذلك الإرسال، وهذا ما جاء في كلمة البعث مراداً بها معناها الشرعي الذي هو إرسال الحياة إلى الأموات وإثارتها من جديد لتتهيأ لما يراد منها من الانطلاقة إلى الموقف للحساب، وبذلك يتضح أن هناك علاقة قوية بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للبعث.

الأدلة على وجوب البعث:-

أولا: من القرآن

ولقد دلت سورة الرعد على إثبات البعث والجزاء يوم القيامة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: 2].

هنا يخبر الله تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه، أنه بإذنه وأمره رفع السموات بغير أعمدة ورفعها عن الأرض مسافة لا يدرك مداها، وتسخير الشمس والقمر لمصالح الإنسان والحيوان(1)، بحيث جعل ذلك دليل واضح وبين على قدرته على البعث وإحياء الإنسان بعد أن يبلى ويهلك فقال ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: 2].

قال ابن كثير- رحمه الله- في بيان معناها : " أي يوضح الآيات والدلالات على أنه لا إله هو، وأنه يعيد الخلق إذا شاء كما بدأه " (2) " ولعلكم عند مشاهدة هذه الآيات توقنون بذلك لا تشكون فيه ولا تمترون في صدقه " (3) " فتسدلون بها عليه ووحدته وقدرته وحكمته وتتيقنوا أن من قدر على خلق السموات والعرش وتسخير الشمس والقمر مع عظمها وتدبير الأمور كلها كان على خلق الإنسان مع مهانته وعلى إعادته وجزائه أقدر ". (4)

---

(1) تم توضيح هذه الآية بشكل مفصل فى الفصل الأول عند الحديث عن دلائل توحيد الربوبية فى سورة الرعد صفحة 48.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج657/2).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج88/3).

(4) البروسوي، روح البيان (ج355/4)، وانظر: الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج17/11).

" وهكذا عرفنا أن الله عز وجلّ جعل تدبيره وتفصيل آياته علامتين تدلان على الرجوع إليه، فمن لم يرَ في كمال تدبيره في خلقه، وفى كمال تفصيله في آياته، ما يدل على الرجوع إليه، فإنه لم يعرف حكمة التدبير والتفصيل، وهكذا عرفنا أن التدبير والتفصيل علامتان على اليوم الآخر، فلم يكن التدبير عبثاً، ولم يكن التفصيل عبثاً، بل من أجلّ أن تعرف أيها الإنسان أنك راجع إليه فمحاسب ". [1]

قال الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى – في تفسيره وقوله " يدبر الأمر يفصل الآيات " هذا جمع بين الخلق والأمر أي قد استوى الله العظيم على كرسي الملك، يدبر الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواماً ويضع أخرين ، ويُعلي ويذل، ويخفض ويرفع، ويقبل العثرات... " لعلكم " أي بسبب ما أخرج لكم من الآيات الأفقية، والآيات القرآنية " بلقاء ربكم توقنون " فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصاً في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور.
وأيضاً فقد علم أن الله تعالى، حكيم لا يخلق الخلق سُدى ولا يتركهم عبثاً، فكما أنه أرسل رسله وأنزل كتبه لأمر العباد ونهيهم، فلا بد أن ينقلهم إلى دار يحل فيها جزاؤه، فيجازي المحسن بأحسن الجزاء، ويجازي المسيئين بإساءتهم ". [2]

وأيضا قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج: 5].

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيرها : " هنا ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد، بما يشاهد من بدئه للخلق، فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ أي في شك من المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة، فإنا خلقناكم من تراب أي

(1) حوى، الأساس فى التفسير (ج2725/5).
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص367).

أصل برئه لكم من تراب، وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام... " [1] " ليزول عنكم الريب ويرتفع الشك وتدحض الشُّبهة الباطلة...". [2]

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – في شرحه لهذه الآية " يقول سبحانه: إن كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون، ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت، والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع، فإعادتكم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون احدي النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها ". [3]

وهكذا يتضح أن القادر على خلق الإنسان في مراحل متعددة حتى يستوي ويصبح شاباً أو شيخاً هرماً، قادر على أن يبعثه في مرحلة لاحقه كما كان في الدنيا بجسده وروحه وذلك يوم القيامة.

وقوله تعالى ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن: 7].

يقرر تعالى مخبراً عن المشركين والكفار والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون فرد عليهم " قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ" أي لتخرجن من قبوركم ثم تنبئون وتخبرن بجميع أعمالكم، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها " وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ " أي بعثكم ومجازاتكم. [4]

قال الشوكاني – رحمه الله – " والبعث والجزاء على الله يسير، إذ الإعادة أيسر من الابتداء ". [5]

فالشاهد في هذه الآية أن الله تعالى أمر نبيه أن يُقسم على وقوع البعث والجزاء، وأنه كائن لا محاله، ومعلوم أنه ولو لم يقسم صلى الله عليه وسلم على وقوع البعث لتلقى المؤمنون خبره بالتصديق التام.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/395).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج3/515).

(3) ابن القيم، اعلام الموقعين (ج1/109).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/488).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج5/282).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج: 7]، قال ابن كثير " أي يعيدهم بعدما صاروا في قبورهم رمماً، ويوجدهم بعد العدم ". [1]

وقال في النشور ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: 9]، قال الإمام الشوكاني " أي كذلك يحيي الله العباد بعد موتهم كما أحيا الأرض بعد موتها، والنشور البعث، من نشر الإنسان نشوراً ". [2]

قال ابن القيم – رحمه الله – " إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات، وإخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور، ودل بالنظير على نظيره ". [3]

ثانياً: من السنة النبوية

قوله – صلى الله عليه وسلم – " ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجَبُ الذَّنَب [4]، ومنه يُركب الخلق يوم القيامة ". [5]

وهذا الحديث فيه إشارة إلى أن أجزاء الإنسان لا تَفنى، وإنما تتفرق في الأرض، ويبقى منه جزء لا يفنى وهو عجب الذنب، فمنه خلق الإنسان ومنه يعيده مرة أخرى يوم القيامة عندما يشاء الله جلّ وعلا.

وما رواه البخاري – رحمه الله – بسنده من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال " كان النبي صلى الله عليه وسلم – بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإيمان ؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث... ". [6]

الشاهد في هذا الحديث أنه لأهمية معتقد الإيمان بالبعث والجزاء في حياة الناس، أنه جعله من أركان الإيمان، وقرين الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، فلا يكون حساب ولا جزاء ولا حشر ولا نشر إلا بعد البعث.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/398).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج4/391).

(3) ابن القيم، أعلام الموقعين (ج1/112).

(4) العَجَب هو العظم الذي أسفل الصلب عند العجز، وهو العسيب من الدواب. انظر: ابن الأثير، النهاية فى غريب الحديث (ج3/403).

(5) [البخاري، صحيح البخاري، (4/1881، ح 4651)].

(6) [البخاري، صحيح البخاري، (1/27، ح 50)].

ثالثاً: من العقل

وأما الأدلة العقلية على البعث فتتمثل في الأقيسة العقلية، وقد أشار القرآن الكريم إليها في كثير من الآيات كقياس الإعادة على البدء كقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الروم: 27]، وقوله ﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: 29]، ففي هذه الآيات قياس الإعادة على ما هو أبلغ منها، فإن إمكان خلق الأعظم، والقدرة عليه دالان على حصول ذلك فيما هو دونه، فإن القادر على إيجاد الخلق من العدم قادر على إعادتهم ؛ لأن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من الفعل. (1)

قال الشنقيطي – رحمه الله – " ولأجل قوة دلالة هذا البرهان المذكور على البعث بين جل وعلا من البعث فهو ناس لإيجاد الأول على الحقيقة كقوله ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥ﴾ [يس: 78]

إذ لو تذكر الإيجاد الأول على الحقيقة لما أمكنه إنكار الإيجاد الثاني ". (2)

فهذه الآيات وغيرها توضح أن إعادة خلق الإنسان مثل بداية خلقه، وخلق الإنسان في المرة الأولى بكامل أعضائه، وهكذا ستكون إعادة خلقه حينما يأذن الله تعالى في بعث الناس من قبورهم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وإن من أدلِّ الدلائل على البعث أمر معروف لكل أحد يجده في نفسه كل يوم، فهو يعلم أنه يموت ويبعث وهو في هذه الحياة الدنيا، ذلك أنه يموت حين ينام، فلا أكل ولا شرب ولا كلام ولا فكر ولا تدبير، فإذا ما أفاق من نومه عادت إليه الحياة من جديد، ولهذا كان يقول – صلى الله عليه وسلم – حينما يستيقظ من نومه " الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ".(3)

وهذه الحالة التي يمر بها الشخص تُشبه تماماً البعث الأكبر، ولا ينكر هذا إلا فاسد العقل، وكان عبد المطلب يقول " إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك ؟ ففكر

---

(1) الشنقيطي، أضواء البيان للشنقيطي (ج265/4).

(2) الشنقيطي، أضواء البيان (ج265/4).

(3) [البخاري، صحيح البخاري، (2330/5، ح 5965)]، و[مسلم، صحيح مسلم، (2083/4، ح 2711)].

وقال: والله إن وراء هذه الدار داراً يجزي فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء بإساءته".[1]

قال الراغب– رحمه الله – : " لم ينكر المعاد والنشأة الآخرة إلا جماعة من الطبيعيين، أهملوا أفكارهم وجهلوا أقدارهم، وشغلهم عن التفكير في مبدئهم ومنشئهم شغفهم بما زُين لهم من حب الشهوات المذكورة في قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [آل عمرآن: 14]، فلو لم يكن للإنسان عاقبة ينتهي إليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوءة نصباً وهماً وحزناً، ولا يكون بعدها حال مغبوطة، لكان البهائم أحسن حالاً من الإنسان". [2]

وخلاصة القول أن ما قرره الشوكاني من وجوب الإيمان بالبعث والنشور موافق لابن كثير ولمذهب أهل السنة والجماعة قاطبةً، وهو الذي تدل عليه الأدلة النقلية والعقلية، بأوجه متعددة، وطرق متنوعة، توجب القطع به والإيمان بحصوله ووقوعه.

المطلب الثاني: الحساب

لقد حظيَ ذكر الحساب بنصوص كثيرة في كتاب الله -عز وجل - وفى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه جميع أهل الإسلام، إذ هو من المسائل الأخروية المعلومة من الدين بالضرورة.

وقد أكثر الله من ذكره في القرآن الكريم، في مواضع كثيرة، بعبارات متنوعة، ودلالات مختلفة مصوراً هول ذلك، أو مخبراً عنه ومبشراً به، كل ذلك لزيادة العناية وللفت أنظار الناس إليه ليكونوا على بيِّنة من أمرهم فيستعدوا له بالعمل الصالح إذ أنه من أهم الأمور التي تحدث في يوم القيامة، بل هو المراد ببعث الناس، وقيامهم من قبورهم وفى الموقف، وبه يتميز الناس فيسعد من يسعد، ويشقى من يشقى، حينما يفصل الله بين خلقه.

---

(1) الشهرستاني، الملل والنحل (ج84/3).

(2) الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (ج114/1)

أ. الحساب لغة:

الحساب مصدر حاسب وحسب الشيء يحسبه بالضم إذا عدة سماعاً، وهو معنى قول من قال: الحساب لغد العد. (1)

و جاءت في كتب اللغة عدة إطلاقات للفظة الحساب، قال الأزهري – رحمه الله – :" وإنما سمي الحساب في المعاملات حساباً ؛ لأنه يعلم به ما فيه زيادة على المقدار ولا نقصان.

وقال الليث "والحساب والحسابة عدك الشيء، تقول حسبت الشيء أحسب حساباً وحسابه وحسبته.

ويأتي الحساب بمعنى الكثرة، قال أبو عبيد عن أبي يزيد– رحمه الله –: أحسب الرجل أي أعطيته ما يرضي، وقال غيره معناه أعطيته حتى قال: حسبي، قال الله عز وجل ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: 36]، أي كثير ". (2)

قال الشوكاني – رحمه الله – " الحساب ما له كمية بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص ". (3)

وقد ورد في القرآن الكريم كذلك إطلاق لفظة الحساب مراداً بها الجزاء، كما قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[المؤمنون: 117]، قال ابن كثير " يقول تعالى متوعداً من أشرك به غيره وعبد معه سواه، ومخبراً أن من أشرك بالله بدون دليل ولا برهان " أي الله يحاسبه على ذلك ". (4)

وقوله: ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: 25–26]، ومعناها " أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ". (5)

قال الشوكاني – رحمه الله – " يعني جزاؤهم بعد رجوعهم إلى الله بالبعث ". (6)

---

(1) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج171/2).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة (ج192/4–193).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج253/3).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج502/5).

(5) المرجع السابق (ج389/8).

(6) الشوكاني، فتح القدير (ج524/5).

ويطلق أيضاً على محاسبة النفس، قال تعالى: ﴿ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ [الإسراء: 14]، أي كفى بك لنفسك محاسباً، قال ابن كثير – رحمه الله – في بيانها " قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك ". [1]

ويطلق على التوسعة في الرزق كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة: 212]، أي بغير تقتير وتضييق، قال الشوكاني – رحمه الله – " من غير أن يحاسبه على ما أعطاه أو عطاءه سبحانه لا نهاية له ". [2]

ب. الحساب شرعا:

هو توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر وتعريفهم على أعمالهم، خيراً كانت أو شراً، تفصيلاً لا بالوزن، إلا من أُستثني منهم. [3]

ويراد بالحساب أيضاً أن يوقف الحق تبارك وتعالى عباده بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر، واستقامة وانحراف، وطاعة وعصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كانوا طالحين. [4]

يتبين مما سبق أن هناك ترابط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لمعنى الحساب، بحيث جاء في معناه اللغوي أنه بمعنى العد والاحصاء، أما شرعاً فهو التوقيف والجزاء والتعريف بالأعمال، فبمقدار ما عمل الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وعد له أو عليه يكون الحساب والجزاء في الأخرة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

الأدلة على وجوب الحساب:

أولا: من القرآن

لقد دلت سورة الرعد على إثبات الحساب والجزاء يوم القيامة في عدد من الآيات منها:

قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ [الرعد: 18].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج25/5).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج42/4).

(3) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج171/2-172).

(4) انظر: الأشقر، اليوم الأخر (193).

قال ابن كثير – رحمه الله – :" يخبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء فقال " لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ" أي أطاعوا الله ورسوله، وانقادوا لأوامره وصدقوا أخباره الماضية والآتية أن لهم الحسنى وهو الجزاء الحسن...

وقوله " وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ" أي لم يطيعوا الله لو أن لهم ما في الأرض جميعاً في الدار الأخرة، لو أمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهباً ومثله معه لافتدوا به، ولكن لا يقبل منهم ؛ لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً.

" أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ" أي في الأخرة، ويناقشون على النقير والقطمير، والجليل والحقير، ومن نوقش الحساب عذب " [1] " لأن كفرهم أحبط أعمالهم... وقيل هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء ". [2]

وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: 21].

فهنا قد أخبرنا جلّ وعلا في هذه الآية عن بعض صفات المؤمنين، من صلة الأرحام والإحسان إليهم، ويخشون ربهم فيما يأتون ويذرون من الأعمال، ويراقبون الله في السر والعلن، وأيضاً من صفاتهم أنهم يخافون سوء الحساب في الدار الآخرة. لذلك أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم. [3]

قال الشوكاني– رحمه الله – : " وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ" وهو الاستقصاء فيه والمناقشة للعبد، فمن نوقش الحساب عذب، ومن حق هذه الخيفة أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا " [4]

وقوله تعالى ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾ [الرعد:40]

قال ابن كثير– رحمه الله – : " يقول تعالى لرسوله " وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ" يا محمد بعض الذي نعد أعداءك من الخزي والنكال في الدنيا " أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ" أي قبل ذلك، " فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ " أي حسابهم وجزائهم ". [5]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج670/2).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج104/3).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج671/2).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج109/3).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج685/2).

" وهذا تسلية من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم، وإخبار له أنه قد فعل ما أمره الله به وليس عليه غيره، وأنه من لم يجب دعوته ويصدق نبوته فالله سبحانه محاسبة على ما اجترم واجترأ عليه ذلك ". (1)

ثانيا: من السنة

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من نُوقش الحساب عُذب، فقلت أليس يقول الله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الإنشقاق: 7–9]، فقال " إنما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ". (2)

قال ابن كثير في بيان هذا الحديث " يعني أنه تعالى إذا ناقش في حسابه عبيده عذبهم، وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو، ويغفر، ويستر في الدنيا والآخرة ". (3)

وعن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي " يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه ". (4)

فالشَّاهد في هذه الأحاديث أنه في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر، ويكون الجزاء والحساب حسب ما عملته في هذه الدنيا، ومن نُوقش الحساب فقد هلك، كما قال تعالى ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 13–14].

ثالثا: من العقل

بين سبحانه وتعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: 28]، أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها الفاجر.

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج124/3).

(2) [البخاري، صحيح البخاري، (111/8، ح 6536)].

(3) ابن كثير، النهاية فى الفتن والملاحم (ج43/2).

(4) [مسلم، صحيح مسلم، (1994/4، ح 2577)].

وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وحساب وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بد في حكمة الحكيم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا وهذا.

وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة، ليثاب بذلك المؤمن المطيع ويعاقب فيها الظالم الكافر الطاغي الفاجر، ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة، قال تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: 29] [1]

الخلاصة:

ومن هنا يتبين أن موقف الشوكاني موافق لابن كثير في إثبات الحساب والجزاء يوم القيامة، وأن كل انسان سيحاسب حسب ما قدم في دنياه، وأن هذه الدار ليست هي النهاية، بل هناك دار أخرى يحاسب بها الناس، فيُثاب الطائع ويُعاقب العاصي وهذا من حكمة الله وعدله.

كيفية الحساب:

المحاسبون يوم القيامة صنفان:

1- المؤمنون وسوف يحاسبون حساباً يسيراً، وهو العرض كما جاء في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ [الإنشقاق: 7-9].

2- الكفار وهؤلاء يكون حسابهم عسير، ويسألون عن كل كبيرة وصغيرة ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الإنشقاق: 10-12].

اذن يتبين مما سبق أن الناس متفاوتون في الحساب ، وأن الحساب تارة يكون يسيراً على أهل الإيمان والطاعات، وتارة يكون عسيراً على أهل الكفر والمعاصي.

كما وقد صور القرآن حال السعداء من المؤمنين، وحال الأشقياء من الكافرين تصويراً بليغاً، موضحاً ما أعده من الجزاء والثواب لعباده المؤمنين في الجنة، اللهم اجعلنا من أهلها، وما أعده من العذاب والعقاب للكافرين في النار، والعياذ بالله منها، موضحاً في قوله تعالى كما يلي:

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج62/7).

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة: 19-24].

يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه " هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ " أي خذوا اقرؤوا كتابيه ؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة ؛ لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات.

" إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ " أي كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محاله.

" فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ" أي مرضية، " فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ " أي رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها.

" قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ " أي قريبة، يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره.

" كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ " أي يقال لهم ذلك، تفضلاً عليهم، وامتناناً وإنعاماً وإحساناً. [1]

مقابل ذلك ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾ [الحاقة: 19-32].

وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول حُزناً وكرباً لما رأي فيه من سيئاته: يا ليتني لم أوتَ كتابيه أي لم أُعطَ كتابيه، ولم أدرِ ما حسابيه أي لم أدرِ أي شيء حسابي ؛ لأن كله عليه، يا ليتها كانت القاضية أي ليت الموتة التي مُتها كانت القاضية ولم أُحي بعدها، ومعنى القاضية: القاطعة للحياة، والمعنى: أنه تمني دوام الموت وعدم البعث لما شاهد من سوء عمله وما يصير إليه من العذاب.

ما أغنى عني ماليه أي لم يدفع عني من عذاب الله شيئاً، هلكَ عني سلطانيه أي هلكت حجتي وضلت عني، حينئذ يقول الله عز وجل: خذوه فغلوه أي اجمعوا يده إلى عنقه بالأغلال، ثم الجحيم صلوه أي ادخلوه الجحيم، والمعنى: لا تصلوه إلا الجحيم، وهي النار العظيمة، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه أي فاجعلوه فيها. [2]

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/213-215).

(2) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج5/338-340).

قال ابن كثير – رحمه الله – " فالخلق قيام لرب العالمين، بين يديه، والعرق غمر أكثرهم، وبلغ منهم كل مبلغ، والناس فيه بحسب الأعمال خاضعين، صامتين، لا يتكلم أحد إلا بإذنه تعالى، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، والأنبياء حول أممهم، وكتاب الأعمال قد اشتمل على أعمال الأولين والأخرين، موضوع، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ذلك ما كانت تعمل الخلائق، وتكتبه عليهم الحفظة في قديم الدهر وحديثه، قال الله تعالى ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: 13]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: 13]. [1]

(1) ابن كثير، الفتن والملاحم (ج44/2).

المبحث الثاني

انكار الكفار للبعث والحساب والرد عليهم

المطلب الأول: إنكار الكفار للبعث والحساب

بالرغم من الدلائل الكثيرة التي تدل على البعث والجزاء والحساب يوم القيامة، إلا أن المشركين لا يريدون أن يسمعوا القول الحق، فكبر عليهم الإيمان بأن وراء هذه الحياة حياة أخرى هي أعلى منها وأفضل لمن أطاع الله واتقاه، وأنكد لمن عصى وكذب وكفر.

ولقد دلت السورة الكريمة على إنكار الكفار للبعث والحساب والمعاد في الآخرة كما جاء في قوله تعالى ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد: 5].

فبعد أن أخبر سبحانه وتعالى عن قدرته وقوته من خلق السموات بدون أعمدة، وتسخير الشمس والقمر لمصالح الإنسان والحيوان، وبسط الأرض وجعلها ممتدة طولاً وعرضاً وثبتها بالجبال الراسيات، وجعل فيها من كل زوجين صنفين إثنين، فإنهم ومع ذلك قد أنكروا البعث والحساب والحياة الثانية مع وضوح الأدلة وقوة الحجج في إثبات ذلك.

قال ابن كثير – رحمه الله – " يقول تعالى لرسوله محمد وإن تعجب من تكذيب هؤلاء المشركين بالمعاد، مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلائله في خلقه على أن القادر على ما يشاء، ومع ما يعترفون به من أنه ابتدأ خلق الأشياء فكونها بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أن سيعده العالم خلقاً جديداً، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به، فالعجب من قولهم " أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد "، وقد علم كل عالم وعاقل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وأن من بدأ الخلق فالإعادة عليه أسهل كما قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: 33]. [1]

قال الشوكاني – رحمه الله – في فتح القدير " والله تعالى لا يجوز عليه التعجب ؛ لأنه تغير النفس بشيء تخفى أسبابه وإنما ذكر ذلك ليعجب منه رسوله وأتباعه. قال الزجاج: أي هذا

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج659/2).

موضوع عجب أيضاً أنهم أنكروا البعث، وقد بيَّن لهم من خلق السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة " [1] " فإنهم من جهلهم قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق، فلما رأوا هذا ممتنعاً في قدرة المخلوق، ظنوا أنه ممتنع على قدرة الخالق، ونسوا أن الله خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئاً".[2]

يتبيَّن مما سبق أن الشوكاني موافق لابن كثير– رحمهما الله – في إثبات البعث يوم القيامة، وأن الله تعالى قادر على كل شيء وأن الذي يخلق الشيء أول مرة تكون إعادته أيسر وأسهل.

حقيقة البعث ومذاهب الناس فيه:

وحقيقة البعث هو إعادة خلق أجساد بني آدم بعد فنائها ورجوع الروح إليها كما كانت، فالبعث يكون للأرواح والأجساد معاً، وهذا هو الاعتقاد الصحيح الذي هو مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة قاطبة. فقد سئل شيخ الإسلام – رحمه الله –: هل تبعث هذه الأجساد بعينها ؟ فأجاب بقوله " هذه الأجساد هي التي تبعث كما نطق به الكتاب والسنة ". [3]

وقال أبي العز الحنفي – رحمه الله – : " القول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجساد تنقلب من حال إلى حال فتستحيل تراباً، ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظاماً ولحماً ثم أنشأه خلقاً سوياً، كذلك الإعادة: يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب ". [4]

ويقول ابن كثير– رحمه الله – " وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا فضيل بن عبد الوهاب أخبرنا هاشم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بعظم، ففته، وقال يا محمد: يبعث الله هذا ؟ قال: نعم، يميتك الله ثم يحييك، ثم يدخلك النار، ونزلت ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 78–79]. [5]

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج92/3).
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص 368).
(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج316/4).
(4) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج404/1).
(5) ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم (ج350/1).

حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – موضحاً مذاهب الناس في البعث قائلاً " أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال:

أحدهما: وهو مذهب سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المشهورين وغيرهم من أهل السنة والحديث من الفقهاء والصوفية والنظار وهو إثبات معاد الأرواح والأبدان جميعاً، وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمه أو معذبة، ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى...

والقول الثاني: قول من يثبت معاد الأبدان فقط، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة، وبعض المصنفين يحكى هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين، أو جمهور المسلمين، وذلك غلط، فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا هو قول جمهور نظارهم، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة، الذين ذمهم السلف والأئمة.

والقول الثالث: المعاد النفس الناطقة بالموت فقط، وأن الأبدان لا يعاد، وهذا لم يقله أحد من أهل الملل، لا المسلمين، ولا اليهود، ولا النصارى، بل هؤلاء كلهم متفقون على إعادة الأبدان، وعلى القيامة الكبرى. ولكن من تفلسف من هؤلاء فوافق سلف من الصابئة والفلاسفة المشركين على أن المعاد للروح وحده، فإنه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان، وإن لم يكن له حقيقة... وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة، وهؤلاء ملاحدة كفار عند المتبعين للأنبياء من المسلمين واليهود والنصارى...

والقول الرابع: إنكار المعادين جميعاً ، كما هو قول أهل الكفر من العرب، واليونان، والهند، والترك وغيرهم ". [1]

وخلاصة هذا القول أن البعث والنشور لا يتحقق إلا بقيام الموتى من قبورهم بأجسادهم التي أطاعوا بها أو عصوا بها في الدنيا حتى يتحقق العدل الإلهي بإثابة المطيعين وتعذيب العاصين.

وقد بينت ذلك نصوص القرآن الكريم المتعلقة بالعذاب والنعيم يوم القيامة كقوله جلّ وعلا ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الإسراء: 97].

وقوله ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: 56].

(1) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (ج11/6).

وقوله أيضا ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: 20]، فهذه النصوص وغيرها لا يصح معناها ما لم يكن البعث بالروح والجسد معاً، كما أن ظاهر آيات القرآن الكريم قاطع بكون البعث بالروح والجسد معاً.

المطلب الثاني: الرد على منكري البعث والحساب

لقد ورد في سورة الرعد ما يدل على العذاب الشديد والأليم لمنكري البعث والحساب والجزاء يوم القيامة ، كما ورد في قول الله جلّ وعلا: ﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد: 5].

حيث نعت الله جلّ جلاله منكرين البعث والجزاء في الأخرة ووصفهم بالكفر، وتوعدهم بالعذاب الشديد، وأنهم سيسحبون بالسلاسل والأغلال في النار وأنهم خالدون وماكثون فيها أبداً، لا يحولون عنها ولا يزولون، لمبالغتهم في إنكار البعث واليوم الآخر بدون حجة ولا برهان. (1)

قال الشوكاني – رحمه الله – " ثم لما حكى الله سبحانه ذلك عنهم حكم عليهم بأمور ثلاثة:

الأول " أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ" أي أولئك المنكرون لقدرته سبحانه على البعث، هم المتمادون في الكفر الكاملون فيه.

الثاني: " وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ " الأغلال: جمع غل، وهو طوق تشد به اليد إلى العنق، أي يغلون بها يوم القيامة، وقيل: الأغلال أعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم لزوم الأطواق للأعناق.

والثالث: " وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ " لا ينفكون عنها بحال من الأحوال، وفي توسيط ضمير الفصل دلالة على تخصيص الخلود بمنكري البعث ". (2)

فتخصيص الحكم بمنكري البعث في الخلود للدلالة على خطر وعظم هذا الانكار.

هذا وقد جاء الرد على منكرين البعث يوم القيامة في مواضع كثيرة، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ٣٤ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ٣٥ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ

(1) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج659/2).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج93/3).

صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [الدخان: 34-37].

قال ابن كثير – رحمه الله – : " يقول تعالى منكراً على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما ثم (هناك) إلا هذه الحياة الدنيا، ولا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور، ويحتجون بأبآئهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، فإن كان البعث حقاً " فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ" وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في هذه الدار، بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقاً جديداً، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً...

ثم قال متهدداً لهم، ومتوعداً ومنذراً لهم بأسه الذي لا يرد، كما حل بأشباههم ونظائرهم من المشركين والمنكرين للبعث، وكقوم سبأ حيث أهلكهم الله وخرب بلادهم، وشردهم في البلاد ". [1]

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [النمل: 69]. أي بالمكذبين بالرسل وما جاءوا به من أمر المعاد وغيره، كيف حلت بهم نقم الله وعذابه ونكاله، ونجى الله من بينهم رسله الكرام، ومن اتبعهم من المؤمنين، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته ". [2]

و قال جلّ وعلا في موضع أخر ذاماً فيه من أنكر البعث والنشور من بني آدم :﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس: 17]. أي لعن الإنسان، وهذا لجنس الإنسان المكذب؛ لكثرة تكذيبه بلا مستند، بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم.

" مَآ أَكۡفَرَهُۥ " أي ما أشد كفره، وما حمله على التكذيب بالمعاد. [3]

فمن المشكلات الكبرى عند الماديين والملحدين والمشركين إنكار وجود عالم آخر بعد عالم الدنيا، لظنهم أن الإنسان مخلوق مادي بالطبيعة، وينتهي وجوده من العالم بالموت، والموت فناء لا رجعة بعده في زعمهم، قائلين كما حكى القرآن عنهم ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [الأنعام: 29].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج256/7).

(2) المرجع السابق (ج208/6).

(3) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج322/8).

ونسوا أن الله الذي خلقهم أول مرة قادر على إعادة خلقهم وإحيائهم مرة أخرى ، كما جاء في قوله سبحانه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: 33].

فالمؤمن في هذا العالم مطمئن مستقر مرتاح، والكافر قلق متردد يحس بالضيق ويشعر بالمرارة والتأنيب الداخلي، فلا عجب أن يصدر من الكفار حماقات ومكابرات وألوان من العناد، وإنكارهم للبعث والحساب والقيامة والجزاء. (1)

وقد سلك القرآن الكريم في إثبات البعث والمعاد والحياة الثانية مسالك عقلية واضحة وبينة على كل مفتري مكذب منكر للبعث بعد الموت منها

قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[العنكبوت: 19].

ومعنى هذه الآية كما قال ابن كثير رحمه الله " يقول تعالى مخبراً عن الخليل – عليه السلام – أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم، بعد أن لم يكونوا شيئا مذكوراً، ثم وجدوا وصاروا أناساً سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته، فإنه سهل عليه يسير إليه ". (2)

وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله – في بيان معناها " ألم يروا كيف يخلقهم الله ابتداء نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم ينفخ فيه الروح، ثم يخرج إلى الدنيا، ثم يتوفاه بعد ذلك، وكذلك سائر الحيوانات وسائر النبات، فإذا رأيتم قدرة الله سبحانه على الابتداء والإيجاد فهو القادر على الإعادة ". (3)

وقوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [الإسراء: 99].

قال ابن كثير– رحمه الله – : " أي يوم القيامة يعيد أبدانهم، وينشئهم نشأة أخرى ، ويعيدهم كما بدأهم " (4) ، " وقد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السموات والأرض

(1) انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1147/2).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج270/6).
(3) الشوكاني، فتح القدير (ج228/4).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج123/5).

فهو قادر على خلق أمثالهم ؛ لأنهم ليسوا بأشد خلقاً منهم كما قال تعالى ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾[النازعات: 27]. [1]

وتنوعت الآيات القرآنية في الرد على هؤلاء المنكرين في الكثير من المواضع

وأمثال تلك الآيات القرآنية قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 57].

قال ابن كثير – رحمه الله – في بيانها " أي كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها، كذلك يحيي الأجساد بعد صيرورتها رميماً يوم القيامة، ينزل الله – سبحانه وتعالى – ماء من السماء فتمطر الأرض أربعين يوماً، فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض، وهذا المعنى كثير في القرآن، يضرب الله مثلاً للقيامة بإحياء الأرض بعد موتها " [2] " لعلكم تذكرون " أي تتذكرون فتعلمون بعظيم قدرة الله وبديع صنعته، وإنه قادر على بعثكم كما قدر على إخراج الثمرات التي تشاهدونها ". [3]

وبهذا يتضح أنه سبحانه جعل في الآيتين إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات، وإخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور، وجعل ذلك أية ودليلاً على إثبات البعث، وعلى كمال قدرته سبحانه وتعالى على كل شيء، أما الذين ينكرون البعث لم يتذكروا ولم يستعملوا عقولهم في التفكر والتدبر في قدرة الله، وإلا لما يصدر منهم هذا الإنكار.

قرر الشوكاني – رحمه الله – مذهب السَّلف الصالح في إثبات الإيمان بالبعث والمعاد في الأخرة، فقد ذهب السلف أهل السنة إلى أن المعاد يكون بالروح والجسد معاً، لما دلت عليه النصوص المستفيضة الثابتة في القرآن والسنة، ومن هذه النصوص

قوله تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: 55].

قال ابن كثير– رحمه الله – " يخبر تعالى أنه يجعل الأرض داراً لبني آدم مدة الحياة الدنيا، فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم، ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والأخرين، ويجازي كلاً بعمله ". [4]

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج310/3).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج430/3).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج244/2).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج399/3).

وقال الشوكاني– رحمه الله – في تفسيرها " أي بالبعث والنشور وتأليف الأجسام ورد الأرواح إليها على ما كانت عليه قبل الموت ". [1]

وقوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا ﴾ [الكهف: 99]." أي أحضرنا الجميع للحساب كقوله ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [الواقعة: 55].". [2]

يقول الشوكاني– رحمه الله – في تفسيرها " وجمعنا الخلائق بعد تلاشي أبدانهم ومصيرها تراباً على أكمل صفة وأبدع هيئة وأعجب أسلوب ". [3]

وقوله تعالى ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: 3–4].

قال ابن كثير – رحمه الله – " أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ " أي يوم القيامة، أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها متفرقة " بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ " بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا ". [4]

وقال الشوكاني– رحمه الله – في فتح القدير " أي على أن نجمع بعضها إلى بعض، فنردها كما كانت مع لطافتها وصغرها، فكيف بكبار الأعضاء، فنبه سبحانه بالبنان، وهي الأصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظافر والعروق اللطاف والعظام الدقاق، فهذا وجه تخصيصها بالذكر". [5]

والشاهد من هذه الآيات الكريمة وغيرها أن فيها إثبات البعث، والحساب، والنشور يوم القيامة، وأن أعمال العباد سيحاسبون عليها إظهاراً لعدل الله تعالى.
إلى غير ذلك من الآيات المصرحة بأن البعث يكون بالروح والجسد معاً، ويؤيد هذا ما روي أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم "ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل الله

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج437/3).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج200/5).
(3) الشوكاني، فتح القدير (ج372/3).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج275/8).
(5) الشوكاني، فتح القدير (ج404/5).

من السماء، فينبتون كما ينبت البَقّل، وليس من الإنسان شيء إلا يَبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة ". [1]

وفيها رد على الكفار المنكرين الذين لا يملكون أي دليل على نفى البعث مجرد الاستبعاد لوقوعه، وإثبات القدرة الكاملة لله عز وجلّ في إحياء الأموات برد الحياة إليهم، فيخرجون من قبورهم سراعاً إلى نصب يوفضون.

وأن الناس لا يؤخرهم إلى البعث بعد موتهم إلا دعوة الله لهم، فإذا دعاهم استجابوا فوراً وخرجوا للقاء الله تعالى.

وقد أثبت الإمام الشوكاني– رحمه الله – البعث الجسماني معتمداً في هذا الإثبات على الأدلة من القرآن والسنة حيث قال " وهذا أمر اتفقت عليه الشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها، وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم ولم يخالف فيه أحد منهم، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك قط، ولكنه ظهر رجل من اليهود زنديق يقال له موسى بن ميمون اليهودي [2] الأندلسي، فوقع منه كلام في إنكار المعاد، واختلف كلامه في ذلك فتارة يثبته وتارة ينفيه، ثم هذا الزنديق لم ينكر مطلق المعاد إنما أنكر بعد تسليمه للمعاد أن يكون فيه لذات حسيه جسمانية، بل لذات عقلية روحانية.

ومما نقل عنه قوله "... وهذه اللذة ليست لذة طعام أو شراب... ولا يوجد مثل تمثل تلك اللذة، بل كما قال النبي داود متعجباً من عظمتها: ما أكثر وما أجزل خيرك الذي خبأته للصالحين الطائعين لأمرك، وهكذا قال العلماء: العالم المستقبل ليس فيه أكل، ولا شراب، ولا غسل، ولا دهن، ولا نكاح، بل الصالحون باقون فيه، ويستلذون من نور الله تعالى، يريدون بذلك أن تلك الأنفس تستلذ بما تعقل من البارئ بما تستلذ سائر طبقات الملائكة بما عقلوا من وجوده سبحانه، فالسعادة والغاية القصوى هي الوصول إلى هذا الملأ الأعلى ". [3]

وقد تعرض الشوكاني– رحمه الله – للرد على هذا الرجل اليهودي الزنديق، وعلى من قلده من أهل الاسلام، الذين ذهبوا إلى أن البعث يكون بالروح فقط دون الجسم.

---

(1) [البخاري، صحيح البخاري، (1881/4، ح 4651)]، و[مسلم، صحيح مسلم، (2270/4، ح 141)].

(2) موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق، أبوعمران القرطبي، طبيب فلسوف يهودي، ولد وتعلم فى قرطبة، وتنقل مع أبيه فى مدن الأندلس، وتظاهر بالإسلام، وقيل أكره عليه، فحفظ القرآن وتفقه بالمالكية. ودخل مصر، فعاد إلى يهوديته. انظر: الزركلي، الأعلام (ج329/7).

(3) الشوكاني، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (ج17/1).

قال الشوكاني – رحمه الله – :" إن حصر اللذات النفسانية التي ذكرها لا ينافي حصول اللذات الجسمانية التي وردت في كتب الله عز وجلّ، وقوله " وليست بلذة طعام أو شراب " هذا مسلم، فإن اللذات النفسانية ليست بلذة طعام ولا شراب، ولكن من أين يلزم أنه لا لذة طعام وشراب ونحوهما في تلك الدار الآخرة ؟

فإن كان بالشرع فكتب الله عز وجل جميعها ناطقة بخلاف ذلك...، وفى القرآن الكريم فما يكثر تعداده، ويطول إيراده، وهو لا يخفى مثله على أحد من المسلمين الذين يقرأون القرآن، لبلوغه في الكثرة إلى غاية يشترك في معرفتها المقصر والكامل، وإن كان بالعقل فليس في العقل ما يقتضي إثبات اللذة النفسانية، ونفى اللذة الجسمانية، بل لا مدخل للعقل ههنا، ولا يتعول عليه أصلاً.

وإن كان لا يعتبر عقل ولا شرع، بل لمجرد الزندقة والمروق من الأديان كلها والمخالفة لما ورد في كتب الله سبحانه فبطلان ذلك مستغنٍ عن البيان.

وأما قوله " كما قال النبي داود متعجباً في عظمتها: ما أكثر وما أجزل خيرك الذي خبأته للصالحين الطائعين لأمرك، فهذا عجب منه عليه السلام من كثرة خير الله سبحانه، وجزالة ما خبأه للصالحين من عباده الطائعين لأمره في الدار الأخرة، وهو دليل على الملعون لا له، فإن الخطاب في الدنيا لمجموع الشخص الذي هو الجسم والروح، وظاهره أنه يكون له هذا على الصفة التي خوطب وهو عليها، وأنه يحصل له ما يتلذذ به من اللذات الجسمانية والنفسانية، ومن ادعى التخصيص ببعض الشخص أو ببعض اللذات فهو يدعي خلاف الظاهر، ولكن المحرف المتزندق لا مقصد له إلا التلبيس على أهل الأديان.

فإن كلامه هذا هو كلام سائر أنبياء الله في استعظام ما أعده الله للصالحين من عباده، كما قال نبينا – صلى الله عليه وسلم – " في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر "[1]، ومثله في القرآن ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: 17].[2]

وهكذا ردَّ الشوكاني – رحمه الله تعالى – على المنكرين للبعث الجسماني، وأبطل حججهم التي يستدلون بها، وبين أن هذا القول مخالف لما جاءت به رسل الله ونطقت به كتبه، وأن صاحبه

---

(1) [البخاري، صحيح البخاري، (2723/6، ح 7059)]، و[مسلم، صحيح مسلم، (2174/4، ح 2824)].

(2) الشوكاني، إرشاد الثقات (ج 19/1).

مبتدع وزنديق، وكذلك من سلك مسلكه من فلاسفة المسلمين، كابن سينا [1]، وأصحاب رسائل إخوان الصفا [2] وغيرهم.

وقد أطال الشوكاني رحمه الله في الرد عليهم كما في كتاب إرشاد الثقات. [3]

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – " كل من سمع القرآن، والأحاديث المتواترة، وتفسير الصحابة والتابعين، لذلك علم بالاضطرار أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أخبر بمعاد الأبدان، وأن القدح في ذلك كالقدح في أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحج البيت العتيق ونحو ذلك ". [4]

وقال في موضع أخر " وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة، فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنة الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم: من كاتب، أو متطبب، أو متكلم، أو متصوف، كأصحاب " رسائل إخوان الصفا " وغيرهم، أو منافق، وهؤلاء كلهم كفار، يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان، فإن محمد – صلى الله عليه وسلم – قد بين ذلك بياناً شافياً قاطعاً للعذر، وتواتر ذلك عند أمته خاصها وعامها ". [5]

---

(1) هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو على، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف فى الطب والمنطق والطبيعيات والالهيات، قال ابن قيم الجوزية "كان ابن سينا كما أخبر عن نفسه هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين "، وقال ابن تيمية "تكلم ابن سينا فى أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلمها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم، فإنه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الّذي كان هو وأهل بيته معروفن عند المسلمين بالإلحاد ". انظر: الزركلي، الأعلام (ج242/2).

(2) عرفت جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء فى منتصف القرن الرابع الهجري ما بين 334هـ 373هـ تقريباً، وتعتبر وسائلهم مقدسة عند فرقة الإسماعيلية، بل تصل فى قدسيتها إلى مرتبة القرآن، ولهذا يعتبر البعض أن رسائل إخوان الصفاء إسماعيلية ؛ لأنها تعبر عن معتقدات الإسماعيلية، كما قيل أن أحد أئمة الإسماعيلية هو الذي أشرف على كتابة هذه الرسائل، وتعتبر هذه الفرقة باطنيه لقولهم بأن لكل ظاهر باطن. انظر:النشار، تاريخ الفكر الفلسفى (ج179/1).

(3) انظر: الشوكاني، إرشاد الثقات (ج18/1-24).

(4) ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية (ج213/1).

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج314/4).

وقال ابن القيم – رحمه الله – " فشهادة العقل بالجزاء كشهادته بالوحدانية، ولهذا كان الصحيح أن المعاد معلوم بالعقل، وإنما اهتدى إلى تفصيله بالوحي، ولهذا يجعل الله سبحانه إنكار المعاد كفراً به سبحانه ؛ لأنه إنكار لقدرته وألوهيته، وكلاهما مستلزم للكفرية ". (1)

الخلاصة:

وهكذا يتضح بعد بيان قولي ابن كثير والشوكاني في عقيدة البعث أنهم:

1- اعتمدوا على القرآن والسنة في إثباتهم لهذه العقيدة، ولا شك أن من ابتعد وأغفل القرآن والسنة في هذه العقيدة أو غيرها من العقائد فقد ضلَّ سواء السبيل، وقاد نفسه للخسران المبين.

2- أن الإمامين قد اتفقا على أن البعث يوم القيامة يكون للروح والجسد معاً، وهذا هو مذهب السَّلف أهل السنة والجماعة قاطبة، ومن خالف ذلك فقد كفر لدليل قوله ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ﴾ [الرعد: 5].

3- أن الإمامين ابن كثير والشوكاني يريان أن البعث لذات الجسد الذي كان في هذه الدنيا ؛ لأن الحساب والعذاب سيقع على الجسد الذي عصى في هذه الدنيا، وإلا سيعاقب من لم يذنب، وهذا لا يليق بعدل الله تعالى.

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج145/1).

المبحث الثالث

أهمية الإيمان بالبعث والحساب

للإيمان بالبعث والحساب والجزاء أهمية كبرى في حياة الإنسان المسلم ؛ لأنه أصل من أصول العقيدة الإسلامية، وأن مردوده يعود عليه في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنه يدفع إلى الإخلاص والجهاد في سبيل الله والإنفاق في وجوه الخير وتهذيب السلوك والخوف من الله وخشيته في السر والعلن.

وأما في الآخرة فهو الفوز برضى الله عز وجل ودخوله جنة عرضها السموات والأرض.

فالإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان بالله تعالى ؛ فإنه من عرف المعاد وآمن به لا بد أن يغير من طبيعة حياته، ونوعية حياته، وأسبقية أولوياته، فإن الإيمان بالبعث هو المصدر الثاني لمادة التقوى بعد الإيمان بالله تعالى، ففى المبدأ تتجلي آيات الله، وفى المعاد يتحقق اللقاء.

وتتضح أهمية الإيمان بالبعث والحساب في حياة المسلم بما جاء في الرعد

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد: 5].

فالعذاب الشديد الوارد في هذه الآية الكريمة جاء في حق المنكرين للبعث في الآخرة، ومقابل ذلك أن الإيمان بالبعث والمعاد يوم القيامة فيه النجاة من الأغلال والسلاسل التي يسحب بها المكذبين بقدرة الله تعالى على البعث. وفيه النجاة من العذاب الأليم الشديد من النار في الأخرة.

وأيضا أن ينجي من الكفر ؛ لأنه كما تقدم أن الإيمان بالبعث ركن من أركان العقيدة وعليه يترتب الحساب والجزاء، فمن أنكر البعث يكون قد أنكر ركن يجب الإيمان به، وبالتالى يكون كافراً بالله ؛ لأنه أنكر قدرة الله تعالى على البعث يوم القيامة، فإنه تعالى قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

ولأهمية البعث ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في كثير من آياته، حيث بلغ عدد الآيات التى تحدثت عنه حوالى ستمائة وست وسبعين آية من القرآن، كما جاء ذكر البعث والنشور في حوالى ألف وثلاثمائة وست وسبعين آية. [1]

---

(1) انظر: البليهي، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين (ج99/1).

كما أن الحديث المستفيض عن البعث، وهذا العدد من الآيات لم يكن كله بسبب إنكار المنكرين للبعث، ولا كان كله موجهاً إلى أولئك المنكرين إنما كان جزء منه على الأقل موجهاً للذين آمنوا بالله واليوم الأخر.

ثم هو دليل كذلك على أن الذين آمنوا ليسوا في غنى عن التذكير باليوم الآخر، إنما هم في حاجة دائمة إلى ذلك التذكير، والله هو العليم بخلقه، فلو علم سبحانه وتعالى أن مجرد حصول الإيمان باليوم الآخر يكفي لما عاد القرآن لتذكيرهم المرة بعد المرة، وإنما علم الله أن الإنسان ينسى فلا بد من التذكير له. (1)

فالإيمان بالبعث يجعل المسلم حريصاً على الإخلاص في كل أعماله ؛ لأنه يعلم أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، قال تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5]. فالذي يؤمن بالبعث ويعلم أنه سيلقى الله يقوم بعمله أحسن قيام، بل يعمل بكل طاقته ؛ لأن عنده الثقة الكاملة في الجزاء المنشود الذي ينتظره في الآخرة.

كما أن الإيمان بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال له دخل كبير في هدوء نفس المؤمن، واستقرار باله، واطمئنان قلبه ؛ لأنه يعلم أنه يعمل لغاية واضحة وهدف محدد، ويعلم مصيره، كما أنه الزاد الذي يجعل المؤمن يصبر على شدائد الدنيا ومصائبها، موقناً بأن الله سيعوضه يوم القيامة.

كما وأن الإيمان بعقيدة البعث يجعل المسلم مراقباً لله في أقواله وأفعاله وتفكيره ؛ لأنه يعلم أن الحاكم العادل تبارك وتعالى علام الغيوب يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض كما قال جلّ وعلا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: 5]، فهي سبب كبير في تقويم النفس وتهذيب السلوك، وتأمين الإنسان من ظلم أخيه الإنسان، بل على قدر إيمان المسلم بالبعث بعد الموت تكون استقامته وإحسانه في الدنيا.

فالذي لا يؤمن بيوم الحساب أو الذي يشك فيه أو الغافل عن يوم الحساب لن يسلم من شر نفسه، وذلك أنه يعيش بلا هدف ولا غاية يعمل لها، وهذا يجعله يائساً من المستقبل، يعلم أن مصيره إلى الفناء يموت وينتهي أمره، إضافة إلى أنه يحمل الإنسان على الكفر والمعاصي والظلم والعدوان والبغي والفساد قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

(1) انظر: قطب، دراسات قرآنية (ج1/64-65).

وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس:7–8]، ولهذا أمر الله تعالى باتقاء ذلك اليوم والاستعداد له بالأعمال الصالحة التي تنجي من أهواله كما قال تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة:281]..[1]

وأيضاً وجب التذكير بهذا اليوم العظيم حتى تسلم النفس من الشك والاضطراب، وتستريح من البلبلة والحيرة الفكرية والنفسية والقلق.

هذا وأن الإيمان بالبعث يدفع الإنسان إلى البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله في السراء والضراء ؛ لأن المؤمن يعلم بأن ما عند الله خير وأبقى، قال تعالى ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [النحل: 96]. وقوله صلى الله عليه وسلم " اتقوا النار ولو بشق تمره ". [2]

وقال تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

وأيضا إن الإيمان بالبعث والحساب يوم القيامة يجعل الإنسان مداوماً على إنجاز الفرائض والواجبات المطلوبة منه، ويكثر من أعمال الخير والبر والإحسان، ويسارع إلى التوبة والاستغفار كلما صدر منه ذنب أو معصية ، " فإن الإيمان بالبعث والجزاء أصل صلاح القلب، وأصل الرغبة في الخير والرهبة من الشر، اللذين هما أساس الخيرات ". [3]

كما أن الإيمان بالبعث والجزاء بعد الموت يضبط حرية الإنسان، ويقف حائلاً دون الوصول إلى غايته، وخاصة مع من يحب أن يعيش حراً يفعل ما يشاء ولا يقف أمامه أي شيء على الإطلاق.

فالتسوية بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي أمر يرفضه الشرع، بل إن هذا الظلم قد نزه الله تعالى نفسه عنه، قال تعالى ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: 28]، فبين سبحانه وتعالى أنه من عدله وحكمته أنه لا

---

(1) انظر: الأثري، تيسير الوصول إلى معرفة الثلاثة الأصول (ج178/1).

(2) [البخاري، صحيح البخاري، (514/2، ح 1351)].

(3) اللطيف، نواقض الإيمان القولية والعملية (ج220/1).

يساوي بين الفريقين ويكون المعنى " أي لا نفعل ذلك ولا يستوي عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها الفاجر " [(1)] فإن المؤمنين إذا شاهدوا قيام الساعة، ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد عملوا من كتب الله في الدنيا، رأوه حينئذ عين اليقين فيقولون أن الله قد صدق وعده. [(2)]

ومما يدل على أهمية الاعتقاد بالبعث أن الله تعالى نوع في أسماء اليوم الذي يبعث فيه الناس من قبورهم، فنجد أن من أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم، الساعة، الطَّامة، القَارعة، الصَّاخة، القِيامة، التلاقِ، والتناد، الحساب، النشور، والأزفة ، ودار القرار، ودار الخلود والحسرة، والتغابن إلى غير ذلك.

ولعل المقصود من هذا التعداد لمسمى واحد، هو أن ينتبه الناس لأمر البعث ويستيقظوا من مجيئه، بالرغم من أنه الآن من الغيب ؛ لأن الناس ربما شغلوا بالعاجلة المشاهدة من الآخرة الغائبة، فلا بد من التذكير لهم مرة تلو المرة.

فما حصل في زماننا من كثرة المظالم واعتداء الناس بعضهم على البعض، وأكل الأموال بدون وجه حق، ونيل الأعراض بالغيبة، والسخرية، والبهتان والحسد والكبر، كل هذا إنما حصل بسبب نسيان اليوم الأخر والحساب في الأخرة، ولا شك أن تذكر ذلك واستشعار الوقوف بين يدي الله تقويماً لذلك السلوك. [(3)]

كما أن الإيمان بالبعث في الآخرة يثبت القلوب أمام الفتن في الدنيا، وهذا له الأثر الأكبر في قوة النفس وراحتها وعدم استسلامها للقلق والحزن، قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: 156]، فإن أمثال هؤلاء من الناس قد هانت عليهم المصائب وصبروا ؛ لأنهم تذكروا أن هناك يوماً سيرجعون فيه إلى الله فيوفيهم أجورهم.

كما أن الإيمان بعقيدة البعث يوم القيامة لها أثر كبير في حياة المسلم بحيث تجعل من الأخرة همه وشغله الشاغل كما جاء في حديث أنس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – " من كانت الأخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (62/7).

(2) المرجع السابق (ج495/6).

(3) انظر: الرويشد، ماذا عن اليوم الأخر (ج7/1).

راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له ". [1]

فهناك فرق كبير وبون شاسع بين سلوك وحال من كانت الدنيا همه وشغله، وبين من كانت الأخرة همه وشغله وقد ملأ ذكراها قلبه.

فالإنسان الذي يجعل الأخرة همه، فهو ينظر دائماً بميزان الآخرة، الخير عنده خير الأخرة، والشر عنده شر الأخرة، فيكون له سلوك فريد يظهر في استقامته ونزاهته وأمانته وحسن خلقه، وعفوه وطهارة قلبه. فيكون جزاءه أن الله يهبه الحياة الطيبة المستقرة في الدنيا، ويصلح ذات بينه ويقوي روابط الأُلفة والود مع من حوله.

أما ذلك الإنسان الآخر إلى شغلته دنياه عن تذكر أخرته، فهو يقيس الأمور بميزان منفعته الخاصة العاجلة، ولا يهمه إلا نفسه، ولا يراعي حقوق غيره إلا في حدود ما يحقق النفع له، فهو مبعثر الهمة مشتت الأمر، قد ساءت علاقاته، وتبددت أواصر الأُلفة بينه وبين الناس، وإن بقي من علاقاته شيء فهي علاقات باهته جامدة. ومع كل ذلك الحرص والجمع فلا يزال يشعر أنه في نقص وحاجة. [2]

كما أن الإيمان بعقيدة البعث في الأخرة تحث الإنسان على الاستعداد له والمبادرة بالأعمال الصالحة، واتخاذ أسباب الأمن والنجاة فيه، قال تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: 9] وقوله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110]

" كما أن معرفة ذلك اليوم حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما، خرب كل الخراب، وإن عمر بهما، أوجب له الخوف والانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر، كأحوال القبر وشدته، وأحوال المواقف الهائلة، وصفات النار المفظعة، وبمعرفة

---

(1) [الترمذي، سنن الترمذي، (642/4، ح 2465)]، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(2) انظر: الرويشد، ماذا عن اليوم الأخر (ج7/1-11).

تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب، بكل ما يقدر عليه " [(1)].

وخلاصة القول في ذلك أن الإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان الإنسان ولا يقبل منه أي عمل بدون الاعتقاد به.

والإيمان بالبعث والحساب له أهمية كبرى في حياة الإنسان المسلم، وتكمن هذه الأهمية في أن الله ذكره في الكثير من آياته، وأنه نوع في أسماء هذا اليوم بحيث أنه لا تكاد تخلو صفحة من القرآن من الحديث عن اليوم الآخر بما فيه من البعث والنشور، والحساب والجزاء، والجنة والنار.

إضافة إلى ذلك أنه يجعل الإنسان مخلصاً لله تعالى في كل أعماله، ويدفعه إلى البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله، ومداوماً على إنجاز الفرائض والواجبات والإكثار من أعمال الخير، والمسارعة إلى التوبة والاستغفار كلما صدر منه ذنب أو معصية، كما أنه يقوي عقيدة الخوف والرجاء عند المسلم، فهو أصل صلاح القلوب والرغبة إلى فعل الخيرات.

---

(1) اللطيف، نواقض الإيمان (ج220/1).

الفصل الثالث

القدر ومراتبه بين تفسيرى

ابن كثير والشوكاني

الفصل الثالث

القدر ومراتبه بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول العقيدة التي لا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان به، ولقد وردت أدلة كثيرة في الكتاب والسنة تدل على القدر ومن هذه الأدلة في سورة الرعد قوله تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8] " أي بأجل، وحفظ أرزاق خلقه وآجالهم، وجعل لذلك أجلاً معلوماً " [1] " والمقدار: القدر الذي قدره الله ".[2]

وأيضاً قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49] قال ابن كثير – رحمه الله – في شرح هذه الآية " أي قدر قدراً، وهدى الخلائق إليه، ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها " [3] " فكل الأشياء عند الله سبحانه جارية على قدره الذي قد سبق وفرغ منه، لا يخرج عن ذلك شيء ". [4]

وقال الشوكاني– رحمه الله – في موضع أخر " إن كل شيء من الأشياء خلقه الله سبحانه متلبساً بقدرٍ قدره، وقضاءٍ قضاه، سبق في علمه، مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه ". [5]

" أي قدر كل شيء مما خلق بحكمة على ما أراد، وهيأه لما يصلح له ". [6]

وقال تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2] " أي كل شيء مما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره وتدبيره وتقديره"[7] " فبيَّن لكل شيء من خلقه صلاحه، وجعل ذلك بقدر معلوم ". [8]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج2/661).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج3/94).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج7/482).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج3/82).

(5) المرجع السابق (ج5/155).

(6) المرجع السابق (ج4/71).

(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/93).

(8) الشوكاني، فتح القدير (ج4/73).

وحديث عمر – رضي الله عنه – عندما سأل جبريل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الإيمان فقال " أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".[1]

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء ". [2]

القدر في اللغة: " هو عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور. وهو مصدر: قدر قدراً ". [3]

وعرفه ابن منظور– رحمه الله – بقوله هو " القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور. قال الله عز وجل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: 1]، أي الحكم ". [4]

وعرفه بعضهم " وهو بتحريك الدال وتسكين " مصدر " بفتح الدال – مخففة – إذا أحطت بمقداره، و" أل " فيه وفى " القضاء " عوض عن مضاف إليه أي: بتقدير الله تعالى لذلك ". [5]

وأما تعريف القدر اصطلاحا:

"هو تقدير الله تعالى الأشياء في القِدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها". [6]

وأيضاً " المراد به في لسان الشرع أن الله عز وجل علم مقادير الأشياء، وأزمانها أزلاً، ثم أوجدها بقدرته ومشيئته على وفق ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح قبل إحداثها ". [7]

والإيمان بالقدر أصل من أصول العقيدة الاسلامية، وركن من أركانها، وهذا الأصل داخل ضمن الإيمان بربوبية الله تعالى على خلقه، إذ أن من آمن بأن الله هو الخالق، والرازق،

---

(1) [مسلم، صحيح مسلم، (36/1، ح 8)]، وذكره ابن كثير فى شعب الإيمان (ج27/1).

(2) [مسلم، صحيح مسلم، (2044/4، ح 2653)].

(3) ابن الأثير، النهاية (ج41/4).

(4) ابن منظور، لسان العرب (ج3545/5).

(5) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج345/1).

(6) المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (ج1310/3).

(7) الهراس، شرح العقيدة الواسطية (ج65/1).

والمدبر، والمتصرف في شؤون خلقه كلها فهو مؤمن بالقضاء والقدر، وعلى هذا فلا يتم توحيد الربوبية إلا بإثبات القدر. [1]

إذن يتبين مما سبق أن الإيمان بالقدر هو تقدير الله للأشياء و التصديق الجازم بأن كل خير وشر هو بقضاء الله وقدره، وأنه سبحانه الفعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإذنه وإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، ولا يوجد في هذا الكون شيء خارج عن تقديره تعالى.

وفيه مبحثان:

(1) ابن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ج595/1).

المبحث الأول

مراتب القدر

لقد دلت سورة الرعد على مراتب القدر الأربع، التي من لم يؤمن بها لم يتحقق له الإيمان بالقضاء والقدر، وهذه المراتب هي: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل كونها، ومشيئته لها، وخلق الله للأعمال وإيجاده لها [1]، وأهل السُّنة والجماعة يؤمنون بمراتب القضاء والقدر الأربع الثابتة في القرآن والسنة.

قال ابن عثيمين " وأهل السنة والجماعة يؤمنون بجميع هذه المراتب الأربع، وقد جمعت في بيت:

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين " [2]

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مرتبة العلم [3]

وهي " الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم، وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم وأسرارهم وعلانيتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار ". [4]

ولقد دلت السورة الكريمة على إثبات علم الرب سبحانه وتعالى بالأشياء قبل كونها، وأنه عليم بجميع أحوال العباد من الإيمان والكفر، والطاعات والمعاصي، والأرزاق والآجال، كما جاء في قوله جلّ ثناؤه ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: 8]، قال ابن كثير – رحمه الله – في بيان هذه الآية " يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات ، كما قال تعالى ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ [لقمان: 34]، أي ما حملت من ذكر أو

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج383/7)، الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج145/1).

(2) ابن العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (ج405/2).

(3) تم ذكر هذا يشكل مفصل عند الحديث عن الصفات الذاتية "صفة العلم "، انظر صفحة (128) من هذه الرسالة.

(4) الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ج78/1).

أنثى، أو حسن أو قبيح، أو شقي أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره، كقوله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم: 32].

" وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ " يعني السقط " وَمَا تَزْدَادُ" يقول ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماماً، وذلك أن النساء من تحمل عشرة أشهر، ومن تحمل تسعة أشهر، ومنهن من تزيد في الحمل، ومنهن من تنقص، فذلك الغيض والزيادة التي ذكر الله تعالى وكل ذلك بعلمه تعالى.

" وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ" أي بأجل، حفظ أرزاق خلقه وأجالهم، وجعل لذلك أجلاً معلوماً". [1]

وقوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9]، قال الشوكاني – رحمه الله – " أي عالم كل غائب عن الحس وكل مشهود حاضر، أو كل معدوم وموجود ولا مانع من حمل الكلام على ما هو أعمّ ". [2]

وقوله تعالى في نفس السورة التي تثبت مرتبة علم الله تعالى الأزلي ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 42]، أي أنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر من خير أو شر، وسيجزي كل عامل بعمله [3] " ومن علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها كان المكر كله له ؛ لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون".[4]

فالآيات السابقة من السورة دلت دلالة واضحة على المرتبة الأولى من مراتب القدر، وهي مرتبة العلم، فيجب على الإنسان أن يؤمن بأن الله تعالى علم الأشياء قبل كونها، وهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

أيضاً قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج660/2-661).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج94/3).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج686/2).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج125/3).

قال ابن كثير – رحمه الله – في شرحه لهذه الآية الكريمة " يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه، وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ...

وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها، وقدرها وكتبها أيضاً، فما العباد عاملون قد علمه قبل ذلك، على الوجه الذي يفعلونه، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره، وهذا يعصي باختياره، وكتب ذلك عنده، وأحاط بكل شيء علماً، وهو سهل عليه، يسير لديه ". [1]

وقال جلّ وعلا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: 34].

قال الامام ابن كثير – رحمه الله – " هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: 187]، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخراها، " وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ " في بلدها أو في غيره من أي بلاد الله كان، ولا علم لأحد لذلك ". [2]

وقد ذهب الشوكاني – رحمه الله – في فتح القدير إلى نفس معنى ابن كثير – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الكريمة. [3]

وقال الشوكاني – رحمه الله – في موضع أخر ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [التغابن: 4]، أي يعلم ما في السموات والأرض، لا تخفى عليه من ذلك خافية، ويعلم ما تسرون وما تعلنون أي ما تخفونه وما تظهرونه، والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لمزيد التأكيد في الوعد والوعيد، والله عليم بذات

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/452).

(2) المرجع السابق (ج6/352).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج4/282).

الصدور هذه الجملة مقررة لما قبلها من شمول علمه لكل معلوم، فلا يخرج شيء عن علمه وتدبيره ". [1]

هذا وقد أثبت الشوكاني – رحمه الله – مرتبة العلم لله تعالى، وهو صفة ذاتية لله عز وجل، فقد ثبت علمه في كثير من آيات القرآن والأحاديث، فقد تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة أن علم الله أزلي، وأنه قد سبق كل شيء، ولا يصح أن يقدر وقوع غير ما علمه، وإلا انقلب العلم جهلاً، وذلك لا يجوز اجماعاً ؛ لأن علمه عز وجل سابق أزلي، وقد علم ما يكون قبل أن يكون، ولا خلاف بين أهل الحق من هذه الحثيثة. [2]

يتبيَّن مما سبق أن الشوكاني موافق لابن كثير – رحمهما الله – في إثبات مرتبة علم الله الأزلي، فهو تعالى يعلم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وهم أجنّة في بطون أمهاتهم، ويعلم أرزاقهم وآجالهم، وهو محيط بكل شيء لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وهو السميع العليم ، فعلمه تعالى محيط بكل شيء.

المطلب الثاني: مرتبة الكتابة

وهي " الإيمان بأن الله تعالى قد كتب جميع ما سبق به علمه أنه كائن، وفى ضمن ذلك الإيمان باللوح والقلم " [3] ففى الحديث " إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجري بما هو كائن إلى الأبد ".[4]

ولقد دلت السورة الكريمة دلالة واضحة وبيِّنة على مرتبة الكتابة في آيتين منها، كما جاء في

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: 38].

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – " يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد رسولاً بشرياً، كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشراً، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، ويأتون الزوجات، ويولد لهم، وجعلنا لهم أزوجاً وذرية.

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج281/5).

(2) انظر: الشوكاني، تنبيه الأفاضل على ما ورد فى زيادة العمر ونقصه من الدلائل (ج5330/11).

(3) الحكمي، أعلام السنة المنشورة (ج78/1).

(4) [الترمذي، سنن الترمذي، (424/5، ح 3319)]، قال الترمذي حديث حسن غريب، قال الألباني صحيح.

وقوله "وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" أي لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه، ليس ذلك إليه بل إلى الله عز وجلّ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، " لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" أي لكل كتاب أجلّ، يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين ". [1]

قال العلامة الشوكاني – رحمه الله – في تفسير قوله " لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" أي لكل أمر قضاه الله، أو لكل وقت من الأوقات التي قضى الله بوقوع أمر فيها كتاب عند الله يكتبه على عباده ويحكم به فيهم. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، والمعنى: لكل كتاب أجل، أي لكل أمر كتبه الله أجلّ مؤجل، ووقت معلوم، كقوله سبحانه ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: 67]، وليس الأمر على حسب إرادة الكفار واقتراحاتهم، بل حسب ما يشاؤه ويختاره ". [2]

" ولكل حادث أو كتاب أو كائن وقت معين وزمن محدد، ولكل وقت حكم يقرر على العباد، بحسب المصالح والأحوال " [3] " لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فليس استعجالهم بالآيات أو العذاب، موجباً لأن يقدم الله ما كتب أنه يؤخر، مع أنه تعالى فعال لما يريد " [4] " فإن الحكمة تقتضي اختلاف الأحكام على حسب اختلاف الأعصار و الأمم، وهو جواب لقولهم لو كان نبياً ما نسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل ". [5]

فهذه الآيات من السورة الكريمة دلت دلالة واضحة على المرتبة الثانية من مراتب القدر وهي مرتبة الكتابة، فيجب علينا أن نؤمن بأنه تعالى عالم بالأشياء، ويكتبها قبل كونها و إيجادها، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وأيضاً من آيات القرآن التي تثبت مرتبة المشيئة قوله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]، قال العلامة ابن كثير – رحمه الله – في بيانها " أي الجميع علمهم عند الله، ولا ينسى واحداً من جميعها من رزقه وتدبيره سواء برياً أو بحرياً كما قال ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج683/2).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج121/3)، وانظر: حسن خان، فتح البيان (ج110/5).

(3) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1174/2).

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج374).

(5) البروسوي، روح البيان (ج406/4)

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: 6]، أي مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها، وحاصر لحركاتها وسكناتها ". (1)

وقال الشوكاني– رحمه الله – " أي ما أغفلنا عنه ولا ضيعنا فيه من شيء، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، فإن الله أثبت فيه جميع الحوادث، وقيل إن المراد به القرآن أي ما تركنا في القرآن من شيء من أمر الدين إما تفصيلاً أو إجمالاً، ومثله قوله تعالى ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: 89]. (2)

وقال تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 4]، قال ابن كثير – رحمه الله – " بين تعالى شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض فقال " وَإِنَّهُۥ" أي القرآن " فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ" أي اللوح المحفوظ، " لَدَيۡنَا" عندنا، " لَعَلِيٌّ " أي ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل "حَكِيمٌ " أي محكم برئ من اللبس والزيغ. (3)

قال الشوكاني رحمه الله " أي وإن القرآن في اللوح المحفوظ لدينا أي عندنا لعلى حكيم رفيع القدر محكم النظم، لا يوجد فيه اختلاف، ولا تناقض.

قال الزجاج: أم الكتاب أصل الكتاب، وأصل كل شيء أمه، والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ ". (4)

وقال تعالى ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: 12]، قال ابن كثير – رحمه الله – " أي جميع الكائنات مكتوب مسطور مضبوط في لوح محفوظ، فالإمام المبين ها هنا هو أم الكتاب".(5)

قال الشوكاني – رحمه الله – " أي وكل شيء من أعمال العباد وغيرها كائناً ما كان في إمام مبين: أي كتاب مقتدى به موضح لكل شيء ". (6)

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج3/253–254).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج2/130).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/218)

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج4/627).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/568).

(6) الشوكاني، فتح القدير (ج4/415).

يقول العلامة ابن القيم في هذه المرتبة " وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السُّنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دلَّ القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله، وكلامه، فتبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب ". (1)

يتبين مما سبق موافقة الشوكاني لابن كثير في إثبات مرتبة الكتابة ، وهي المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر ، فهو تعالى يعلم بالأشياء والموجودات ويكتبها قبل كونها وإيجادها، فقد كتب الله جلّ جلاله وقدره فلا بد من نفوذه ووقوعه.

المطلب الثالث: مرتبة المشيئة (2)

وهي " الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما متلازمتان من جهة ما كان وما سيكون ولا ملازمة بينهما من جهة ما لم يكن ولا هو كائن؛ فما شاء الله تعالى فهو كائن بقدرته لا محالة وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله إياه لا لعدم قدرة الله عليه، تعالى الله عن ذلك ، قال عز وجلّ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر: 44]. (3)

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى مبيناً مرتبة المشيئة " وهي الإيمان بأن ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة، ولا سكون إلا بمشيئة الله – سبحانه – ولا يكون في ملكه ما لا يريد ". (4)

يتبين من تعريف المشيئة أنه يجب على كل إنسان الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الكاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما وجد موجود ولا عدم معدوم إلا بمشيئته ، فكل ما يجري بهذا الكون إنما ينشأ عن مشيئة الله تعالى وقدرته وعلمه المحيط بكل شيء.

---

(1) ابن القيم، شفاء العليل (ج41/1).

(2) تم ذكر هذا عند الحديث عن صفتي الإرادة والمشيئة صفحة 136، وهنا سيتم التفصيل ان شاء الله تعالى فى مرتبة المشيئة.

(3) الحكمي، أعلام السنة المنشورة (ج79/1).

(4) الهراس، شرح العقيدة الواسطية (ج300/1).

ولقد دلت السورة على هذه المرتبة كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ ﴾ [الرعد: 31].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى " يقول تعالى مادحاً للقرآن الذي أنزله على محمد – صلى الله عليه وسلم – ومفضلاً له على سائر الكتب المنزلة قبله " وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ " أي لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق، أو تكلم به الموتى في قبورهم ، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنسان والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له.

" بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ" أي مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجلّ، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومن يضلل الله فلا هادي له، ومن يهد الله فما له من مضل، وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة ؛ لأنه مشتق من الجميع.

وقوله " أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ " أي من إيمان جميع الخلق ويعلموا، أو يتبينوا

"أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا" فإنه ليس ثم حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في العقول والنفوس من هذا القرآن الذي لو أنزله الله على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله... وهذا القرآن حجة باقية على الآباد لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ". (1)

قال الشوكاني– رحمه الله – في تفسيرها " فلو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، وإذا لم يشأ أن يؤمنوا لم ينفع تسيير الجبال، وسائر ما اقترحوه من الآيات، فالإضراب متوجه إلى ما يؤدي إليه كون الأمر لله سبحانه، ويستلزمه من توقف الأمر على ما تقتضيه حكمته ومشيئته، ويدل على أن هذا هو المعنى المراد من ذلك.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج678/2).

قوله " أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ" بمعنى أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً من غير أن يشاهدوا الآيات. وقيل: إن اليأس على معناه الحقيقي، أي أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الكفار لعلمهم أن الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم ؛ لأن المؤمنين تمنوا نزول الآيات التي اقترحها الكفار طمعاً في إيمانهم ". [1]

وقال في موضع أخر " أي ولو شاء أن يهديكم جميعاً إلى الطريق الصحيح والمنهج الحق لفعل ذلك، ولكنه لم يشأ، بل اقتضت مشيئته سبحانه إراءة الطريق والدلالة عليها "وهديناه النجدين "، وأما الإيصال إليها بالفعل فذلك يستلزم أن لا يوجد في العباد كافر، ولا من يستحق النار من المسلمين، وقد اقتضت المشيئة الربانية أن يكون البعض مؤمناً والبعض كافراً، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع " [2]

وأما قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ [الرعد: 27].

قال الشوكاني – رحمه الله – في بيانها قوله " وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ" أي يقول أولئك المشركون من أهل مكة: هلا أُنزل على محمد آية من ربه... " قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ"

أمره الله سبحانه أن يجيب عليهم بهذا، وهو أن الضلال بمشيئة الله تعالى، من شاء أن يضله ضل كما ضلّ القائلون " لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ".

" وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ" أي ويهدي إلى الحق، أو إلى الاسلام، أو إلى جنابة عز وجل " مَنۡ أَنَابَ" أي من رجع إلى الله بالتوبة، والإقلاع عما كان عليه، وأصل الإنابة الدخول في نوبة الخبر". [3]

" أي هو المضل والهادي ، سواء بعث الرسول بأية على وفق ما اقترحوه أو لم يجبهم إلى سؤالهم، فإن الهداية والإضلال ليس منوطاً بذلك ولا عدمه ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج116/3).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج180/3).

(3) المرجع السابق (ج111/3).

لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: 101] ، وقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: 96]، ولهذا قال " قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ" أي ويهدي إليه من أناب إلى الله ورجع إليه واستعان به وتضرع إليه " (1)

وقال تعالى في نفس السورة ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: 39].

قال ابن كثير – رحمه الله – " أي لكل كتاب أجلّ، يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله، ومقدار معين، فلهذا " يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ" منها " وَيُثْبِتُ" حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه "

ثم ذكر أقوال كثيرة في تفسيرها (2)، إلى أن قال " ومعنى هذه الأقوال أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء ". (3)

قال الشوكاني– رحمه الله – عند تفسيره للآية " أي يمحو من ذلك الكتاب، ويثبت ما شاء منه. ثم قال " وظاهر النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتاب، فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة، أو سعادة، أو رزق، أو عمر، أو خير، أو شر، ويبدل هذا بهذا، ويجعل هذا مكان هذا، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وأورد اثنى عشر قولاً في معنى الآية، ورجح القول الأول: أن الآية عامة، وأن العمر فرد من أفرادها، قال " والأول أولى كما تفيده ما في قوله " ما يشاء " من العموم، مع تقدم ذكر الكتاب في قوله "لكل أجل كتاب " ومع قوله " وعنده أم الكتاب " أي أصلة، وهو اللوح المحفوظ، فالمراد من الآية أنه يمحو ما يشاء مما في اللوح المحفوظ، فيكون كالعدم، ويثبت ما يشاء مما فيه، فيجري فيه قضاؤه وقدره على حسب ما تقتضيه مشيئته، وهذا لا ينافى ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم " جَّف القلم " (4)، وذلك لأن المحو والإثبات هو من جملة ما قضاه الله سبحانه".(5)

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج674/2).
(2) انظر: هذه الأقوال فى ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج683/2–684).
(3) المرجع السابق، ص 683–684.
(4) [البخاري، صحيح البخاري، (1953/5، ح 4788)].
(5) الشوكاني، فتح القدير (ج121/3).

ففى معنى المحو والإثبات خالف الشوكاني رحمه الله تعالى ابن كثير، حيث جوز الشوكاني المحو والإثبات في الكتاب بمشيئة الله ويثبت غيره في الكتاب، وفى الأرزاق والآجال، أما ابن كثير فيري خلاف ذلك.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي– رحمه الله – " وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير ؛ لأن ذلك محال على الله، أن يقع في علمه نقص، أو خلل، ولهذا قال " وعنده أم الكتاب " أي اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء فهو أصلها وهي فروع وشعب، فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب ". [1]

وهذا هو الراجح في هذه المسألة بأن المحو والإثبات في المكتوب عند الملائكة، وأن ما في سابق علمه سبحانه وفى اللوح المحفوظ لا يقع فيه محو ولا إثبات.

قال العلامة ابن القيم– رحمه الله – " وهذه المرتبة قد دل عليها اجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتضٍ إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع، وأن كان منهم في موضع آخر فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، وأن يشاء ما لا يكون وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفى مشيئة الله بالكلية، ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختياراً أو جدبها الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم ". [2]

والحاصل مما تقدم أن الشوكاني يتفق مع ابن كثير – رحمهما الله – في إثبات مرتبة مشيئة الرب سبحانه وتعالى النافذة في كل شيء، وأن ما شاء الله كان وتحتم وجوده، وما لم يشأ لم يكن وتحتم عدمه، فسبحانه أن يكون في ملكه ما لا يشأ، أو يشاء شيئاً فلا يكون، وهو القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وأن المحو والإثبات يكون في غير ما سبق به علمه وخطه قلمه.

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج374/1).

(2) ابن القيم، شفاء العليل (ج43/1).

المطلب الرابع: مرتبة الخلق [1]

وهي " الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ما من ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا فيما بينهما إلا والله خالقها وخالق حركاتها وسكناتها سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه"[2]

قال شيخ الاسلام- رحمه الله- مبيناً مرتبة الخلق " وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، ومع ذلك، فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته".[3]

يتبيَّن مما سبق أنه يجب الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء من الكائنات، خلقها بذواتها وصفاتها وحركاتها، ولا خالق ولا رب سواه، وأن كل ما سوى الله مخلوق وأوجده من العدم، لذلك وجب إفراده عز وجلّ بجميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة ؛ لأنه هو وحده المستحق للعبادة لا غيره.

ولقد دلت سورة الرعد دلالة واضِّحة على أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء كما جاء في قوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الرعد: 16]، فهذه الآية الكريمة من السورة تدل على أن جميع الأشياء مخلوقة، فقد أخبر - تعالى - أنه خالق لكل شيء، ومن ضمن ذلك أفعال عباده فإنها شيء من الأشياء، ففيها رد على القدرية القائلين بأن العبد هو الخالق لأفعاله، كما فيها رداً على الفلاسفة القائلين بقدم العالم، وهذه الأقوال صادرة عن أهل الباطل، وهي تتضمن تعطيل الباري سبحانه عن خلقه وصفاته.

قال ابن كثير- رحمه الله - : " ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ" يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها وربها و مليكها والمتصرف فيها، وكلها تحت تدبيره وقهره وكلاءته ". [4]

وقال الشوكاني - رحمه الله - :" قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ" كائناً ما كان ليس لغيره في ذلك مشاركة بوجه من الوجوه. قال الزجاج: والمعنى أنه خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقاً ترى أنه تعالى خالق كل شيء وهو غير مخلوق ". [5]

---

(1) تم شرح هذه الآية بشكل مختصر صفحة (54)، وفى هذا المقام سيتم بسطة إن شاء الله.

(2) الحكمي، أعلام السنه المنشورة (ج79/1).

(3) الهراس، شرح العقيدة الواسطية (ج300/1).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج111/7).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج102/3).

وقال شارح الطحاوية ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ [الزمر: 62]، أي الله خالق كل شيء مخلوق فدخلت أفعال العباد في عموم كل، وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم كل ، الذي هو صفة من صفاته يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً ! وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم كل ! !، وهل يدخل في عموم: كل إلا ما هو مخلوق ؟ فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم ودخل سائر المخلوقات في عمومها ". [1]

وقال العلامة ابن القيم– رحمه الله –: حول قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ " وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له، واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق وصفاته سبحانه داخله في مسمى اسمه، فإن الله سبحانه اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة نقص ومثال ، والعالم قسمان أعيان وأفعال ، وهو الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال ، كما أنه العالم بتفاصيل ذلك فلا يخرج شيء منه عن علمه ولا عن قدرته ولا عن خلقه ومشيئته ". [2]

وقال البيهقي– رحمه الله – عقب هذه الآية ﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: 16]. فنفى أن يكون خالق غيره، ونفى أن يكون شيء سواه غير مخلوق، فلو كانت الأفعال غير مخلوقه لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها، وهذا خلاف الآية، ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان، فلو كان الله خالق الأعيان والناس خالقي الأفعال، لكان خلق الناس أكثر من خلقه، ولكانوا أتم قوة منه و أولى بصفة المدح من ربهم سبحانه ؛ ولأن الله تعالى قال ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، فأخبر أن أعمالهم مخلوقه لله عز وجل ". [3]

يتبين مما سبق موافقة الشوكاني لابن كثير– رحمهما الله تعالى – في إثبات مرتبة الخلق لله عز وجل، وأنه الخالق لكل شيء، ولا خالق سواه، وأيضا يتبين من هذه الأقوال لأهل السنة أن أفعال العباد جميعها مخلوقة ومقدره للمولي – جلّ وعلا – إذ هو سبحانه الخالق وما عداه كله مخلوق.

---

(1) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج436/1).

(2) ابن القيم، شفاء العليل (ج53/1).

(3) البيهقي، الاعتقاد (ج142/1).

وفى قوله تعالى " وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ" لا نقول إن ما مصدرية أي خلقكم وعملكم – إذ سياق الآية يأباه ؛ لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى، وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم ، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقاً له بل الخشب أو الحجر لا غير". [1]

ومما يدل على أن العباد فاعلون حقيقة قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 197].

وقوله تعالى ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: 77]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [هود: 36].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – " والعباد فاعلون حقيقة، والله خلق أفعالهم. والعبد هو: المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم. وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وقدرتهم وإرادتهم ؛ كما قال تعالى ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: 28–29]،، وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سمَّاهم النبي – صلى الله عليه وسلم – مجوس هذه الامة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها ". [2]

وقال العلامة ابن القيم – رحمه الله – " ومن الدليل على خلق أعمال العباد قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ ﴾ [النحل: 81]، فأخبر أنه هو الذي جعل السرابيل وهي الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سرابيل إلا أن بعد تحيلها صنعة الأدميين وعملهم، فإذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بجملتها وصورتها ومادتها وهيأتها، ونظير هذا قوله ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ

---

(1) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج436/1).

(2) الهراس، شرح العقيدة الواسطية (ج227/1).

﴿ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ ﴾ [النحل: 80]، فأخبر سبحانه أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتنقلة مجعولة له ، وهي إنما صارت بيوتاً بالصنعة الآدمية ". [1]

فهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن للعباد قدرة على أعمالهم، ولهم مشيئة، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم، وأقوالهم وأعمالهم، وهو الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم، مضافة إليهم حقيقة، وبحسبها كلفوا وعليها يثابون ويعاقبون، كما قال تعالى ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الزخرف: 72]، وقال تعالى ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الزمر: 14].

قال ابن القيم– رحمه الله – : " وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد، ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد

قال ابن عباس: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده".[2]

وقد فصَّل ابن القيم – رحمه الله – منهج السَّلف في الإيمان بالقدر حيث قال " فإنهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال، ومشيئته العامة، وينزهونه عن أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه، ولا هو واقع تحت مشيئته، ويثبتون القدر السابق، وأن العباد يعملون ما قدره الله وقضاه وفرغ منه، وأنه لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، ولا يفعلون إلا من بعد مشيئته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه، والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه ومشيته وخلقه، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته ". [3]

وهذا هو مذهب السَّلف أهل السنة والجماعة في الإيمان بالقدر، وهو المذهب الوسط التي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وأخبرت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وعليه سَّلف الأمة وأئمتها.

وقد كان السَّلف من الصحابة – رضي الله عنهم – ومن بعدهم يكرهون الجدال في القدر، ويذمون من خاض فيه ؛ لأن البحث في سر القدر، والنظر في دقائقه من الأمور التي استأثر الله بعلمها، فلم يطلع عليها أحداً من الخلق، لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً.

(1) ابن القيم، شفاء العليل (ج54/1).
(2) المرجع السابق، (ج65/1).
(3) ابن القيم، شفاء العليل (ج52/1).

وقد ثبت أن الرسول نهي عن الخوض في القدر والتعمق فيه، فعن عمرو بن شعيب عن أبية عن جده قال: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، وهو يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرُّمان [1] من الغضب، فقال، بهذا أمرتم، أو بهذا خلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم. قال: فقال عبد الله بن عمرو: ما غبطت نفسي [2] بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه ". [3]

كما ورد عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين تحذيرهم عن الخوض في القدر، قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – " ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإيمان ". [4]

وقال أيضا " باب شرك فتح على أهل الصلاة، التكذيب بالقدر، فلا تجادلوهم، فيجري شركهم على أيديكم ". [5]

وجاء رجل علياً رضي الله عنه قال: أخبرني عن القدر.

قال: طريق مظلم، فلا تسلكه.

قال: أخبرني عن القدر.

قال: بحر عميق فلا تلجه.

قال: أخبرني عن القدر.

قال: سر الله فلا تكلفة. [6]

---

(1) أي فغضب، فاحمر وجهه من أجل الغضب احمراراً يشبه فقأ حب الرُّمان فى وجهه، وفقئ أي بخص، انظر: ابن الأثير، النهاية فى غريب الحديث (ج461/3).

(2) يقال غبطت غبطة الرجل أغبطه غبطاً إذا اشهيت أن يكون لك مثل ما له، انظر: ابن الأثير، النهاية فى غريب الحديث (ج339/3).

(3) [ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (33/1، ح 85)].

(4) رواه اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج632/1).

(5) رواه الآجري فى كتاب الشريعة (ج868/2).

(6) رواه اللالكائي فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج629/1)، والآجري فى الشريعة (ج844/2).

وعن وهب بن منبه [1]– رحمه الله – أنه قال: " نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس في القدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم به ". [2]

وقال الآجري – رحمه الله – " إنه لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر ؛ لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر، فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق ". [3]

ويقول الطحاوي – رحمه الله – أيضاً " وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامة، ونهاهم عن مرامه... ". [4]

وقد سلك الإمام الشوكاني رحمه الله هذا المسلك ودعا إليه، والدليل على ذلك أنه عندما سئل عن مسألة خلق الأفعال، حسنها و قبيحها، خيرها وشرها، كره الخوض فيها وفى تفاصيلها؛ لأنها طالت ذيولها، وتنوعت مسالكها، وأكد رحمه الله أن الجهل في كثير من المواطن خير من تكلف العلم بها، والدخول في مضايق لم يتعبد الله بها أحدا من عباده، ولم يسعه ما وسعه خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، في هذه المسألة ونظائرها، فلا وسعه الله عليه.[5]

ونهاية المطَّاف في هذا المبحث أن الشوكاني – رحمه الله – أثبت مراتب القضاء والقدر الأربع وهي: مرتبة علمه عز وجل بالأشياء قبل إيجادها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، ومشيئة النافذة وقدرته الكاملة على كل شيء، وأنه الخالق لكل شيء، وهو على كل شيء قدير، ولا خالق ولا رب سواه سبحانه و تعالى، وبالتالى فهو على منهج السلف أهل السنة والجماعة و يتفق مع ابن كثير– رحمه الله – وكافة علماء أهل السنة في ذلك.

---

(1) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبدالله، مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. انظر:الزركلي، الأعلام (ج125/8)، ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج35/6).

(2) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج145/1).

(3) الآجري، الشريعة (ج702/2).

(4) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج249/1).

(5) انظر: الشوكاني، العذاب النمير فى جواب مسائل عالم بلاد عسير (ج200/1–202).

المبحث الثاني

فوائد الإيمان بالقدر وأثره على الفرد والمجتمع

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فوائد الإيمان بالقدر

إن الإيمان بالقدر له فوائد وثمرات كثيرة جداً في حياة الإنسان المسلم، تنفعه في الدنيا والآخرة، ومن هذه الفوائد:

1- طمأنينة القلب وارتياحه، وعدم القلق في هذه الحياة عندما يتعرض الإنسان لمشاق هذه الحياة ؛ لأن العبد علم أن ما يصيبه فهو مقدر لا بد منه ولا راد له، بخلاف من لا يؤمن بالقضاء والقدر ؛ فإنه تأخذه الهموم والأحزان، ويزعجه القلق، حتى يتبرم بالحياة، ويحاول الخلاص منها.

قال تعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: 22]، ففى هذه الآية أخبر سبحانه أنه قدر ما يجري من المصائب وفى الأنفس ؛ فهو مقدر ومكتوب لا بد من وقوعه، ثم بين أن الحكمة من إخباره لنا بذلك لأجل أن نطمئن ؛ فلا نجزع و نأسف عند المصائب، ولا نفرح عند حصول النعم، بل الواجب علينا الصبر عند المصائب، والشكر عند الرخاء. (1)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في بيانه للآية الكريمة " يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال " مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ" أي في الآفاق وفى نفوسكم " إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ " أي من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة.

وقوله " إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ " أي أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ". (2)

---

(1) انظر: الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ج301/1).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج26/8).

فبيَّن سبحانه أن ما يصاب به العباد من المصائب قد سبق بذلك قضاؤه وقدره، وثبت في أم الكتاب، وإن إثباتها في الكتاب على كثرته على الله يسير غير عسير. [1]

2- " الثبات عند مواجهة الأزمات، واستقبال مشاق الحياة بقلب ثابت ويقين صادق لا تزلزله الأحداث ولا تهزه الأعاصير ؛ لأنه يعلم أن هذه الحياة دار ابتلاء وامتحان وتقلب، كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]. [2]

قال ابن كثير في معنى الآية " أنه أوجد الخلائق من العدم، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملاً". [3]

" وقدم الموت على الحياة ؛ لأن أصل الأشياء عدم الحياة، والحياة عارضة لها، وقيل: لأن الموت أمر للقهر ". [4]

قوله "لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" أي خلق الموت والحياة ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملاً، فيجازيكم على ذلك، وقيل ليبلوكم أيكم أكثر للموت ذكراً وأشد منه خوفاً، وقيل أيكم أسرع إلى طاعة الله وأورع عن محارمه. [5]

3- " ومن أعظم فوائد الإيمان بالقضاء والقدر صحة إيمان الشخص بتكامل أركانه ؛ لأن الإيمان بذلك من أركان الإيمان الستة التي لا يتحقق إلا بها ". [6]

4- الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك، فالمجوس زعموا أن النور خالق الخير، والظلمة خالقة الشر، والقدرية قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد، فهم أثبتوا خالقين مع الله جلّ وعلا وهذا شرك، والإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد لله. [7]

5- أنه يدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج والقوة والشهامة، فالمجاهد في سبيل الله يمضي في جهاده لا يهاب الموت ؛ لأنه يعلم أن الموت لا بد منه، وأنه إذا جاء لا يؤخر قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 78]. [8]

---

(1) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج211/5).
(2) الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ج302/1).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج176/8).
(4) الشوكاني، فتح القدير (ج308/5).
(5) المرجع السابق (ج308/5).
(6) الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ج301/1).
(7) انظر: الصلابي، الوسطية فى القرآن الكريم (ج364/1).
(8) انظر: الفوزان، الارشاد إلى صحيح الاعتقاد (ج303/1).

قال الشوكاني – رحمه الله – في معنى الآية الكريمة " وفيه حث لمن قعد عن القتال خشية الموت، وبيان لفساد ما خالطه من الجبن، وخامره من الخشية، فإن الموت إذ كان كائناً لا محاله ". (1)

6- الشجاعة و الإقدام: فالذي يؤمن بالقدر يعلم أنه لن يموت إلا إذا جاء أجله، ولا يناله إلا ما كتب له، فيقدم غير هيَّاب ولا مبالٍ بما يناله من الأذى والمصائب في سبيل الله.(2)

7- " الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب، لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره ". (3)

يتبين مما سبق ذكره أن الإيمان بقضاء الله وقدره له من الفوائد العظيمة والقيم الجليلة ما يعود بالنفع على الإنسان المسلم في دنياه وأخرته، من الشجاعة والصبر والإقدام، والثبات على المبدأ، والإنتاج ، بالإضافة إلى ذلك أن الإيمان به دليل صحة توحيد الله عز وجل.

المطلب الثاني: أثر الإيمان بالقدر على الفرد والمجتمع

إن الإيمان بقضاء الله وقدره له الأثر الكبير في تغير حياة أفراد المجتمع بشكل إيجابي نحو الأفضل، فمن آثار الإيمان بقضاء الله وقدره عل الفرد والمجتمع: (4)

1- " أداء عبادة الله عز وجل، فالقدر مما تعبدنا الله سبحانه وتعالى بالإيمان به ".

2- الصبر والاحتساب ومواجهة الصعاب، فالذين لا يؤمنون بالقدر ربما يؤدي الجزع ببعضهم إلى أن يكفروا بالله، وبعضهم يُجَّن، وبعضهم يصبح موسوساً، وبعضهم يلجأ إلى المخدرات، وبعضهم يقتل نفسه.

3- " قوة الإيمان، فالذي يؤمن بالقدر يقوي إيمانه، فلا يتخلى عنه ولا يتزعزع أو يتضعضع مهما ناله في ذلك السبيل ".

4- الهداية، كما قال تعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴾ [التغابن: 11].

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج564/1).

(2) الصلابي، الوسطية فى القرآن (ج364/1).

(3) ابن العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة (ج33/1).

(4) انظر: الصلابي، هذه الآثار فى كتاب الوسطية فى الإسلام (ج364/1 368)، الفوزان، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ج304/1)، الصلابي، عقيدة أهل السنة والجماعة (ج33/1-34).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذا الآية " ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، فهدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيراً منه ". (1)

قال الشوكاني رحمه الله " ومن يصدق ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما قدره الله عليه يهد قلبه للصبر والرضا بالقضاء ". (2)

5- الكرم، فالذي يؤمن بالقدر، وأن الفقر والغني بيد الله، وأنه لا يفتقر إلا إذا قدر الله له ذلك، فإنه ينفق ولا يبالي.

6- الإخلاص، فالذي يؤمن بالقدر لا يعمل لأجل الناس، لعلمه أنهم لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له.

7- إحسان الظن بالله وقوة الرجاء، فالمؤمن بالقدر حسن الظن بالله، قوي الرجاء به في كل أحواله.

8- الخوف والحذر من الله، فالمؤمن بالقدر على حذر من الله، إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فلا يغتر بعمله مهما كان كثيراً، فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها حيث يشاء والخواتيم علمها عند الله -عز وجلّ-.

9- الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بينهما، وذلك مثل رذيلة الحسد، فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لإيمانٍ منه بأن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، فأعطى من شاء ومنع من شاء ابتلاءً وامتحانًا منه -عز وجل- وأنه حين يحسد غيره، إنما يعترض على القدر.

10 - التوكل واليقين والاستسلام لله والاعتماد عليه كما قال تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: 51] " أي نحن تحت مشيئة الله، وقدره " (3) " فالإنسان إذا علم أن ما قدره الله كائن، وأن كل ما ناله من خير أو شر إنما هو بقدر الله وقضائه هانت عليه المصائب ". (4)

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/173).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج5/283).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/161).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج2/430).

11- التواضع، فالمؤمن بالقدر إذا رزقه الله بمال، أو جاه، أو علم، أو غير ذلك تواضع لله، لعلمه أن هذا من الله، ولو شاء الله لانتزعه منه، وإنه على كل شيء قدير.

12- ومن أثار الإيمان بالقدر السلامة من الاعتراض على أحكام الله الشرعية، وأقداره الكونية والتسليم لله في ذلك كله.

13- الجد والحزم في الأمور، والحرص على كل خير ديني أو دنيوي كما في قوله - صلى الله عليه وسلم -: " احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ". [1]

14- الشكر، فالمؤمن بالقدر يعلم أن ما به من نعمة فمن الله وحده، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة، فينبعث بسبب ذلك شكر الله إذ هو المنعم المتفضل الذي قدر له ذلك، وهو المستحق للشكر وهذا لا يعني ألا يشكر الناس.

15- الاستقامة على المنهج سواء في السراء والضراء: فالعباد فيهم قصور، ونقص وضعف لا يستقيمون على منهج سواء إلا من آمن بالقدر، فإن النعمة لا تبطره والمصيبة لا تقنطه.

16- عدم اليأس من انتصار الحق، فالمؤمن بالقدر يعلم علم اليقين أن العاقبة للمتقين وإن قدر الله في ذلك نافذ لا محالة، فلا يدب اليأس إلى قلبه، ولا يعرف إليه طريقاً مهما طالت ظلمة الباطل.

17- علو الهمة، وعدم الرضا بالواقع الأليم ، فالمؤمن بالقدر تجده عالي الهمة لا يرضى بالواقع الأليم ، ولا يستسلم له محتجًا بالقدر، إذ أن هذا ليس مجال الاحتجاج بالقدر؛ لأنه من المصائب، والاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب دون المعائب؛ بل إن إيمانه بالقدر يحتم عليه أن يسعى سعيًا حثيثاً لتغيير هذا الواقع حسب قدرته واستطاعته.

18- الإيمان بالقدر على وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله -عز وجلّ- فيما يقدره من خير أو شر قال تعالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]

قال ابن كثير- رحمه الله - " وهذا عام في الأمور كلها، قد يحب المرء شيئاً، وليس له فيه خيره ولا مصلحة. ومن ذلك القعود عن القتال، قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحكم.

(1) [مسلم، صحيح مسلم، (2052/4، ح 2664)].

" وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ" أي هو أعلم بعواقب الأمور منكم، وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم ". [1]

19- عزة النفس والقناعة والتحرر من رِق المخلوقين، فالمؤمن بالقدر يعلم أن رزقه مكتوب، وأنه لن يموت حتى يستوفي رزقه، ويدرك أن الله كافيه وحسبه ورازقه، وأن العباد مهما حاولوا إيصال الرزق له، أو منعه عنه فلن يستطيعوا إلا بشيء قد كتبه الله، فينبعث بذلك إلى القناعة وعزة النفس.

20- وكذلك بالإيمان بالقدر يتوفر الإنتاج والثراء ؛ لأن المؤمن إذا علم أن الناس لا يضرونه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولا ينفعونه إلا بشيء قد كتبه الله له ؛ فإنه لن يتواكل، ولا يهاب المخلوقين ولا يعتمد عليهم، وإنما يتوكل على الله.

وصدق الله حيث يقول ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾ [الطلاق: 3].

قال العلامة الشوكاني رحمه الله " ومن يتوكل على الله فهو حسبه أي: ومن وثق بالله فيما نابه كفاه ما أهمة، إن الله بالغ أمره أي: أن الله سبحانه بالغ ما يريده من الأمر، لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب، وأن الله نافذ أمره لا يرده شيء.

قد جعل الله لكل شيء قدراً أي تقديراً وتوقيتاً، أو مقداراً، فقد جعل سبحانه للشدة أجلاً تنتهي إليه، وللرخاء أجلاً ينتهي إليه ". [2]

21- راحة النفس وطمأنينة القلب، لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس، واطمأن القلب، ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشاً وأريح نفسا وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

22- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك، ويدع الإعجاب.

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير من آثار الإيمان بالقضاء والقدر التي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع، وتحقق النجاح والفلاح له في الدنيا والآخرة.

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على هذه العقيدة، ويزيدنا من فضله، وأن لا يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج573/1).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج289/5).

الفصل الرابع

الغيب في سورة الرعد بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

الفصل الرابع

الغيب في سورة الرعد بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

الإيمان بالغيب ركن من أركان الإيمان ، وركيزة أساسية من ركائز الإيمان بالرسائل السماوية كلها، فقد جاء في الكتاب والسنة الكثير من الأمور الغيبية التي لا سبيل للإنسان العلم بها إلا عن طريق الوحي الثابت في الكتاب والسنة، كالحديث عن الله تعالى وصفاته وأفعاله، وعن الملائكة والنبيين والجنة والنار والصراط والميزان وغير ذلك من الحقائق الإيمانية الغيبية التي لا سبيل لإدراكها إلا بالخبر الصادق عن الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –.

المبحث الأول

معنى الغيب وأقسامه وأهميته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الغيب لغةً واصطلاحاً

أ. الغيب لغةً:

(غيب) الغين والياء والباء أصل صحيح، تقول: غاب عنه غيبة وغيباً وغيوباً ومغيباً، ومن ذلك الغيب: ما غاب مما لا يعلمه إلا الله. وجمع الغائب غيب وغياب وغيب، ويدل على تستر الشيء عن العيون، فيقال: غابت الشمس إذا غربت واستترت، وغاب الرجل عن بلده. [1]

وجاء في فتح القدير " وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث في الغين وهو جمع غيب، والغيب هو الأمر الذي غاب وخفيى جداً ". [2]

ب. الغيب اصطلاحاً:

قيلت في تعريف الغيب أقوال كثيرة، مختلفة ولكنها متكاملة، فالغيب في قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة: 3] أي يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا كله غيب.

وقيل أيضا: أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة، وأمر النار، وما ذكر في القرآن. وقيل الغيب القرآن، وقيل من آمن بالله فقد آمن بالغيب، وقيل الغيب الاسلام، وقيل القدر. [3]

قال ابن كثير – رحمه الله – " فكل هذه متقاربة في معنى واحد ؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به ". [4]

وقد جمع عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – هذه المعاني كلها فقال: الغيب كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك، مثل الملائكة والبعث، والجنة والنار، والحساب والصراط والميزان. [5]

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج403/4)، ابن منظور، لسان العرب (ج3321/5)، الشوكاني، رفع الريبة فيما يجوز وما لا يجوز من الغيبة (ج5569/11).

(2) الشوكاني، فتح القدير(383/4) .

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج165/1–166).

(4) المرجع السابق (ج166/1).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج170/1).

وقال الطبري– رحمه الله – فى تفسير قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ " أي آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الأخر وجنته وناره ولقائه، وأمنوا بالحياة بعد الموت، فهذا غيب كله. وأصل الغيب كل ما غاب عنك من شيء، وهو من قولك: غاب فلا يغيب غيباً ". (1)

قال الطَّاهر ابن عاشور " المراد بالغيب ما لا يدرك بالحواس مما أخبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – صريحاً بأنه واقع أو سيقع، مثل وجود الله وصفاته ووجود الملائكة والشياطين و أشراط الساعة، ومما استأثر الله بعلمه ". (2)

وأيضاً عرف العلماء الغيب بالعديد من التعريفات، ومن هذه التعريفات:

التعريف الأول: " ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بداهة العقل ، فمنه ما لم ينصَّب عليه دليل، وتفرد بعلمه اللطيف الخبير سبحانه كعلم القدر مثلا، ومنه ما نصَّب عليه دليل كالحق تعالى وصفاته العلا ". (3)

التعريف الثاني: " الغيب ما غاب عن شهود العباد، والشهادة ما شهدوها ". (4)

وخلاصة القول من تعريفات الغيب أنه هو ما غاب عن حواسنا وخفي علينا ، وهو الأمر الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل، ولا تقتضيه بديهة العقل مع وجود ما يدل عليه فى الشرع سواء فى الكتاب أو السنة مثل الإيمان بالملائكة والحساب والنشور والميزان والصراط إلخ.

قال الله جلَّ ثناؤه وتقدست أسماؤه فى سورة الرعد ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾[الرعد: 9].

قال ابن كثير رحمه الله " وقوله " عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ " أي يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفى عليه منه شيء ". (5)

قال الشوكاني رحمه الله " أي عالم كل غائب عن الحس وكل مشهود حاضر، أو كل معدوم وموجود ولا مانع من حمل الكلام على ما هو أعمّ ". (6)

---

(1) الطبري، جامع البيان (ج237/1).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج227/1).

(3) الألوسي، روح المعاني (ج117/1).

(4) ابن تيمية، درء تعارض العقل مع النقل (ج172/5).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج661/1).

(6) الشوكاني، فتح القدير (ج94/3).

وقال تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: 22].

قال ابن كثير – رحمه الله – " أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو، فلا رب غيره، ولا إله للوجود سواه، وكل ما يعبد من دونه فباطل، وأنه " عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ " أي: يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء من جليل وحقير وصغير وكبير، حتى الذَّر فى الظلمات ". (1)

قال الامام الشوكاني– رحمه الله – " هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ " وفى هذا تقرير للتوحيد ودفع للشرك، " عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ " أي:عالم ما غاب من الإحساس وما حضر، وقيل: عالم السر والعلانية، وقيل: ما كان وما يكون، وقيل: الآخرة والدنيا، وقَدم الغيب على الشهادة لكونه متقدماً وجوداً ".(2)

وقال تعالى أيضاً ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [فاطر: 38]" أي أنه عالم بكل شيء، ومن ذلك أعمالاً لا تخفى عليه منها خافية، فلو ردكم إلى الدنيا لم تعملوا صالحاً كما قال سبحانه ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: 28]".

" إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ"، تعليل لما قبله ؛ لأنه إذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى من كل شيء، علم ما فوقها بالأولى ". (3)

وقوله ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السجدة: 6] " أي المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده، يرفع إليه جليلها وحقيرها، وصغيرها وكبيرها.

وهو " ٱلْعَزِيزُ" الذي عز كل شيء فقهره وغلبه، ودانت له العباد والرقاب، " ٱلرَّحِيمُ " بعباده المؤمنين. فهو عزيز فى رحمته، رحيم فى عزته ". (4)

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج79/8).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج246/5).

(3) المرجع السابق (ج405/4).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج360/6).

قال الشوكاني – رحمه الله – " وفى هذا: معنى التهديد ؛ لأنه سبحانه إذا علم بما يغيب وما يحضر، فهو مجاز لكل عامل بعمله، أو: فهو مدبر الأمر بما تقضيه حكمته، العزيز القاهر الغالب الرحيم بعباده ". [1]

يتبين مما سبق أن الله تعالى يعلم كل غائبة فى السموات والأرض، ولا يخفى عليه شيء فى هذا الوجود، فهو يعلم جميع الكائنات التي نشاهدها والغائبة عنا، وهو تعالى مجازي كل إنسان بعمله، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر، فلا تخفى عليه خافية وهو عليم بذات الصدور.

المطلب الثاني: أقسام الإيمان بالغيب

للغيب أقسام متعددة: منها ما كان باعتبار العلم والمعرفة، ومنها ما كان باعتبار الزمان، ومنها باعتبار الورود.

التقسيم الأول: باعتبار علمه ومعرفته:

وينقسم إلى قسمين:-

الأول: الغيب النسبي :

وهو ما غاب عن الحواس فى عالم الشهادة، ويدخل فى ذلك الماضي والمستقبل، فكلاهما غيب بالنسبة للحواس ، وكذلك الأمر بالنسبة للحاضر، فهو غيب بالنسبة لمن لم يشاهده، لكنه ليس غيباً لمن عاصره وعاشه.

فالجن تعلم أشياء لا يعلمها الإنسان، وبعض الناس تعلم أشياء لا يعلمها بقية الناس، والعلماء يتفاوتون وهكذا.

ومن أمثلة هذا القسم: الشياطين والجن وما جاء من أخبارهم، نحو قوله تعالى ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن: 1-3] [2]

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج284/4-285).

(2) انظر: الجليند، الوحي والإنسان – قراءة معرفية (ج81/1)، العطار، أشراط الساعة وأحداث يوم القيامة بين التأصيل الديني والعقلي (ج3/1)، الشحوذ، أركان الإيمان (ج10/1)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج110/16).

فهنا يقول تعالى آمراً رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يخبر قومه: أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له.

قوله " يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ" أي إلى طريق السداد والنجاح ، " وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا" أي فعله وأمره وقدرته، " مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا" أي: تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، أي قالت الجن: تنزه الرب تعالى جلاله وعظمته، حيث أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد.[1]

قال الإمام الشوكاني " وهذا توبيخ للكفار من بني آدم، حيث أمنت الجن بسماع القرآن مرة واحده، وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله، وآمنوا به، ولم ينتفع كفار الإنس لا سيما رؤسائهم وعظماؤهم بسماعه مرات متعددة، وتلاوته عليهم فى أوقات مختلفة مع كون الرسول منهم، يتلوه بلسانهم، لا جرم صرعهم الله أذل مصرع ، وقتلهم أقبح مقتل، ولعذاب الآخرة أشد لو كانوا يعلمون ". [2]

" ولا شك أن الجن من الغيب الذي يجب الإيمان بما ثبت بالدليل الصحيح من أمورهم، والكف عمّا لم يدل عليه الدليل ؛ لأنه من الرجم بالغيب، وقد قال تعالى ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: 36] ". [3]

" وعلاقة العقل بهذا النوع من الغيب النسبي متفرع عن علاقته بعالم الشهادة، فما غاب عنا وجربه غيرنا لزمنا العمل بمقتضاه عند العلم به. وما تواتر العلم به عن الأمم الماضية من أخبار الأنبياء عنهم هو مما يلزم العلم به، وما يتنبأ به العلماء بناء على المشاهدات العلمية المتكررة هو من هذا القبيل ". [4]

إذن يتبين مما سبق أن الغيب النسبي هو ما غاب عن حواسنا فى عالم الشهادة، فيعلمه بعض المخلوقات دون بعضها، والناس يتفاوتون فى ذلك.

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج237/8).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج363/5).

(3) الشوكاني، بحث فى وجود الجن (ج470/1)

(4) الجليند، الوحي والانسان (ج81/1).

الثاني: الغيب المطلق:

" وهو ما لا سبيل للعقل إلى العلم به عن طريق الحواس بحال ما، أو هو ما استأثر الله بعلمه وحجبه عن جميع خلقه، قال تعالى ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: 65]. [1]

وهذا النوع لا يمكن أن يعلمه أحد من المخلوقات، لا نبي ولا ملك، وإنما هو خاص بالله تعالى.

ومن أمثلة هذا القسم: العلم بوقت قيام الساعة، والموت من حيث زمانه ومكانه وسببه، وبعض ما سمَّى الله به نفسه [2]. قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: 34]. [3]

وقال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: 63].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى " هنا أمر تعالى نبيه – صلى الله عليه وسلم – إذا سئل عن وقت الساعة، أن يرد علمها إلى الله تعالى ؛ فإنه هو الذي يجيلها لوقتها، أي: يعلم جلية أمرها، ومتى يكون على التحديد، أي لا يعلم ذلك أحداً، إلا هو تعالى، ولهذا قال ﴿ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [الأعراف: 187] أي ثقل علمها على أهل السماوات والأرض أنهم لا يعلمون ". [4]

" فاستمر الحال فى رد علمها إلى الذي يقيمها، لكن أخبره تعالى أنها قريبه " وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا" وقال أيضا: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: 1] ". [5]

---

(1) الجليند، الوحي والإنسان (ج82/1).

(2) انظر: الشحوذ، أركان الإيمان (ج10/1)، العطار، أشراط الساعة (ج3/1).

(3) تقدم الحديث عن هذه الآية بشكل مفصل عند التحدث عن مراتب القضاء والقدر (مرتبة العلم) صفحة (240).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج518/3).

(5) المرجع السابق (ج483/6).

وقال الشوكاني – رحمه الله – فى فتح القدير " وفى استئثار الله سبحانه بعلم الساعة حكمة عظيمة، وتدبير بليغ كسائر الأشياء التي أخفاها الله واستأثر بعلمها ". [1]

وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن: 26]

فهو تعالى يعلم الغيب والشهادة، وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه الله عليه.[2]

والمعنى أن علم وقت العذاب علم غيب لا يعلمه إلا الله، لا يطلع على الغيب الذي يعلمه أحداً منهم. [3]

" والغيب المطلق هو صفة من صفات الله الذاتية التي لا ينازع فيها الله جلَّ وعلا إلا كافر، لا ينازع أحد الله جلَّ وعلا فى علم الغيب إلا كافر، قال الله تعالى ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [النمل: 65]، وهذا أسلوب حصر، يعني: كل علم الغيب لله جل وعلا، فمن نازع الله جلَّ وعلا فى هذه الصفة فقد كفر ؛ لأنه كذب القرآن ، ونازع الله فى صفة يختص بها الله جلَّ وعلا دون غيره ". [4]

خلاصة القول فى ذلك أن الغيب المطلق استأثر الله عز وجلَّ بعلمه فلا يعلمه إلا هو ، ولا سبيل للعقل للعلم به ، وهذا ما يسمى بمفاتيح الغيب الخمس المذكور فى قوله ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: 59]

التقسيم الثاني: باعتبار الزمان

وينقسم إلى ثلاثة أقسام: –

الأول: غيب الماضي، كالأحداث التاريخية الماضية التي لم نشهدها، والرسالات السماوية، والأنبياء، وغير هذه الأمور، وهذا الغيب يمكننا اليوم أن نعلمه من خلال القراءة والسماع

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (311/2).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج246/8).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج372/5).

(4) عبد الغفار، أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج10/20).

ومشاهدة الأثار وغير ذلك، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ ، وقصة يوسف عليه السلام.

قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمرآن: 44].

قال ابن كثير – رحمه الله – " قال تعالى لرسوله عليه أفضل الصلوات، بعدما أطلعه على جلية الأمر " ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ" أي نقصه عليك، " وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ" أي: ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عنهم معاينة عما جرى، بل أطلعك الله على ذلك كأنك كنت حاضراً وشاهداً لما كان من أمرهم حين اقترعوا فى شأن مريم أيهم يكفلها، وذلك لرغبتهم فى الأجر ". [1]

الثاني: غيب الحاضر، وهو كل شيء لا يقع تحت حواسنا، وهو كل شيء لا أستطيع أن أطلع عليه وأعرفه، لكن يمكن معرفة ذلك من خلال وسائل المعرفة، ووسائل الإعلام المتطورة.

الثالث: غيب المستقبل، وهو ما لا يعلمه إلا الله تعالى. قال تعالى ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾ [النمل: 65] ، وهذا لا يعلمه حتى الجن قال تعالى ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: 14][2]

قال الشوكاني رحمه الله تعالى " فلما خَّر أي: سقط، تبينت الجن أي: ظهر لهم، من تبينت الشيء إذا علمته: أي: علمت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين أي: لو صح ما يزعمونه من أنهم يعلمون الغيب لعلموا بموته، ولم يلبثوا بعد موته مدة طويلة فى العذاب المهين فى العمل الذي أمرهم به، والطاعة له، وهو إذ ذاك ميت ". [3]، وقال تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ ﴾ [الأنعام: 73]. [4]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج42/2).

(2) انظر: الخضير، المعتصر شرح كتاب التوحيد (ج137/1)، العطار، أشراط الساعة وأحداث يوم القيامة (ج4/1).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج365/4).

(4) تم الحديث عن هذه الآية بشكل مفصل عند الحديث عن مراتب القضاء والقدر (مرتبة العلم) صفحة (241).

يتبين مما سبق أن علم الغيب وبخاصة غيب المستقبل لله سبحانه وحده فقط، أنه لا يوجد مخلوق فى هذا الكون يعلم الغيب إلا بمشيئة الله وقدرته وإرادته، حتى الجن الذين يسترقون السمع لا يعلمون الغيب، ولا أدلَّ من ذلك أنهم لم يعلموا بموت سيدنا سليمان حتى خرت منسأته أي حتى وقعت عصاه، عندما أكلتها الأرَضة مع مرور الوقت ، فحينها تبين لهم أنه قد مات وأنهم لا يعلمون الغيب وأنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين.

التقسيم الثالث للغيب: من حيث الورود :-

وينقسم إلى قسمين:-

أولا: غيب ما جاء فى القرآن وهو ركن الإيمان، ويكفر منكره ويخرج من ملة الإسلام.

ثانيا: غيب جاء فى السنة الصحيحة، فإن كانت متواترة كفر منكرها، وإن كانت أحادية فسق منكرها ولم يكفر. (1)

المطلب الثالث: أهمية الإيمان بعالم الغيب

للإيمان بعقيدة الغيب أهمية كبيرة فى حياة الإنسان المسلم، وتتجلى هذه الأهمية فيما يلي:

أن الإيمان بالغيب هو أساس الإيمان كله ؛ لأن أركان الإيمان كلها من الأمور الغيبية، وقد بيَّن الله عز وجلَّ أن الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين المتقين ، كما جاء فى أول آيات سورة البقرة قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: 3]

قال ابن كثير " أما الإيمان فى اللغة فيطلق على التصديق المحضَّ، وقد يستعمل فى القرآن، والمراد به ذلك، كما قال تعالى ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: 61] وكما قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: 17] ، وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال ؛ كقوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الإنشقاق: 25] فأما إذا استعمل مطلقاً فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً.

وأما الغيب المراد ها هنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه، وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد ، فالغيب فى قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: 3] أي يؤمنون بالله وملائكته

(1) انظر: العطار، أشراط الساعة (ج3/1)، وانظر: الطنطاوي، تعريف عام بدين الاسلام (ج151/1).

وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا كله غيب.

وقيل أيضا: أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة، وأمر النار، وما ذكر فى القرآن.

وقيل الغيب القرآن، وقيل من آمن بالله فقد آمن بالغيب، وقيل الغيب الاسلام، وقيل القدر.

فكل هذه متقاربة فى معنى واحد ؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به".[1]

قال الشوكاني – رحمه الله – فى قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ " هو وصف للمتقين كاشف ".[2]

قال ابن عاشور – رحمه الله – " وخُصَّ بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان ؛ لأن الإيمان بالغيب أي ما غاب عن الحس هو الأصل فى اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوي، فإذا آمن به المرء تصدى لسماع دعوة الرسول وللنظر فيما يبلغه عن الله تعالى، فسهل عليه إدراك الأدلة، وأما من يعتقد أن ليس وراء عالم الماديات عالم آخر وهو ما وراء الطبيعة ، فقد راضَ نفسه على الإعراض عن الدعوة إلى الإيمان بوجود الله وعالم الآخرة كما كان حال الماديين وهم المسمون بالدهريين الذين قالوا:﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية: 24]".[3]

كما أن الإيمان بالغيب من أهم خصائص الإنسان التي تميزه عن المخلوقات فى الدنيا. فالغيب يصل بالوجود كله، ظاهره وخفيه، ما يعلم منه ويبصر، وما لا يعلم ولا يبصر، فيربطه بالكون، بماضيه وحاضره ومستقبله، فى تناغم وتوافق عميقين.

يقول سيد قطب– رحمه الله – " الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس – أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس – وهي نقلة بعيدة الأثر فى تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة فى كيان هذا الوجود، وفى إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج165/1–166).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج40/1).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج227/1–228).

وتدبير. كما أنها بعيدة الأثر فى حياته على الأرض فليس من يعيش فى الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش فى الكون الكبير الذي تدركه بديهته وبصيرته ويتلقى أصداءه وإيحاءاته فى أطوائه وأعماقه، ويشعر أن مداه أوسع فى الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه فى عمره القصير المحدود. وأن وراء الكون ظاهره وخافيه، حقيقة أكبر من الكون، هي التي صدر عنها، واستمد من وجودها وجوده... حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول ". [1]

ومن أهمية الإيمان بالغيب على نفسية الفرد الطمأنينة والسكينة، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [اللأنعام: 83]

قال ابن كثير – رحمه الله – فى تفسير هذه الآية " أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون فى الدنيا والآخرة ". [2]

وقال تعالى ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ [قريش: 3–4].

قال الشوكاني – رحمه الله – عند شرحه لهذه الآية " أمرهم سبحانه بعبادته بعد أن ذكر لهم ما أنعم به عليهم، أي: إن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الخاصة المذكورة، والبيت: الكعبة.

وعرفهم سبحانه بأنه رب هذا البيت لأنه كانت لهم أوثان يعبدونها، فميز نفسه عنها. وقيل: لأنهم بالبيت تشرفوا على سائر العرب، فذكر لهم ذلك تذكيراً لنعمته ، الذي أطعمهم من جوع أي: أطعمهم بسبب تينك الرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما، وقيل: إن هذا الإطعام هو أنهم لما كذبوا النبي – صلى الله عليه وسلم – دعا عليهم، فقال: اللهم اجعلهما عليهم سنين كسنين يوسف، فاشتد القحط، فقالوا: يا محمد ادع الله لنا فإنا مؤمنون، فدعا فأخصبوا، وزال عنهم الجوع، وارتفع القحط ، وآمنهم من خوف أي: من خوف شديد كانوا فيه ". [3]

---

(1) سيد قطب، فى ظلال القرآن (ج39/1–40).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج293/3).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج608/5).

ورأس الإيمان بالغيب هو الإيمان بالله تعالى، ولا اطمئنان إلا به قال سبحانه ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: 28] (1)

" أي تسكن وتستأنس بذكر الله سبحانه بألسنتهم كتلاوة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتوحيد، أو بسماع ذلك من غيرهم...

قال الزجاج: أي إذا ذكر الله وحده آمنوا به غير شاكّين بخلاف من وصف بقوله ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾ [الزمر: 45]، تطمئن قلوبهم بتوحيد الله ". (2)

فلا عجب أن جعل الله الجنة دار أمن وسلام، فأهلها فى الغرفات آمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وإن المؤمن فى سعادة ليس لها مثيل، يقول أحد المؤمنين: " نحن فى سعادة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها ". (3)

ومن أهمية الإيمان بعالم الغيب التحرر من القيود لغير الله، فلا ينحني إلا لله سبحانه وتعالى، فلا ينحني لأية قوة على ظهر الأرض. فالإسلام يرفض أن يذل المسلم لغير الله ؛ وذلك لأن الحرية الحقيقية لا تكون إلا بالعبودية لله تعالى فقط.

وإن المؤمن بالأخرة وما عند الله يترجح عنده جانب العطاء، وبخاصة إذا اتضح عنده أن ما يملكه هو من عند الله، وأنه مجرد مستخلف فيه، فالمؤمن يعتقد أن المال لا ينقص بالتصدق، بل يزيد ويبارك الله فيه، قال – صلى الله عليه وسلم – " ما نقص مال من صدقة ". (4)

ومن أهمية الإيمان بعالم الغيب أيضاً " الحرص على طاعة الله تعالى، رغبة فى ثوابه، والبعد عن معصيته خوفاً من عقابه ". (5)

" تسلية المؤمن عمّا يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها ". (6)

---

(1) انظر: القرضاوي، الإيمان والحياة (ج143/1).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج112/3).

(3) المرجع السابق (ج81/1).

(4) أورده ابن حجر، فتح الباري (ج262/3)، والشوكاني، نيل الأوطار (ج169/4)، كتاب الزكاة.

(5) ابن عثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة (ج33/1).

(6) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

" والإيمان بالغيب: يستلزم التصديق به على وجه الجزم، وهو لا يحصل إلا عن دليل.

ولا شك أن قيام البراهين على صدق من أخبر بالغيب يجعل المؤمن بهذا الغيب مصدقاً عن دليل، فنحن لا نحتاج فى الإيمان بالملائكة والكتب السماوية السابقة، والرسل الذين أرسلوا من قبل، والبعث وما فيه من ثواب وعقاب، لا نحتاج فى الإيمان بكل ذلك إلى دليل زائد على الأدلة التي قامت على صدق نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –". [1]

والإيمان بالغيب دليل على اتساع العقول، وسلامة القلوب، إذ أن معنى الإيمان بالغيب هو أن عقولهم قد سلّم إدراكها، وتقشعت عنها غشاواتها، وامتد نظرها فى الكائنات فأدركت أن لها مبدعاً حكى ما وخالقاً قديراً، جعلها تسير بنظام محكم، فهذه كواكب تظهر وتغيب، وسماء مرفوعة بغير عمد، وأرض راسية لا تميد ولا تضطرب ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: 88] فكان من ذلك لتلك العقول براهين قاطعة على وجود خالق مدبر، وحكيم قدير، ومبدع لا تأخذه سنة ولا نوم. [2]

والإيمان بالغيب كما قال العلماء، ضروري من ضروريات الحياة الإنسانية، حتى أنهم قالوا أن الإيمان بالغيب ضرورة إنسانية، وضرورة اجتماعية، وضرورة أخلاقية، وضرورة سياسية، وضرورة اقتصادية، وضرورة قانونية، وضرورة عقلية، وضرورة فطرية. [3]

فهو ضرورة إنسانية ؛ لأن الإنسان لا يستقيم وضعه البشري كإنسان إلا بما يلزم الإنسان وهو التدين، وبدون الإيمان بالغيب تفقد البشرية عنصراً رئيسياً من تكوينها، يجعلها تقع فى التيه، وتتخبط فى الضلال.

ومن الضرورة الاجتماعية أن الإنسان إذا فقد الإيمان بالغيب فإنه سيصاب بأمراض عديدة، إنه سيصاب بالخوف، وتنزل به الآلام النفسية، فلا يجد للحياة طعماً، ولا يستطيع مع هذا القلق أن يقوم بدوره الرئيسي فى إسعاد نفسه، ونفع غيره، فتتعطل قواه المادية، والأدبية، ويصبح شيئاً تافهاً لا قيمة له، ولا غناء فيه.

أما عن الضرورة الأخلاقية، فإنه من مستلزمات البشر الأخلاق ولا يوجد على ظهر الأرض إنسان دون أخلاق مهما كان نوع خلقه، حسناً كان أو سيئاً، المهم أنه يمتاز بالخلق، وإذا ارتبطت الأخلاق فلا بد أن ترتبط بما ارتبط به الإنسان، ألا وهو الإيمان بالغيب.

---

(1) الشحود، الواضح فى أركان الإيمان (ج30/1).

(2) انظر: المرجع السابق (ج30/1).

(3) انظر: العطار، أشراط الساعة وأحداث يوم القيامة(ج7/1–10).

أما عن الضرورة السياسية للإيمان بالغيب، فالسياسة هي الطريقة التي يتبعها الحاكم ومن يساعده فى الحكم، ليصل بشعبه وأمته إلى حيث السلامة، والمصلحة والقوة والعزة، هذا مفهوم المؤمن، أما غير المؤمن فالسياسة هي الخداع، والدسيسة، ونصب الفخاخ، والإيقاع بالغير، والتجسس على الناس، وإتباع الطرق التي تؤمن الحاكم، وتثبته على كرسي الحكم، بغض النظر عن الأُمة وأين تكون مصلحتها.

أما عن الضرورة الاقتصادية، فالسرقة، والربا، والاحتكار، والاستغلال، وكل هذه المظاهر التي نراها ونسمع عنها، إنما تنتشر فى المجتمعات التي طغت عليها روح المادية، والأنانية وحب النفس، فلا يمكن أن يجمع الإنسان فرداً أو مجتمعاً بين الإيمان والسرقة، أو الإيمان والربا، أو الإيمان والاستغلال والاحتكار، وظلم الأخرين، أفراداً، أو شعوباً.

وبهذا يكون المجتمع المؤمن يعيش فى رخاء واطمئنان، لا يحقد الفقير على الغني، ولا يظلم الغني الفقير.

أما عن الضرورة القانونية للإيمان بالغيب، أنه يؤدي إلى تطبيق القانون الرباني، بعيداً عن القانون الوضعي، التي تتصارع فيه المصالح الوضعية، وكما هو مقرر عندنا: فالحاكمية من خصائص الألوهية، ومن ادعى الحاكمية فقد نازع الله فى أخص خصائصه، ويكون بالتالي قد كفر بالله كفراً واضحاً.

أما عن الضرورة العقلية للإيمان بالغيب، فالعقل محدود الإدراك، بحكم أن الحواس الإنسانية محدودة، إن العقل الذي منحنا الله إياه، يقتضي منا أن نحافظ على ما سبق من ضروريات، لما لنا من مصلحة فى تلك الضرورات، ولأن العقل لا يمكن أن يستقل فى الإجابة عن كثير من التساؤلات المحيرة للإنسان على مدار تاريخه الطويل.

أما عن الضرورة الفطرية، فالفطرة تميل إلى اكتشاف المجهول، ولهذا يحاول الإنسان أن يعرف كل ما خبيء عنه، مما يدل على أن الفطرة تسعى وراء الغيب، والسعي وراء الشيء يدل على وجوده، فالفطرة تقتضي أن هذا العالم ليس هو وحده العالم، بل هناك ما أُخفى عنا وهو أكبر وأكثر وأوسع، وأن هذه الحياة تعيسة، إذا لم يكن هناك حياة أخرى، تزيل عنا الأحزان، وترفعنا من هذه الأحوال المحزنة فى الدنيا إلى حيث الراحة والسعادة والاطمئنان.

وبهذا تظهر لنا أهمية الإيمان بالغيب ومكانته فى الإسلام، وذلك لما له من أهمية كبيرة فى حياة الإنسان المسلم، فهو ضرورة من ضروريات الحياة فى جميع المجالات، وهو صفة المؤمنين المتقين، وكل من يدعي علماً بشيء من الغيب من تلقاء نفسه، يكون ضالاً ومكذباً لخبر الله عز وجل. ونصوص الكتاب والسنة تبين أن علم الغيب من خصائص المولى تبارك وتعالى.

المبحث الثاني

الملائكة

إن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد لا يتم الإيمان إلا به، ومن أنكر وجودهم فهو كافر لأنه يرد بذلك الكتاب والسنة ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: 177]، وكما ورد فى سورة الرعد فى ذكر بعض أعمالهم ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: 11]، والملائكة من عوالم الغيب التي امتدح الله المؤمنين بها، تصديقاً بخبر الله سبحانه وإخبار رسوله – صلى الله عليه وسلم –.

أولا: الملائكة فى اللغة :

الملائكة جمع ملك، أصله مألك مشتق من (ألك)، والألوك الرسالة، وهي المألكة على مفعلة، سميت ألوكا؛ لأنه يؤلك فى الفم، مشتق من قول العرب الفرس يألك اللجم، والمعروف يلوك، أو يعلك أي يمضغ. ألك الفرس اللجام فى فيه يألكه علكه، والألوك، والمألكة، والمألكة الرسالة؛ لأنها تؤلك فى الفم.

مألك قلبت الهمزة إلى موضع اللام، فقبل ملأك ثم خفضت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، فقيل ملك، وقد يستعمل متمما، والحذف والجمع ملائكة، دخلت فيها الهاء لا لعجمه، وقد قالوا الملائك هي المألكة، والملأكة على القلب، والملائكة جمع ملأكة، ثم ترك الهمز فقيل ملك فى الوحدان و أصله ملأك كما ترى، ويقال جاء فلان قد استألك مألكته أي حمل رسالته. [1]

والذي نستفده من هذا المعنى اللغوي أن الملائكة هم سفراء الله إلى أنبيائه ورسله فى تبليغ الوحي والرسالة.

ثانيا: الملائكة فى الاصطلاح:

تنوعت عبارات العلماء فى تعريف الملائكة فى الاصطلاح منها:

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج111/1)، الفراهيدي، العين (ج380/5)، الفيومي، المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير (ج18/1)، الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج510/13)، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج132/1).

" هم أجسام لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها فى السموات".[1]

" وهم نوع من خلق الله عز وجل، أسكنهم سماواته، ووكلهم بشئون خلقه، ووصفهم فى كتابه بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم يسبحون له بالليل والنهار لا يفترون".[2]

ثالثا: معنى الإيمان بالملائكة:

هو الاعتقاد الجازم، والتسليم بكل ما أخبر الله عز وجل به فى محكم تنزيله، ووحيه على نبيه عن الملائكة من صفاتهم وأفعالهم.

" وهو الإقرار الجازم بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله تعالى، مربوبون مسخرون، ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: 26] ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: 27]﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6]، ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء: 19] ، ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [اللأنبياء: 20]، ولا يسأمون ولا يستحسرون ". [3]

قال ابن كثير– رحمه الله – عند بيان قوله تعالى " ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ أي: مهما أمرهم به تعالى يبادروا إليه، لا يتأخرون عنه طرفة عين، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه. وهؤلاء هم الزبانية عياذاً بالله منهم ". [4]

قال الشوكاني – رحمه الله – " أي يؤدونه فى وقته من غير تراخ، لا يؤخرونه عنه، ولا يقدمونه ". [5]

فهم لا يعصون الله فيما أمرهم، ولا يتراخون عن إنجاز أمره سبحانه. [6]

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (ج306/6).
(2) الهراس، شرح العقيدة الواسطية (ج62/1).
(3) الحكمي، أعلام السنة المنشورة (ج41/1–42).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج168/8).
(5) الشوكاني، فتح القدير (ج302/5).
(6) الشوكاني، قطر الولي على حديث الولي (ج476/1).

وقال الشوكاني – رحمه الله – عند بيان قوله تعالى ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾ أي لا يتعاظمون ولا يأنفون عن عبادة الله سبحانه والتذلل له.

وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ أي: لا يعيون، مأخوذة من الحسير، وهو البعير المنقطع بالإعياء والتعب".[1]

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ فهم دائبون فى العمل ليلا ونهارا، مطيعون قصدا وعملا قادرون عليه، كما قال تعالى ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6].[2]

إذن يتبين مما سبق أن الملائكة مخلوقات روحانية لطيفة، وهم عباد الله المكرمون، فلا يعصون لله أمراً، ولا يتأخرون عنه طرفة عين، ويعبدون الله ليلاً نهاراً بدون تعب أو كلل أو ملل مطلقاً.

رابعاً: كيفية الإيمان بالملائكة :

" والإيمان بالملائكة ينتظم فى معان: –

الأول: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجن مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما يقدرهم الله تعالى عليه، والموت جائز عليهم، ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى، ولا يدعون آلهة كما ادعتهم الأوائل.

الثالث: الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حمله العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثر ". [3]

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج474/3).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج336/5).

(3) البيهقي، شعب الإيمان (ج296/1)، انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج117/1).

إذن يتبيَّن مما سبق أن الإيمان بالملائكة يعد الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، التي لا يصح إيمان العبد ولا يقبل له عمل إلا بتحقيقها، قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[البقرة: 285]

قال ابن كثير – رحمه الله – " فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، ولا رب سواه. ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباده المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله، حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين ". [1]

قال الشوكاني – رحمه الله – " قوله: وملائكته أي: من حيث كونهم عباده المكرمين، المتوسطين بينه وبين أنبيائه في إنزال كتبه، وقوله: وكتبه لأنها المشتملة على الشرائع التي تعبد بها عباده، وقوله: رسله ؛ لأنهم المبلغون لعباده ما نزل إليهم ". [2]

خامسا: مادة خلقهم:

أما عن أصل نشأتهم: فهم مخلوقون من نور لما ثبت في حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله " خلقت الملائكة من نور، وخلق الجَّان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم ". [3]

سادسا: ذكر بعض أعمال الملائكة:

أوكل الله عز وجل إلى الملائكة أعمالاً يقومون بها وينفذونها في مخلوقاته، منهم الموكل بالوحي، ومنهم الموكل بالقطر والنبات، ومنهم الموكل بالجبال، ومنهم الموكل بحفظ أعمال بني آدم، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور، ومنهم الموكل بالأجِّنة في

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج729/1).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج352/1).

(3) [مسلم، صحيح مسلم، (2294/4، ح 2996)].

بطون الحوامل، كما فى حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه " ثم يرسل إليه الملك فيكتب رزقه، وآجله، وعمله، وشقي أو سعيد ". (1)

فهم موكلون بأعمال يقومون بها، كما أمر الله تعالى بها ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 27].

قال ابن كثير – رحمه الله – " لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ" أي: لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمر به، بل يبادرون إلى فعله ، وهو تعالى علمه محيط بهم، فلا يخفى عليه منهم خافية " (2)، " وفى هذا دليل على كمال طاعتهم وانقيادهم ". (3)

قال الشوكاني– رحمه الله – فى تفسير قوله ﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: 26] " أي بل هم عباد الله سبحانه مكرمون بكرامته لهم، أو يأمرهم به، وفى هذا دليل على كمال طاعتهم وانقيادهم، وهم بأمره يعملون: أي هم العاملون بما أمرهم الله به، التابعون له، المطيعون لربهم ". (4)

والآيات القرآنية فى ذكر الملائكة كثيرة جداً، يصفهم تعالى بالقوة فى العبادة، وفى الخلق وحسن المنظر، وعظمة الأشكال، وقوة الشكل فى الصور المتعددة كما ورد فى العديد من آيات القرآن الكريم. (5)

ولقد دلت السورة على أن لله ملائكة أسند إليهم بعض المهام منها:

1- حفظ بني آدم :

ولقد ورد فى سورة الرعد ما يدل على حفظ الملائكة للإنسان، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: 11].

قال ابن كثير– رحمه الله – عند شرحه لهذه الآية الكريمة " أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين والشمال

---

(1) [البخاري، صحيح البخاري، (2713/6، ح 7016)].
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج338/5).
(3) الشوكاني، فتح القدير (ج478/3).
(4) المرجع السابق (ج478/3).
(5) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج42/1).

يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وأخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة أملاك بالليل، بدلاً حافظان وكاتبان ". [1]

كما جاء فى الصحيح من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ". [2]

قال الشوكاني– رحمه الله – " والمعقبات: المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه، ويكون بدلاً منه ، وهم الحفظة من الملائكة فى قول عامة المفسرين.

قال الزجاج: المعقبات ملائكة يأتي بعضهم بعقب بعض، وإنما قال: معقبات مع كون الملائكة ذكراً ؛ لأن الجماعة من الملائكة يقال لها: معقبة، ثم جمع معقبة على معقبات ". [3]

يتبين مما سبق أنه لكل إنسان ملائكة تحرسه و تحفظه بأمر الله، من أمامه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله، فى نومه وفى يقظته، وهذا من فضل الله علينا ومن نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى.

2- العبادة (التسبيح) [4] :

فمن مظاهر دلالة هذه السورة على قدرة الله، وعظمته، وحكمته، تسبيح الرعد والملائكة بحمد ربهم، فالرعد أية من آيات الله، وجند من جنوده، وطريقة تسبيحه لا يعلمها إلا خالقه، وظاهرة الرعد فيها الكثير من الرحمة، وأيضاً فيها العديد من صور العقاب والعذاب إن تحولت إلى صواعق مهلكة، حيث جاء فى الأثر عن الصحابي الجليل عبدالله بن الزبير [5] – رضي الله عنه – إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال " سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته " ثم يقول " إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض ". [6]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج662/2)، وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية(ج53/1).

(2) [البخاري، صحيح البخاري، (203/1، 350)].

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج95/3).

(4) تم ذكر هذا بشكل مفصل عند الحديث عن توحيد الألوهية (عبودية التسبيح)، صفحة (76).

(5) سبق ترجمته صفحة (78).

(6) سبق تخريجه صفحة (78).

قال ابن كثير – رحمه الله – فى البداية " ومنهم سكان السموات، يعمرونها عبادة دائبة، ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً، كما قال تعالى ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: 20].، فمنهم الراكع دائماً، والقائم والساجد دائماً... ". [1]

قال تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ [الأنبياء: 13].

" ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ أي يسبح الرعد نفسه بحمد الله، أي متلبساً بحمده، وليس هذا بمستبعد ولا مانع من أن ينطقه الله بذلك " [2] " فأصواته شاهدة بعظمة الله وقدرته " [3] " فيثني عليه بصفاته، وينزهه مما أضاف إليه أهل الشرك به، ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد، تعالى ربنا وتقدس " [4] " ويعلن بلسان الحال خضوعه لله، وانقياده لقدرته وحكمته ". [5]

وكما قلنا ورجحنا سابقاً أن الرعد لا يبعد أن يكون من جنس الملائكة، وإنما أفرده بالذكر على سبيل التشريف، كما فى قوله ﴿ لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [الأنبياء: 98]. [6] ، وهذا يؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنه: أن اليهود سألت النبي عن الرعد ما هو ؟ فقال " ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق [7] من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله " قالوا: فما الصوت الذي نسمع ؟ قال زجرة السحاب إذا زجره بالسحاب حتى ينتهي إلى حيث أمر " قالوا صدقت. [8]

" والذي نراه أن تسبيح الرعد بحمد الله يجب الإيمان به، سواء أكان الرعد اسماً لذلك الصوت المخصوص، أم اسماً لملك من الملائكة، أما كيفية هذا التسبيح فمردها إلى الله " [9]

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية(53/1).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج99/3).

(3) الأشقر، زبدة التفاسير بهامش مصحف المدينة النبوية (ص250).

(4) الطبري، جامع البيان (ج4709/6).

(5) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1153/2).

(6) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج27/19).

(7) مخاريق، جمع مخراق، وهو آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه، ابن منظور، ابن منظور، لسان العرب (ج1143/2).

(8) سبق تخريجه صفحة (80).

(9) الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج37/11).

فهذا بيان من الله تعالى، بين فيه أن الرعد يسبح الله كما هو الحال بالنسبة لجميع مخلوقات هذا الكون، فكل شيء يسبح الله وإن كان البشر لا يسمعون ذلك، ولا يفهمونه.

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ أي ويسبح الملائكة من خيفة الله سبحانه، وهيبته، وعظمته، وإجلالاً لمقامه، " وتنزهه عن الصاحبة والولد، لما يرون من جلال الله وهيبته " [1]، " فلا يدرك الله القوي الجبار إلا من يكون قريباً منه سبحانه وتعالى ". [2] [3]

حيث قال سبحانه فى موضع أخر حاكياً عن الملائكة المقربين أنهم يسبحون دائماً ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: 20]، ولا يسأمون ولا يستحسرون. [4]

قال الشوكاني " وفى هذا دليل على أن التسبيح عظيم الشأن، جليل المقدار ". [5]

وخلاصة القول أن الملائكة هم عباد الله، دائمون فى عبادتهم، وتسبيحهم، وأذكارهم، وأعمالهم التي أمرهم بها الله سبحانه، كما دلت الآية أن الملائكة يسبحون الله تعالى خاشعين له، خائفين منه، كما وصفهم فى آية أخرى ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾. [الأنبياء: 28].

3- الدخول على أهل الجنة والتسليم عليهم :

ولقد دلت سورة الرعد بشكل واضح على دخول الملائكة على المؤمنين والتسليم عليهم عند دخولهم الجنة كما جاء فى قوله تعالى ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: 24].

يقول ابن كثير فى تفسير قوله " وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ " أي وتدخل عليهم الملائكة من ههنا ومن ههنا للتهنئة بدخول الجنة، فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين، مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقرب والإنعام والإقامة فى دار السلام، فى جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام ". [6]

---

(1) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1153/2).

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3914/7).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج99/3).

(4) انظر: الشوكاني، الفتح الرباني ضمن رسائله فى الأذكار الواردة فى التسبيح (ج5895/12).

(5) المرجع السابق (ج5891/12).

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج672/2).

قال الشوكاني " وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ" أي من جميع أبواب المنازل التي يسكنونها، أو المراد: من كل باب من أبواب التحف والهدايا من الله سبحانه. " سَلَٰمٌ عَلَيْكُم" أي قائلين: سلام عليكم، أي سلمتم من الآفات، أو دامت لكم السلامة. "بِمَا صَبَرْتُمْ" أي بسبب صبركم، وهو متعلق بالسلام، أي إنما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم، أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر. " فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ" جاء سبحانه بهذه الجملة المتضمنة لمدح ما أعطاهم من عقبى الدار المتقدم ذكرها للترغيب والتشويق ". [1]

إذن يتبين مما سبق أن الملائكة أوكل إليهم أعمالاً للقيام بها وتنفيذها، منها حفظ الانسان، والتسليم على أهل الجنة، وعبادة الله عز وجلّ وتسبيحه، وغير ذلك من الأعمال التي تقوم بها من غير كلل أو ملل أو تعب ، وهذا أمر متفق عليه بين الإمامين ابن كثير والشوكاني رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته.

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج109/3).

المبحث الثالث
الجنَّة والنَّار

الجنَّة هي دار النعيم وهي دار القرار، التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين الذين عملوا بطاعته فى الدنيا، وابتعدوا عن معصيته، وقد أعد سبحانه وتعالى لهم فيها من أنواع النعيم والبهجة والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال الله جلّ ثناؤه وتقدست أسمائه فى سورة الرعد فى وصف الجنة ونعيمها ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: 35].

قال ابن كثير – رحمه الله – "مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ" أي صفتها ونعتها "تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ" أي سارحة فى أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها يفجرونها تفجيراً، أي يصرفونها كيف شاءوا وأين شاؤوا، كقوله ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد: 15].

" أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ " أي فيها الفواكه والمطاعم والمشارب لا انقطاع ولا فناء ". (1)

قال الشوكاني– رحمه الله – " والإشارة بقوله " تلك " إلى الجنة الموصوفة بالصفات المتقدمة ، " عقبي الذين اتقوا " أي عاقبة الذين اتقوا المعاصي، ومنتهى أمرهم. " وعقبى الكافرين النار " ليس لهم عاقبة ولا منتهى إلا ذلك ". (2)

ومثل هذا قوله تعالى ﴿ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: 102]." أي دائمون، وفى الجنة ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، كما قال سبحانه ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت: 31].". (3)

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (681/2).

(2) الشوكاني، فتح القدير (118/3).

(3) المرجع السابق، (506/3).

وقوله تعالى ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف: 71]، والمعنى " ما تشتهيه أنفس أهل الجنة من فنون الأطعمة والأشربة ونحوهما مما تطلبه النفس، ويهواه كائناً ما كان، وتلذ الأعين من كل المستلذات التي تستلذ بها وتطلب مشاهدتها ". [1]

وقال الإمام الشوكاني– رحمه الله – فى وصف أهل الجنة فى قوله تعالى ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الأنبياء: 48]." أي لا يمسهم تعب وإعياء لعدم وجود ما يتسبب عنه ذلك فى الجنة ؛ لأنها نعيم خالص، ولذة محضَّة، تحصل لهم بسهولة، وتوافيهم مطالبهم بلا كسب ولا جهد، بل بمجرد خطور شهوة الشيء لقلوبهم يحصل ذلك الشيء عندهم صفواً عفواً.

" وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ " أبداً ، وفى هذا الخلود الدائم وعلمهم به تمام اللذة وكمال النعيم، فإن علم من هو فى نعمة ولذة بانقطاعها وعدمها بعد حين موجب لتنغيص نعيمه وتكدر لذته".[2]

وخلاصة القول أن الله أعد لعبادة المؤمنين فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وذلك إذا أطعنا الله عز وجلّ، وامتثلنا أوامره، واجتنبنا نواهيه ، واتقيناه فى السر والعلن، فاللهم أنا نسألك حسن العلم والعمل ودخول الجنة بلا حساب ولا عذاب.

وأما عن النار – أعاذنا الله منها – فهي دار العذاب والخذلان، دار الذل والهوان، دار الشهيق والزفير، دار أهلها أهل البؤس والشقاء، والندامة والبكاء، دار أعدها الله سبحانه وتعالى لأعدائه ولمن عصاه وخالف أمره، وهي دار العقوبة فى الأخرة.

دلالة سورة الرعد فى ذكر النار وجزاء الكفار:

قال تعالى ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [الرعد: 18].

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج265/4).
(2) المرجع السابق (ج161/3).

قال ابن كثير – رحمه الله – " يخبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء فقال " لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ" أي أطاعوا الله ورسوله، وانقادوا لأوامره، وصدقوا أخباره الماضية والآتية، فلهم الحسنى وهو الجزاء الحسن، كقوله تعالى مخبراً عن ذي القرنين أنه قال ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴾ [الأنبياء: 87–88]، وقال تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس: 26].

وقوله " وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ" أي لم يطيعوا الله، " لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا " أي فى الدار الآخرة لو أن يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهباً ومثله معه لافتدوا به، ولكن لا يقبل منهم ؛ لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً " أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ " أي فى الدار الآخرة. أي يناقشون على النقير والقطمير، والجليل والحقير، ومن نُوقش الحساب عذب، ولهذا قال " وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ". (1)

قال الشوكاني – رحمه الله – " وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ " أي مرجعهم إليها، " وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ " أي المستقر الذي يستقرون فيه ". (2)

وقال تعالى ﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الرعد: 5]. (3)

قال ابن كثير– رحمه الله – فى تفسير قوله " وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ " أي ماكثون فيها أبداً، لا يحولون عنها ولا يزولون " (4)، " وفى توسيط ضمير الفصل دلالة على تخصيص الخلود بمنكري البعث ". (5)

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج670/2).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج105/3).

(3) تم التحدث عن هذه الآية بشكل مفصل، فى الفصل الثاني، عند الحديث عن إنكار الكفار للبعث والنشور صفحة (221).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج659/2).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج93/3).

أقوال العلماء بخلود النار:

قال الطحاوي –رحمه الله– فى عقيدته: "والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان ولا تبيدان".[1]

قال ابن تيمية – رحمه الله – : " وقد اتفق سَّلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السُّنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية ، كالجنة والنار والعرش وغير ذلك. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها ". [2]

قال السفاريني – رحمه الله – : " فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم ، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، ودليل ذلك الكتاب والسنة، وزعمت الجهمية أن الجنة والنار تفنيان، وقال هذا إمامهم جهم بن صفوان إمام المعطِّلة، وليس له فى ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين، ولا قال به أحد من أهل السُّنة " [3]

وخلاصة القول فى ذلك أن أهل السُّنة والجماعة متفقون أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان منذ أن خلق الله السموات والأرض، وهذه النار جعلها الله عز وجل للكفار العصاة المخالفن لأمره، وأعد الله لهم فيها من صنوف الآلام والعذاب ما تقشعر له الأبدان.

---

(1) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ج420/1).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج307/18).

(3) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج234/2).

المبحث الرابع

اليومُ الأخر

الإيمان باليومُ الأخر أحد أصول الإيمان الستة التي لا يصح إيمان المسلم بدونها، فالذي ينبغي علينا أن نعتقده أن ذلك اليوم آت بلا شك، وأن الله سيبعث من فى القبور، فيجازي كل بحسب ما قدمت يداه، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

أ. اليوم الأخر فى اللغة:

اليوم: معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها، وهو أحد الأيام، يقول ابن فارس " الياء والواو والميم كلمة واحدة، وهي اليوم: الواحد من الأيام، ثم يستعيرونه فى الأمر العظيم، ويقول: نعم فلان فى اليوم إذا نزل ". [1]

والآخر: يقول ابن فارس " الهمزة والخاء والراء أصل واحد ترجع إليه فروعه، وهو خلاف التقدم، وهذا قياس أخذناه عن الخليل فإنه قال: الآخر نقيض المتقدم، والأخر نقيض القدم، تقول مضى قدوماً وتأخر أخراً ". [2]

ب.اليوم الأخر فى الشرع:

إن الإيمان باليوم الآخر يعني " التصديق بأن لأيام الدنيا آخراً، أي أن هذه الدنيا منقضية، وهذا العالم منتقضٍ يوماً صنعه، منحل تركيبه، وفى الاعتراف بانقضائه اعتراف بابتدائه ؛ لأن القديم لا يفنى ولا يتغير ". [3]

ويعني أيضاً " الإيمان بكل ما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم– مما يكون بعد الموت".[4]

إذن اليوم الآخر يعني التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك. ويدخل فى ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة ، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وبالنفخ فى الصور وخروج الخلائق من القبور، وما فى موقف القيامة من الأهوال والأفزاع وتفاصيل المحشر: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز وجلّ، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم عز وجلّ. [5]

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج159/6).

(2) المرجع السابق، (ج70/1).

(3) البيهقي، شعب الإيمان (ج406/1).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج145/3).

(5) انظر: الحكمي، أعلام السنة المنشورة (ج55/1).

وسمي اليوم الآخر بهذا الاسم ؛ " لأنه أخر أيام الدنيا، أو أخر الأزمنة المحدودة ". [1]
ولقد ورد ذكر الآخرة بشكل واضح فى سورة الرعد فى موضعين منها:
الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾[الرعد: 34].
قال ابن كثير – رحمه الله – " ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار، فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك " لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا" أي بأيدي المؤمنين قتلاً وأسراً، " وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ" أي المدخر مع هذا الخزي فى الدنيا، "أَشَقُّ" أي من هذا بكثير،... وهو كما قال صلوات الله وسلامه عليه، فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذاك دائم أبداً فى نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفاً، ووثاق لا يتصور كثافته وشدته، كما قال تعالى ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [الغاشية: 25-26] [2]
الموضع الثاني: قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [الرعد: 26]. [3]
قال الشوكاني – رحمه الله – فى تفسير قوله " وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ " أي ما هي إلا شيء يستمتع به. وقيل: المتاع واحد من الأمتعة كالقصّعة والسُّكرجة [4] ونحوهما. وقيل: المعنى شيء قليل ذاهب من متع النهار إذا ارتفع فلا بد له من زوال. وقيل: زاد كزاد الراكب يتزود به منها إلى الآخرة ". [5]
إذن يتبين مما سبق أن المراد باليوم الأخر: يوم القيامة، ويدخل فيه المسألة فى القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة والنار، ورؤية الله جلّ وعلا، وغير ذلك من الأمور الغيبية، وسمي اليوم الآخر بهذا الاسم لأنه أخر أيام الدنيا.

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (ج118/1).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج680/2).
(3) تم التحدث عن هذه الآية بشكل موسع عند الحديث عن دلائل السورة على توحيد الربوبية صفحة (59).
(4) بضم السين والكاف والراء مع التشديد إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسية، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها. ابن منظور، لسان العرب (ج2049/3).
(5) الشوكاني، فتح القدير (ج111/3).

الفصل الخامس

أوصاف الناس كما وردت فى سورة الرعد

بين تفسيرى ابن كثير والشوكانـي

الفصل الخامس

أوصاف الناس كما وردت فى سورة الرعد بين تفسيرى ابن كثير والشوكاني

واقع الحياة الدنيا وأحوال الناس فيها عجيب وغريب، فمنهم أهل الحق والاستقامة وهم السعداء بالفعل، ومنهم أهل الباطل والانحراف، وهو الأشقياء بالفعل، وكل امرئ بما كسب رهين، وبحسب ما يزرع كل إنسان يحصد فى الدنيا والآخرة، فمن زرع نباتاً طيباً، استفاد منه وأفاد الأخرين، ومن زرع نباتاً خبيثاً أضَّر نفسه وأضَّر الأخرين، ولا غرابة بعدئذٍ أن يجازي المحسنون أعمالهم بجنان الخلد، ويجازي الأشرار والفجار بنيران الجحيم، وذلك هو مقتضى العدل الالهي.[1]

(1) انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1163/2).

المبحث الأول

السعداء من المؤمنين

أ. الإيمان فى اللغة:

الإيمان: فهو مصدر: آمن إيماناً ؛ فهو مؤمن، " والإيمان: التصديق ؛ كما فى قوله ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: 17]. أي بمصدق ". (1)

ب.الإيمان فى الاصطلاح:

" والإيمان قول وعمل، إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالأركان ". (2)

وعرفه ابن القيم – رحمه الله – :" هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – علماً، والتصديق به عقداً، والاقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان ". (3)

دلت سورة الرعد على صفات المؤمنين، أهل السعادة والفلاح فى الدنيا والآخرة، أولي الألباب أصحاب العقول الراجحة المدركة، الصافية الخالصة، أصحاب الأخلاق الحميدة ، كما جاء فى قوله جلَّ ثناؤه ﴿ ۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الرعد: 19].

بعد أن فرق الله تعالى بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم " أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ " ففهم ذلك وعمل به، " كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ " لا يعلم الحق، ولا يعمل به، فبينهما من الفرق، كما بين السماء والأرض، فحقيق بالعبد أن يتذكر ويتفكر، أي الفريقين أحسن مآلا، وخير مالاً، فيؤثر طريقها، ويسلك خلف فريقها، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره. (4)

قال ابن كثير– رحمه الله – : " يقول تعالى لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي " أُنزِلَ إِلَيۡكَ" يا محمد " مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ" هو الحق الذي لا شّك فيه، ولا مرية، ولا لبس فيه، ولا اختلاف فيه، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضاً، لا يضاد شيء منه شيئاً آخر، فأخباره كلها حق،

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج141/1).

(2) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج181/1).

(3) الفوائد، لابن القيم الجوزية، (ج107/1).

(4) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (371).

وأوامره ونواهيه عدل، كما قال تعالى ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا ﴾ [الأنعام: 115]. أي صدقاً فى الإخبار، وعدلاً فى الطلب، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه ، ولو فهمه ما انقاد له ولا صدقه ولا اتبعه كقوله تعالى ﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: 20]، وقال فى هذه الآية الكريمة " أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓ " أي أفهذا كهذا ؟ لا استواء ". [1]

قال الشوكاني – رحمه الله – :" فإن الحال بينهما متباعد جداً، كالتباعد الذي بين الماء والزبد، وبين الخبث والخالص من تلك الأجسام، ثم بين سبحانه أنه إنما يقف على تفاوت المنزلتين وتباين الرتبتين أهل العقول الصحيحة ". [2]

وقوله " إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ "أي إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولوا العقول السليمة الصحيحة"[3]، و أولوا العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لب العالم، وصفوة بني آدم، فإن سألت عن وصفهم، فلا تجد أحسن من وصف الله لهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ... ﴾ [4].

" فمن لا عقل له لا يتذكر، ومن لم يتذكر فهو أعمى، وقد دلَّ على أن العقول السليمة مركوز فيها الحق، فإذا نزل عليها الوحي تذكرت، أما القلوب التي لا تتذكر فإنها وصلت إلى العمى الكامل، ولذلك كله علاماته " [5] " ومعنى التذكر إدراك الآيات، وكأنها لا تحتاج إلى تعرف جديد ؛ لأن أصلها فى الفطرة ". [6]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج2/670-671)، انظر حوى، الأساس فى التفسير (ج5/2739).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج3/107).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج2/671).

(4) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (371).

(5) حوى، الأساس فى التفسير (ج5/2740).

(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج8/3929).

" لكن الفكر السقيم يردي أهل الشك ويوردهم النار؛ عندها يقرون على أنفسهم بالضَّلال والخَّبال ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: 10]، أما السعداء العقلاء فقيلهم ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ [الزمر: 47]". (1)

قال جلَّ جلاله فى وصف أولو الألباب، أصحاب العقول السليمة الصحيحة، الصافية النقية، من أهل السعادة ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: 20-24].

فقد وصفهم بما يلي:

1- الوفاء بالعهد

قال ابن كثير- رحمه الله - : " يقول تعالى مخبراً عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة بأن لهم عقبى الدار، وهي العاقبة والنصرة فى الدنيا والآخرة: " ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ " وليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصَّم فجر، وإذا حدَّث كذب، وإذا ائتمن خان ".(2)

قال الشوكاني- رحمه الله - : " ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ " أي بما عقدوه من العهود فيما بينهم وبين ربهم، أو فيما بينهم وبين العباد " (3) " فهداهم ربهم بإيمانهم إلى الوفاء بعهده، ورعاية أماناته وأمانات خلقه، ولم يوهنوا موثقاً من مواثيق ربنا ولا مواثيق عباده ". (4)

" وعهد الله: كل ما قام الدليل على صحته من الأدلة العقلية والسمعية، والعهد: اسم للجنس ، أي بجميع فروض الله، وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده، ويدخل فيه التزام جميع الفروض، وتجنب جميع المعاصي ". (5)

---

(1) تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1677/3).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج671/2).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج107/3).

(4) تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1677/3).

(5) الزحيلي، التفسير المنير (ج166/7).

" فالوفاء بالعهد من صفات المؤمنين، ومن خصال الإيمان ؛ وذلك لأن الوفاء يقتضي أن تصدق النفس فى ذاتها وأن تدرك ما يجب فى حق النفس، ويشعر المرء بالمعادلة فى الحياة بينه وبين الناس، يشعر بحقهم عليه كما يطالبهم بحقه عليهم ؛ ولذا كان علامة من علامات الإيمان ". (1)

وخلاصة القول فى ذلك أنه يجب على كل مؤمن أن يوفي بالعهد الذي قطعه على نفسه، سواء بينه وبين الله عز وجلّ، أو بينه وبين العباد، فالعهد مما يجب الوفاء به، وهذا يشمل جميع الفرائض والواجبات، والامتناع عن المعاصي والمخالفات.

2- عدم نقض الميثاق

قال الشوكاني – رحمه الله – :" وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ " الذين وثقوه على أنفسهم وأكدوه بالأيمان ونحوها، وهذا تعميم بعد التخصيص؛ لأنه يدخل تحت الميثاق كل ما أوجبه العبد على نفسه كالنذور وغيرها ونحوها، ويحتمل أن يكون الأمر بالعكس فيكون من التخصيص بعد التعميم على أن يراد بالعهد جميع عهود الله، وهي أوامره ونواهيه، التي وصي بها عبيده، ويدخل فى ذلك الالتزامات التي يلزم بها العبد نفسه، ويراد بالميثاق: ما أخذه الله على عباده حين أخرجهم من صلب آدم فى عالم الذَّر المذكور فى قوله سبحانه ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: 172]".(2).

" فلا يخلون بواجبات العهد والتزاماته، ولا ينقضون عهد الإيمان مع ربهم، ولا بالعقود التي يبرمونها مع الناس من بيع وشراء وسائر المعاملات، حتى لا يكونوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان ". (3)

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان ". (4)

" فلا يكون العبد من أولي الألباب، الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها " (5) ؛ لأن هذا الميثاق يقوم على القيام بحق الله تعالى، والقيام بحقوق العباد

---

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3929/8).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج107/3).

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج166/7).

(4) [البخاري، صححي البخاري، (21/1، ح 33)]، و[مسلم، صحيح مسلم، (78/1، ح 108)].

(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (371).

التي أكدها الله سبحانه وتعالى بأمره، وهذا الميثاق هو ميثاق الجماعة، وميثاق العدل الاجتماعي الكامل. (1)

قوله " وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ " تأكيد لما قبله ولازم له ؛ لأن الموفي بالعهد غير ناقض للميثاق، فالعهد هو الميثاق، وقيل الميثاق هو التزام المخلوق بالوفاء بأمر الخالق، والعهد هو أمر الله". (2)

" قال قتادة: إن الله ذكر الوفاء بالعهد والميثاق فى بضع وعشرين موضعاً فى القرآن عناية بأمره واهتماماً بشأنه ". (3)

وخلاصة القول فى ذلك أنه يجب على كل مؤمن تقي أن يوفي بالعهد والميثاق ؛ لأنه عنهم مسئول، وعدم نقضهما لأنه علامة من علامات المنافقين وخصلة من خصلهم، وبنقض العهد والميثاق ينتقل الانسان من دائرة الإيمان ونور الحق إلى دائرة النفاق والعياذ بالله.

3- صلة الرحم ورعاية جميع الحقوق الواجبة لله وللعباد

قال ابن كثير – رحمه الله – :" وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ " من صلة الأرحام والإحسان إليهم، وإلى الفقراء والمحاويج، وبذل المعروف ". (4)

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول " من سره أن يُبسط له فى رزقه، أو يُنسأ له فى أثره، فليصل رحمه ". (5)

وظاهر الآية يشمل كل ما أمر الله بصلته، ونهي عن قطعه من حقوق الله وحقوق العباد ، خصوصاً حقوق الأقارب التي هي صلة الرحم من باب أولي (6) ، " وصلة الرحم تكون ببذل المعروف والإنفاق حسب الاستطاعة " (7) ، " ومنه الإيمان بجميع الكتب والرسل ولا يفرق بين أحد منهم... ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصل قرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات: 10]. بالإحسان إليهم على حسب

---

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3931/8).

(2) الصاوي، حاشية الصاوي (ج1001/3).

(3) حجازي، التفسير الواضح (ج227/2).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج671/2).

(5) [البخاري، صحيح البخاري، (728/2، 1961)]، و[مسلم، صحيح مسلم، (1982/4. ح 2557)].

(6) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج107/3)، حجازي، التفسير الواضح (ج227/2-228).

(7) الصاوي، حاشية الصاوي (ج1000/3).

الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وإفشاء السلام وعيادة المرضى " [1] ؛ " لأن من شأن المؤمن أن يعمّ خيره ويدوم نفعه، ويؤدي واجبه نحو غيره لإرضاء ربه، دون أن يقصد نفعاً مادياً لنفسه أو طمعاً في مال أو جاه أو وظيفة، فإن الله رب العباد هو الميسر للخير والمانع من الشر، والعبد مجرد أداه ووسيلة ". [2]

" ونص على هذا الوصف مع دخوله في الوصفين السابقين للتأكيد، و لئلا يظن ظان أن الوفاء بالعهد مقصور على ما بين الانسان وبين الله تعالى ". [3]

وخلاصة القول أنه يجب على كل مسلم أن يصل كل ما أمر الله بوصلة، من صلة الأرحام، والاحسان إلى الجيران والأقارب والأهل، والمحتاجين والفقراء، والولاء للمؤمنين ونصرتهم في كل زمان ومكان ونحو ذلك، مبتغياً في ذلك إرضاء الله سبحانه وتعالى لا غير.

4- الخوف من الله [4]

قال ابن كثير – رحمه الله – : " وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ " أي فيما يأتون وما يذرون من الأعمال، ويراقبون الله في ذلك" [5] ، " خشية تحملهم على فعل ما وجب واجتناب ما لا يحل " [6] ، " فلا يقطعون رحماً، ولا يقترفون جُرماً، ولا يكتسبون إثماً، إجلالاً لمقام الكبير المتعال يتهيبون الوقوع في المعاصي " [7] ، " ولا يطغون، ولا يظلمون، ولا ينتقصون الناس حقوقهم، فمن خشي الله يتذكره في كل عمل يعمله في ذات نفسه، وفي أهله، وبينه وبين الناس " [8]

" و الخشية خلاصة الإيمان والعلم " [9]، وهي " خوف مقرون بالتعظيم والعلم بمن يخشاه، لذا خصَّ الله العلماء بمزيد من الخشية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28][10]

(1) حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج5/93).
(2) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج2/1162).
(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج7/167).
(4) تم الحديث عن هذا بشكل موسع عند الحديث عن العبادات الواردة في سورة الرعد (عبودية الخوف) صحفة (70).
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج2/671).
(6) الشوكاني، فتح القدير (ج3/108).
(7) تعيلب، فتح الرحمن في تفسير القرآن (ج3/1679).
(8) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج8/3931).
(9) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/165).
(10) الزحيلي، التفسير المنير (ج7/167)، انظر: حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج5/93).

يتبيَّن من هذا أنه يجب على كل مؤمن أن يخشى الله فيما يأتيه، وما يتركه من الأعمال والأقوال والأفعال، وأن يخلص النية والقصد لوجهه تعالى، والخوف والخشية من الله مرتبة العلماء وسمة المقربين من الأتقياء الأنقياء.

5- الخوف من الحساب والعذاب[1]

قال ابن كثير- رحمه الله - فى ذكر صفات المؤمنين حقاً أنهم : " يخافون سوء الحساب فى الدار الآخرة، فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة فى جميع حركاتهم وسكناتهم، وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية".[2]

قال الشوكاني - رحمه الله - : "وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ " وهو الاستقصاء فيه والمناقشة للعبد، فمن نوقش الحساب عذب، ومن حق هذه الخيفة أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا " [3] " لأن الحساب يشمل كل صغير وكبير، ومن خاف الحساب أقبل على الطاعة، وتجنب المعصية " [4] ، " ويلاحظ أن الوصف الرابع إشارة إلى الخشية من الله، وهذا يقتضي خوف الجلال والمهابة والعظمة، وهذا الوصف إشارة إلى الخوف من سوء الحساب ". [5]

" فهم يحذرون أن يواجهوا بذنوبهم يوم يعرضون على ربهم، فهم يتحاشون الخطايا، ويتزودون بخير زاد، ليؤتوا كتبهم بأيمانهم يوم لا يخزي الله النبي والذين معه " [6]، " فهم يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا، ويزنون أعمالهم قبل أن توزن عليهم ؛ لأنهم يخافون الحساب الذي يستقصي كل الأعمال مع المناقشة فى الصغير والكبير ". [7]

" وخوف الحساب يتضمن الإيمان بالبعث والنشور، ولقاء الله تعالى يوم القيامة أولاً، وأنه سيحاسب على ما كان فى الدنيا ثانياً. ويتضمن ترجيح الخوف على الرجاء، وأنه يخشى السوء قبل أن يرجو الثواب ". [8]

---

(1) تم الحديث عن هذا بشكل مفصل فى فصل البعث والنشور عند الحديث عن الأدلة على وجوب الحساب صفحة (214).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج671/2).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج108/3).

(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج167/7)

(5) المرجع السابق (ج167/7).

(6) تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1678/3).

(7) حجازي، التفسير الواضح (ج228/2).

(8) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3931/8).

لذلك تجدر الإشارة إلى أنه يجب على كل مسلم أن يخاف الله عز وجلّ فى كل أعماله وأقواله ؛ لأن الخوف منه تعالى يؤدي إلى شدة الحذر و الخوف من عذابه وعقابه، خوفاً من النار ورجاء فى ثوابه وجنته.

6- الصبر

قال ابن كثير– رحمه الله – : " " وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ" أي عن المحارم والمآثم، ففطموا أنفسهم عنها لله عز وجلَّ ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ". [1]

قال الشوكاني – رحمه الله – : " والمراد بالصبر: الصبر على الإتيان بما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه. وقيل: على الرزايا والمصائب " والأولى حمله على العموم " [2]، ومعنى كون ذلك الصبر لابتغاء وجه الله أن يكون خالصاً له، لا شائبة فيه لغيره " [3] ، " فإن هذا هو الصبر النافع، الذي يحبس به العبد نفسه، طلباً لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، هو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، أما الصبر المشترك، الذي غايته التجلد، ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة ". [4]

" الذين صبروا على الطاعة وعن المعصية، وحال البلاء، ففعلوا الطاعات والتكاليف، وامتنعوا من المعاصي والسيئات أو المنكرات، ورضوا بالقضاء والقدر عند التعرض للمصائب، وكان صبرهم بقصد مرضاة الله عز وجلّ ونيل ثوابه، لا رياء ولا سمعه " [5] ، " وذلك لأن فى الطاعة عز النفس ونجاتها، وفى المعصية الذل والانكسار، والندم والخسران. ويشمل الصبر لوجه الله جميع الأحوال من الرزايا والأسقام والعبادات ". [6]

" وهذه فضيلة عظيمة ومثوبة جليلة تقتضي أن على كل راغب فى ثواب الله، وطامع فيما عنده من الخير أن يتوفر على الصبر ويزم نفسه بزامه، ويقيدها بقيده، فإن الجزع لا يرد قضاء قد نزل، ولا يجلب خيراً قد سلب، ولا يدفع مكروهاً قد وقع نزل، وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره وتعقله حق تعقله علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وظفر

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج671/2).
(2) حسن خان، فتح البيان فى مقاصد القرآن (ج93/5).
(3) الشوكاني، فتح القدير (ج109/3).
(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (371).
(5) الزحيلي، التفسير المنير (ج167/7).
(6) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1162/2).

بهذا الجزاء الخطير، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه، فضم إلى مصيبته مصيبة أخرى ولم يظفر بغير الجزع ". [1]

يتبين من ذلك أنه يجب على مسلم الصبر على طاعة الله، طمعاً فى رضاه وابتغاء ثوابه، والصبر على ترك المعاصي والآثام، خوفاً وخشية من غضبه وعقابه، مما ينعكس هذا إيجابياً على سلوك الفرد فى المجتمع.

7- إقامة الصلاة المفروضة

قال ابن كثير – رحمه الله – : " وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ" بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها، على الوجه الشرعي المرضي " [2]، " فالعقلاء هم الذين يؤدون ما أوجب الله عليهم من الصلاة، كاملة الأركان تامة الشروط والأوصاف، مع خشوع القلب لله، وخضوع النفس لرب العباد " [3]، " والاستحضار العُرفي إن لم يكن الحقيقي، وذلك يكون إذا تذكرت أنك واقف بين يدي الله ؛ وأما جبار السماء والأرض، الواحد القهار " [4]

" فعليك أن تروض نفسك على ذلك وتعودها الوقوف بأدب أمام الله، فلا يشغلك شيء أبداً عن الصلاة، بحيث لا تفكر إلا فيها، يا أخي حاول أن تشعر قلبك بخشية الله، وتملأ نفسك بالخوف منه، وأن تفهم أن الصلاة الناقصة تلف فى خرق بالية وترد على صاحبها، فتظل تدعو عليه إلى يوم القيامة ". [5]

" وإن الصلاة إذا أقيمت ، لقويت النفس، وناجى المؤمن ربه حق المناجاة، وقرب من ربه، وامتلأت نفسه به، وصار قلبه نوراً، وفكره نوراً، واستقامت نفسه وقلبه ". [6]

يتبين مما سبق أنه يجب على كل مسلم ، موحد لله عز وجلّ ، أن يؤدي الصلوات المفروضة عليه فى أوقاتها، مستوفيه شروطها وأركانها وصفاتها، بحيث لا يكون فكره وقلبه متعلق بأمر من أمور الدنيا إلا بها، فنسأل الله تعالى أن يعيننا على إقام الصلاة فى وقتها بشروطها وأركانها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج521/4).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج671/2).
(3) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1162/2).
(4) حجازي، التفسير الواضح (ج229/2).
(5) المرجع السابق (ج229/2).
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3935/8).

8- الإنفاق فى وجوه الخير

قال ابن كثير– رحمه الله – : " وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً " أي على الذين يجب الإنفاق لهم، من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومحاويح ومساكين ". (1)

" والمراد بالسر: صدقة النفل، والعلانية: صدقة الفرض. وقيل: السر لمن لم يعرف بالمال، أو لا يتهم بترك الزكاة، والعلانية لمن يعرف بالمال أو يتهم بترك الزكاة ". (2)

فمن صفات هؤلاء المؤمنين أنهم ينفقون مما رزقهم الله فى السر والعلن بحسب مقتضى الحال، فيسرون النفقة بينهم وبين ربهم، حتى لا تكون قصدهم الرياء والسمعة، ويعلنونها أحياناً للناس إذا كانت بقصد التشجيع والتعليم والقدوة، سواء كان إنفاقاً واجباً ، كالإنفاق على الزوجة والولد والأقارب والفقراء، أو مندوباً كالإنفاق على الفقراء والمساكين والأباعد. (3)

" وإضافة الرزق إلى الله تعالى يقتضى أن يكون حلالاً، ويعتبر ثانياً أن المال مال الله تعالى، فهو الذي رزق، وما تكلف من إنفاق إنما هو مما أعطاك، فقد أعطاك لتنفق، فهو ابتلاك بالمال لتنفقه وتشكر، وابتلى غيرك ليصبر، والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ".(4)

" والواقع هو الذي يفهمنا سر تكرار القرآن لطلب الإنفاق، فلو أنفق الناس بعضاً من أموالهم، وامتثلوا أمر ربهم ما كنا فى حاجة أبداً إلى قانون يحد من تصرفهم، ولما شاعت تلك الأفكار الهدامة التي تقوض صرح مجتمعنا ". (5)

يتبيَّن من ذلك أنه يجب على كل مسلم أن ينفق من بعض المال الذي يملكه فى السر والعلن، سواء كان بأداء الزكاة المفروضة، أو بالتطوع بالصدقات المندوبة فى سبيل الله، وذلك لابتغاء وجه الله ورضوانه، من غير قصد الشهرة والرياء، فالتصدق يزيد فى المال وينميه ويبارك فيه.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج671/2).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج108/3).

(3) الزحيلي، التفسير المنير (168/7).

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3935/8).

(5) حجازي، التفسير الواضح (ج228/2).

9- مقابلة الإساءة بالإحسان

قال ابن كثير– رحمه الله – : " وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ " أي يدفعون القبيح بالحسن، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبراً واحتمالاً وصفحاً وعفواً، كقوله تعالى ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: 34]. ". [1]

وقد ذكر الشوكاني – رحمه الله – كلام جميل فى معنى هذه الآية الكريمة ، وزاد على ابن كثير فى ذلك فقال " أو يدفعون بالعمل الصالح العمل السيء، أو يدفعون الشر بالخير أو المنكر بالمعروف، أو الظلم بالعفو، أو الذنب بالتوبة، ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور ". [2]

" وجملة هذه المعاني تتجه إلى نشر التسامح، ومنع مبادلة السوء بالسوء حتى لا يؤدي ذلك إلى التقاطع والتدابر، وأن يكون بأس المسلمين بينهم شديد، وهذا ما أمر الله تعالى به منعاً للعداوة، فقد قال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: 34]. ". [3]

" والثابت أن المعاملة الكريمة مع المسيء وغيره أفضل وأجدى وأوقع آثراً ؛ لأنها تهون الأمر، وتستل الأحقاد، وتكون عاقبتها أسلم " [4] " فالمؤمن الصادق هو الذي يترفع عن الأخذ بالثأر والانتقام، ويرد السيئة ويدفعها بالحسنة، فيقابل الجهل بالحلم، والأذى بالصبر، والضرر بالنفع، والإساءة بالعفو والصفح وكظم الغيظ ". [5]

يتبيَّن من هذا الكلام أنه ينبغي على كل مسلم التخلق بالأخلاق الطيبة الحسنة فى مواجهة أذى الناس، كالصبر فى وجه الأذى، والحلم فى وجه الجاهل، ودفع الشر بالخير ، والإساءة بالإحسان إلى المسيء وهكذا ؛ لأن ذلك مما أمرنا ديننا الحنيف بامتثاله واتباعه والعمل به، منعاً للتقاطع والتدابر بين الناس.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج671/2).
(2) الشوكاني، فتح القدير (ج108/3).
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3936/8).
(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج168/7).
(5) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1162/2).

ولهذا قال مخبراً عن هؤلاء السعداء أولو الألباب المتصفن بهذه الصفات الحسنة السابقة، بأن لهم العاقبة الحسنة المحمودة ، والسعادة فى الدنيا والآخرة ، ثم فسّر ذلك بقوله " جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا " والعدن الإقامة، أي جنات إقامة يخلدون فيها، " وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ " أي يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين، لتقر أعينهم بهم، حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحساناً من غير تنقيص للأعلى عن درجته، كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الطور: 21] (1)، " وذكر الصلاح دليل على أنه لا يدخل الجنة إلا من كان كذلك من قرابات أولئك، ولا ينفع مجرد كونه من الآباء أو الأزواج ، والذرية بدون صلاح ". (2)

وقوله " وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: 20-24].. (3)

وخلاصة القول فى هذا المبحث أن السورة الكريمة تضمنت بعض الصفات الحميدة، التي يجب على كل مسلم أن يتصف بها، والتي تكون مقتضيه لإنعامه و إكرامه فى الدنيا والآخرة، وهي الوفاء بالعهد وعدم نقض الميثاق، وصلة الأرحام والإحسان إلى الأهل والأقارب، والخوف من الله وعذابه، والصبر على الطاعات والمعاصي، وإقام الصلاة مستكملة شروطها وأركانها وصفاتها، والإنفاق فى وجوه الخير، ومقابلة السيئة بالحسنة والعفو عند المقدرة. فإن المتصفن بهذه الصفات، جزائهم عند ربهم جنات عدن، يدخلونها هم وصالحوا المؤمنين من آبائهم وأجدادهم وذرياتهم، يمرحون ويسرحون و يتنعمون بنعيمها وخيراتها ، وتدخل عليهم الملائكة من كل باب تحييهم وترحب بهم وتسلم عليهم، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، من الذين اتصفوا بهذه الصفات والأخلاق الحميدة النبيلة.

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج672/2).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج109/3).

(3) تم التحدث عن هذه الآية بشكل موسع عند الحديث عن الأعمال الموكل بها الملائكة (الدخول على أهل الجنة والتسليم عليهم) صفحة (286).

المبحث الثاني
الأشقياء [1] من الكفار

أ. الكفر فى اللغة:

قال ابن فارس – رحمه الله – : " الكاف والفاء والراء، أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطي درعه بثوب: قد كفر درعه ". [2]

" وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه، وقال الليث: يقال إنما سُمي الكافر كافراً ؛ لأن الكفر غطى قلبه كله ". [3]

ب.الكفر فى الاصطلاح:

والكفر هو ما يُضاد التوحيد والإيمان " وهو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب، أو استكبار، أو إباء، أو إعراض ؛ فمن لم يحصل فى قلبه التصديق والانقياد فهو كافر ". [4]

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى حال وصفات السعداء وجزائهم الذي أعده لهم فى جنات عدن، أتبعه بذكر ما يقابلهم من ذكر حال وصفات الأشقياء الضَّالين العاصين لأمره، وما هيأه لهم من صنوف وألوان العذاب فى الآخرة، فأتبع الوعد بالوعيد، والثواب بالعقاب ، كعادة القرآن فى الموازنة والمقابلة بين أهل الحق وأهل الباطل ؛ ليكون ذلك أدعى إلى الامتثال والعمل الصالح.

قال سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: 25].

فقد وصفهم فى هذه الآية الكريمة بثلاث صفات وهي:

1- نقض العهد

قال ابن كثير – رحمه الله – : " " هذا حال الأشقياء وصفاتهم، وذكر ما لهم فى الأخرة، ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم فى الدنيا،

---

(1) الشقاء والشقاوة بالفتح ضد السعادة، يمد ويقصر شقي يشقي شقا وشقاء وشقاوة وشقوة وشقوة. انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج2304/4).

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج191/5).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج3898/5).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (639/7).

فأولئك كانوا يوفون بعهد الله، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، وهؤلاء " يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ " [1] ، " أي من بعد ما أكده عليهم على أيدي رسله، وغلظ عليهم، فلم يقابلوه بالانقياد والتسليم، بل قابلوه بالإعراض والنقض ". [2]

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان ". [3]

" وعهد الله تعالى بدهي تدركه البديهة السليمة ؛ لذا سُمي دين التوحيد، فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها. وهي إدراكها حقيقة، حتى إن بعض العلماء المسلمين قال: إن إدراك الله تعالى تدركه البديهة السليمة ؛ لذا سُمي دين التوحيد، فطرة الله التي فطر الناس عليها ". [4]

" ولم يترك الناس بعد هذا العهد الذي أخذ بمقتضى الفطرة، بل وثَّقه بميثاق، ولذا قال تعالى " مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ " وهذا الميثاق الذي وثَّق به الرسل الذين أرسلهم مبشرين ومنذرين ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [الرعد: 24] " [5]

" ونقض العهد: بألا ينظر فى الأدلة الدالة على وجود الله وتوحيده أصلاً، أو بأن ينظر فيها ويعلم بصحتها ثم يعاند، فلا يعمل بعمله، أو بأن ينظر فى الشُبهة، فيعتقد خلاف الحق " [6]، " ونقضه عدم العمل به عناداً وكفراً من بعد ميثاقه وتوكيده، وإلزامهم به عن طريق العقل والطبع والشرع والنقل ". [7]

يتبين من هذا تحريم نقض عهد الله الذي ألزم العباد به ، وأمرهم بفعله، وأوجب الوفاء به، سواء بالعهد الذي يكون بينه وبين الله عز وجلَّ، أو فيما يتعلق بحقوق الناس.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج673/2).

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (372).

(3) سبق تخريجه عند التحدث عن صفات المؤمنين " الوفاء بالعهد " ، صفحة 298.

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3940/8).

(5) المرجع السابق (ج3940/8).

(6) الزحيلي، التفسير المنير (ج173/7).

(7) حجازي، التفسير الواضح (ج230/2).

2- قطع ما أمر الله به أن يوصل

" أي قطع كل ما أوجب الله وصله، من الإيمان به وبرسله، وقطع الرحم والقربات، وعدم صلة المؤمنين وسائر أصحاب الحقوق وعدم التعاون معهم ". [1]

" فلا يوادون رحماً، ولا يألفون مؤمناً، ولا يؤدون لذي الحق حقه ". [2]

" فالكفر وعدم الإيمان بجميع الرسل، وقطع الرحم والأخوة، ومنع المساعدات التي يوجبها الوطن والضمير الإنساني فى كل ذلك قطع لما وصله الله وأمر به ". [3]

وخلاصة هذا أنه ينبغي لكل مسلم أن يصل كل ما أمره الله تعالى بوصلة، من صلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء والمساكين والمحتاجين، ونصرة المسلمين والولاء لهم فى كل زمان ومكان، ومد يد العون لهم، وعدم قطعهم وخذلانهم، لأن قطع المسلمين وخذلهم يترتب عليه غضب الله تعالى وعقابه الأليم.

3- الإفساد فى الأرض

إضافة إلى ما سبق من صفات الأشقياء، أنهم يفسدون فى الأرض بأعمالهم الخبيثة، ويدعون إلى غير ما أمر الله سبحانه، ويدعون إلى غير دين الله، ويعملون على تخريب البلاد والعباد بما يثيرونه من البدع والفتن والضلالات.

قال الشوكاني- رحمه الله - : " وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ " بالكفر وارتكاب المعاصي والإضرار بالأنفس والأموال " [4]، " والظلم والجور، والدعوة إلى غير دين الله، وخيانة الأمانة، وتخريب الديار، وإفساد الأخلاق، وإثارة الفتن والضلالات، وإيقاد نيران الحروب ظلماً وعدوناً " [5]، ويسعون جاهدين فى إهلاك الحرث والنسل، وإشاعة الفاحشة والمنكر، والخيانة والغدر وتهييج الفتن وإيقاد نار الحرب بين المسلمين ، وتطبيق شرائع الجاهلية والصَّد عن سبيل الله [6]

(1) الزحيلي، التفسير المنير (ج172/7).
(2) تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1680/3).
(3) حجازي، التفسير الواضح (ج230/2).
(4) الشوكاني، فتح القدير (ج109/3).
(5) الزحيلي، التفسير الوسيط (ج1164/2).
(6) انظر: تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1680/3).

" الفساد فى الأرض ألا يقوم فيها النظام الاجتماعي على التكافل بين الآحاد، ومعاونة بعضهم ، وألا يستعلي قوي على ضعيف، وألا يندغم الضعفاء فى الجماعة، وألا يراعى لهم حق، وأن يكون التفاوت بين الآحاد، وألا يكون ضابط يحمي الضعفاء من الأقوياء والأغنياء من الفقراء، وأن يسود الظلم من الحكام لرعاياهم، فإن ذلك فساد أي فساد، وقد رأينا حكاماً ظالمين يقتلون الرعية بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.... ". [1]

إذن الفساد فى الأرض له أشكال ومظاهر متعددة، منه الشرك بالله تعالى والمعاصي، والإضرار بالنفس والعقل والمال والنَّسل، إضافة إلى الإضرار بالأخرين، وهذا ما حرمه الاسلام، وتوعد فاعله بالعذاب الشديد يوم القيامة أعاذنا الله.

ثم أبان سبحانه وتعالى ما يستحق هؤلاء الأشقياء الكفار أصحاب هذه الصفات من اللعنة والعذاب فقال " أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ " [الرعد: 25].

" أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ " وهي الطرد و الإبعاد عن الرحمة سبحانه ، " وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ " وهي سوء عاقبة دار الدنيا وهي النار أو عذاب النار [2] [3]، كما قال تعالى سابقاً فى نفس السورة ﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ [الرعد: 18] ، إضافة إلى ذلك أن " لهم المنقلب البئيس، والمثوى السيء ؛ أو تكون فى مقابلة ما وعد به أهل الإيمان وحسن الخلق ؛ أي للمفسدين سوء عاقبة ما اجترحوه فى دنياهم، يجزون بالسوء سوءاً ". [4]

" اللعنة هي الطرد، وفد ذكرت غير مقيدة، فإنها فى الدنيا أو الآخرة، أما لعنتهم فى الدنيا فالمقت الشديد والبغض والكراهية، وسوء الأحدوثة، واقتران حياتهم بالخوف من الناس، والاضطراب النفسي حتى يموتوا بغيظهم، وسوء الحديث عنهم تتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل". [5]

---

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3940/8).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج673/2).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج109/3).

(4) تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1680/3).

(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3941/8).

وخلاصة القول فى هذا المبحث أن هؤلاء الناقضين لعهد الله، الذين لا يخافون الله ولا يرهبوه ولا يخشون حسابه، القاطعون لصلة الأرحام، المفسدون فى الأرض بإهلاك الحرث والنسل والمال، المضرين بغيرهم من الناس، الذين ينشرون الفتن والرذائل بين الناس، جزاؤهم عند ربهم اللعنة والطرد من رحمته وسوء الدار والعاقبة والمنقلب فى الدنيا والأخرة، بما اجترموه وارتكبوه من الشرور والآثام، أعاذنا الله منهم ومن أفعالهم.

المبحث الثالث

صفات اليهود فى سورة الرعد

أ. اليهود فى اللغة:

اليهود اسم أطلق على بني إسرائيل، وهو فى اللغة مأخوذ من معانٍ عدة، ومنها:

1- الهود التوبة، هاد يهود هودا، وتهود تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، قال أعرابي إني امرؤ من مدحه هائد، وقال تعالى ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 156]. أي تبنا إلبك. (1)

2- " الهوادة اللين وما يرجي به الصلاح بين القوم ". (2)

3- " يهود اسم للقبيلة، وقيل إنما اسم هذه القبيلة يهوذ، فعرب بقلب الذال دالاً، هوداً جمعاً واحده هائد، وجمع اليهودي يهود كما يقال فى المجوسي مجوس، وفى العجمي والعربي عجم وعرب ". (3)

4- " والتهود الإبطاء فى السير واللين والترفق، والتهويد المشي الرويد، مثل الدبيب ونحوه، وأصلة من الهوادة والتهويد السير الرفيق ". (4)

ب.اليهود فى الاصطلاح:

" هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام، وقد وردت تسميتهم فى القرآن الكريم بـ قوم موسى، وبني إسرائيل نسبة إلى يعقوب عليه السلام، وكذلك أهل الكتاب، واليهود". (5)

يخبر جلّ وعلا فى سورة الرعد عن صفة المؤمنون بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، بحيث أنهم يفرحون عندما ينزل قرآن يدل على صدقه والبشارة به ؛ لكون ذلك يوافق ما جاء فى كتبهم ومصدقاً له.

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: 36].

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج4718/6)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج285/1).

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج4718/6).

(3) المرجع السابق (ج4718/6).

(4) المرجع نفسه (ج4718/6).

(5) الخلف، دراسات فى الأديان اليهودية والنصرانية (ج45/1-46).

قال ابن كثير – رحمه الله – يقول تعالى " وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ " وهم قائمون بمقتضاه، " يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ " أي من القرآن، لما فى كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، كما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾، [البقرة: 121]، وقال تعالى ﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْ ﴾ [الإسراء: 107]. إلى قوله ﴿ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴾ [الاسراء: 108]، أي إن كان ما وعدنا الله به فى كتبنا من إرسال محمد – صلى الله عليه وسلم – لحقاً وصدقاً ومفعولاً لا محالة وكائناً، فسبحانه ما أصدق وعده، فله الحمد وحده ". [1]

قال الدكتور وهبه الزحيلي – رحمه الله – فى قوله " وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ" يعني المسلمين من أهل الكتاب، كعبد الله ابن سلام [2] وأصحابه من مؤمني اليهود، ومن آمن من النصارى، وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران، وثمانية باليمن ، واثنان وثلاثون بالحبشة، أو عامتهم، فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ". [3]

" وإن سياق هذا فى هذا المقام يدل على أن الإيمان الصادق ليس مطلوباً من المشركين فقط، بل منهم ومن أهل الكتاب، وأن أهل الكتاب كان ينبغي أن يؤمنوا لمعرفتهم السابقة به ؛ ولأنهم كانوا يفرحون به عندما توقعوا مجيئه قريباً، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ". [4]

كما وتناولت هذه الآية الكريمة صفات اليهود الجاحدين المنكرين بشارة النبي – صلى الله عليه وسلم – ؛ لأنهم رفضوا أن يكون النبي من غيرهم من العرب.

قال الشوكاني – رحمه الله – فى تفسير قوله : " ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ ﴾ من لم يسلم من اليهود والنصارى، أو يكون المراد به: البعض من أهل الكتابين، أي من أحزابهما فإنهم أنكروه لما يشتمل عليه من كونه ناسخاً لشرائعهم، فيتوجه فرح من فرح به منهم إلى ما هو موافق لما فى الكتابين، وإنكار من أنكر منهم إلى ما خالفهما ". [5]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج682/2).

(2) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف، صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة. انظر: الزركلي، الأعلام (ج90/4).

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج194/7).

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3963/8).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج120/3).

" وكيف تختلفون بين مصدق ومكذب ؟ وهناك أساس واحد هو الذي يحتاج إليه المرء ليفوز بالسعادة، وهو ما أمر الله به نبيه فقال: قل يا محمد: إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به شيئاً، إليه وحده أدعو وإليه وحده مآبي ومرجعي، فهذا هو التوحيد الخالص الكامل، وتلك الرسالة بإيجاز، دعوى إلى الله فقط وطاعة وإخلاص وعبادة واستعانة بالله وحده، وأما المرجع والمآب والحساب والجزاء فإليه وحده أيضاً ". (1)

فيتضح مما سبق أن التوراة والكتب السماوية السابقة بشرت بسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم –، ولكن اليهود كتموا ذلك، يقول صاحب كتاب موقف اليهود من الرسالة والرسول " وإنه لنبأ عظيم يشهد بأن بني إسرائيل قد جاءهم الخبر اليقين بالنبي الأمي منذ أمد بعيد، على يدي موسى ونبيهم عيسي – عليهما السلام – ". (2)

لكن اليهود كتموا ذلك الحق، وأعلنوا الحرب والعداوة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقال صاحب كتاب موقف اليهود من الرسالة والرسول " إنها الجريمة عن علم وبينة، الجريمة التي لم يألوا فيها جهداً، فقد سجل التاريخ أن بني اسرائيل كانوا ألأم خلق وقف لهذا النبي والدين الذي جاء به... وأن الحرب التي شنوها على هذا النبي ورسالته والمؤمنين كانت حرباً خبيثة ماكرة لئيمة وقاسية، وأنهم أصروا عليها، ودأبوا وما زالوا يصرون ويدأبون ". (3)

كما ويتضح أن اليهود – عليهم لعائن الله – كانوا على علم ودراية بمبعثه صلى الله عليه وسلم، ولكن كانوا يتوقعون أن يبعث النبي منهم، فلما بعث من العرب ، حسدوهم على ذلك، وأضمروا لهم الشر، وكفروا بمحمد وأنكروا أن يكون هو النبي الذي ذكروه.

قال سعد المرصفى : " والذي حملهم على هذا كله هو حسدهم لخاتم النبيين، أن يختاره الله للرسالة التي انتظروها فيهم، وحقدهم لأن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ". (4)

ثم يضيف قائلا : " وهذه الطبيعة التي تبدوا – هنا – فى اليهود، هي الطبيعة الكنود، طبيعة الأثرة الضيقة التي تحيا فى نطاق من التعصب شديد، وتحس أن كل خير يصيب سواها

---

(1) حجازي، التفسير الواضح (ج239/2).

(2) المرصفى، موقف اليهود من الرسالة والرسول (ج13/1).

(3) المرجع السابق (ج14/1).

(4) موقف اليهود من الرسالة والرسول (ج84/1).

كأنما هو مقتطع منها، ولا تشعر بالوشيجة الإنسانية الكبرى، التي تربط البشرية جميعاً، وهكذا شأن اليهود فى كل زمان ومكان ". [1]

أما عن الآية الثانية التي تتحدث عن صفة اليهود المنكرين المكذبين بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – هي قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: 43].

قال ابن كثير– رحمه الله – فى بيانها : " يقول تعالى: يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون: " لَسْتَ مُرْسَلًا" أي ما أرسلك الله " قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ " أي حسبي الله هو الشاهد على وعليكم. شاهد على فيما بلغت عنه من الرسالة، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان...

وقوله " وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ " اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد – صلى الله عليه وسلم – ونعته فى كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به، كما قال تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: 156–157]. "[2]، " وقد كان المشركون من العرب يسألون أهل الكتاب، ويرجعون إليهم فأرشدهم الله سبحانه فى هذه الآية إلى أن أهل الكتاب يعلمون ذلك ". [3]

وخلاصة القول فى ذلك أن أهل الإيمان والسعادة من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وغيره، يفرحون إذا بشرت التوراة والإنجيل بخاتم النبيين، فيؤمنون ويصدقون بذلك ؛ لأن ذلك موافق لما بُشروا به فى كتبهم ، وكان بعضاً من أهل الكتاب يكفرون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من البشارة جحوداً وإنكاراً ؛ لأنهم كانوا ينتظرون أن يكون منهم ، فجاء الأمر الإلهي له بأن يعبده ويتوكل عليه ، وألا يتأثر بما يثيرونه من الشُبة والضلالات، وأن المرجع والمآب إلى الله فيحاسبهم على ما كانوا يفعلون.

---

(1) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج687/2).
(3) الشوكاني، فتح القدير (ج125/3).

الفصل السادس
المثل القرآنـي

الفصل السادس

المثل القرآني

المثل فى القرآن الكريم له وقعه على النفس ؛ لأن فيه العبرة والعظة، والحث والزجر، وتقريب الصورة، وتصوير المعاني، وأثبت فى الذهن، بحيث أنه يبرز المعقول فى صورة المحسوس.

كما أنه له دور كبير فى تقرير قضايا الإيمان بالله من خلال ما يضربه القرآن من أمثلة يبين فيها الحق والباطل، والإيمان والكفر ونحو ذلك.

إضافة إلى ذلك فإنها تسهم فى إبراز الحقائق الإيمانية من خلال أسلوبها المتميز الفعال فى تشخيص الحقائق والإقناع.

أ. المثل لغة :-

قال ابن فارس – رحمه الله – : " الميم والثاء واللام أصل صحيح، يدل على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال فى معنى واحد... والمثلات من هذا أيضاً. قال الله تعالى ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾ [الرعد: 6]. ". [1]

قال ابن كثير– رحمه الله – فى تفسيره لهذه الآية :" أي قد أوقعنا نقمتنا بالأمم الخالية وجعلناهم عبرة وعظة لمن اتعظ بهم ". [2]

كما جاء فى لسان العرب " المثل كلمة تسوية، يقال: هذا مثله ومثله، كما يقال: شبه وشبهه بمعنى، قال ابن بري – رحمه الله – : الفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة تكون بين المختلفن فى الجنس والمتفقين ؛ لأن التساوي هو التكافؤ فى المقدار، لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا فى المتفقين،... والمثل الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعله مثله " [3] ،

قال الشوكاني – رحمه الله – " والمثل المراد به الصفة كما فى قوله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ [الرعد: 35] أي صِفة الجنة ". [4]

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج296/5-297).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج659/2).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج4132/6).

(4) الشوكاني، بحث عن تفسير قوله " ثم جعلناه نطفة "، (ج1268/3).

وقال الشوكاني – رحمه الله – عند شرحه لهذه الآية : " أي صفتها العجيبة الشَّأن، التي هي فى الغرابة كالمثل. قال ابن قتيبة: المثل الشبه فى أصل اللغة، ثم يصير بمعنى صورة الشيء وصفته " [1]، " فإن ضارب المثل يُشبه حالاً بحال وقصة بقصة ". [2]

وجاء فى تاج العروس " المثل بالكسر والتحريك، كأمر الشبه، يقال هذا مثله ومثله، كما يقال شبه وشبهه... والمثال بالكسر: المقدار، وهو من الشبة والمثل جعل مثلاً أي مقداراً لغيره يحذى به، والجمع أمثلة ومثل ". [3]

وعرفه صاحب مختار الصحاح " مثل كلمة تسوية، يقال هذا مثله ومثله، كما يقال: شبه وشبهه، والمثل ما يضرب من الأمثال، ومثل الشيء أيضا بفتحتين ". [4]

إذن يتبين من خلال ذلك أن المثل فى اللغة بمعنى نظير الشيء وشبهه وصفته، المساوي له.

ب.المثل اصطلاحاً:-

تعددت أقوال العلماء فى تعريف المثل

فقد عرفه ابن عبد ربه [5]– رحمه الله – بأنه : " وشي الكلام وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، والتي تخيّرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان. فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسرِ شيء مسيرها، ولا عمّ عمومها، حتى قيل: أسير من مثل ". [6]

وعرفه المبرد [7] بأنه قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، مأخوذ من المثال، والأصل فيه التشبيه. [8]

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج118/3).

(2) المرجع السابق (ج215/3).

(3) الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج680/15).

(4) الرازي، مختار الصحاح (ج642/1).

(5) أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم، أبو عمر: الأديب الإمام صاحب العقد الفريد، من أهل قرطبة. انظر: الزركلي، الأعلام (ج207/1).

(6) بن عبد ربه، العقد الفريد (ج3/3).

(7) تقدمت ترجمته صفحة (76).

(8) المبرد، الكامل فى اللغة والأدب (ج57/1).

وعرفه آخرون بأنه " ما ترضاه العامة والخاصة فى لفظة ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وقنعوا به فى السراء والضراء، ووصلوا به إلى المطالب العصية، وهو أبلغ الحكمة ". (1)

وعرف الشوكاني – رحمه الله – الأمثال فى فتح القدير بأنها : " الأقوال النادرة والاقتراحات الغريبة ". (2)

إذن يتبيَّن مما سبق أن المثل هو قول سائر موجز، قيل فى حادث معين، فاستحسنه العامة، وأصبحوا يرددونه على ألسنتهم فى حوادث مشابهة.

و"المثل فى القرآن: هو إبراز المعنى فى صورة رائعة موجزة، لها وقعها فى النفس، سواء أكانت تشبيهاً أو قولاً مرسلاً ".

فابن القيم – رحمه الله – يقول فى أمثال القرآن بأنها : " تشبيه شيء بشيء فى حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الأخر واعتبار أحدهما بالآخر، كقوله تعالى فى حق المنافقين ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 17–20]. فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلاً نارياً ومثلاً مائياً لما فى الماء والنار، من الإضاءة والإشراق والحياة، فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمناً لحياة القلوب واستنارتها ولهذا سماه روحاً ونوراً، وجعل قابليه أحياء فى النور ومن لم يرفع به رأساً أمواتاً فى الظلمات، وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد ناراً لتضيء له وينتفع بها...

ولم يقل نارهم ، فإن النار فيها الإضاءة والإحراق، فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وتركهم فى ظلمات لا يبصرون فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل فى الإسلام ثم فارقه بقلبه لا يرجع إليه ". (3)

---

(1) السيوطي، المزهر فى علوم اللغة وأنواعها (ج374/1).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج74/4).

(3) ابن الجوزية، الأمثال فى القرآن (ج9/1).

المبحث الأول

أهمية المثل فى تقرير العقيدة

أمثالُ القرآن هي الحقائق السامية فى معانيها وأهدافها ، تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت فى قالب حسي يقربها إلى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني، والتمثيل هو القالب الذي يبرز المعاني فى صورة حيَّة تستقر فى الأذهان، بتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس، وقياس النظير على النظير، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالاً، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له، واقتناع العقل به، وهو من أسإلىب القرآن الكريم فى ضروب بيانه ونواحي إعجازه. (1)

قال العلامة الشوكاني – رحمه الله تعالى – : " قد تقرر أن لضرب الأمثال شأناً عظيماً، فى إبراز خفيات المعاني، ورفع أستار محجبات الدقائق، ولهذا استكثر الله من ذلك فى كتابه العزيز، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكثر من ذلك فى مخاطباته ومواعظه".(2)

وتظهر أهمية ضرب الأمثال فى إبراز الجانب العقدي من خلال ما جاء فى سورة الرعد، كما فى قوله جلّ ثناؤه ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ [الرعد: 17].

حيث اشتملت هذه الآية على مثليّن للحق وهو القرآن أو الإيمان فى ثباته وبقائه ونفعه، والباطل وهو الكفر فى بطلانه واضمحلاله وفنائه.

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق فى ثباته وبقائه، والباطل فى اضمحلاله وفنائه، فقال تعالى " أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً " أي مطراً " فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا " أي أخذ كل وادٍ بحسبه، فهذا كبير وسع كثيراً من الماء، وهذا صغير وسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علما كثيراً، ومنها من لا يتسع

(1) انظر: القطان، مباحث فى علوم القرآن (ج290/1).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج55/1).

لكثير من العلوم بل يضيق عنها، " فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ " أي فجاء على وجه الماء الذي سال فى هذه الأودية زبد عالٍ عليه، هذا مثل ". [1]

وقوله " وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ " هذا هو المثل الثاني، وهو ما يسبك فى النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية، أي ليجعل نحاس أو حديد، فيجعل متاعاً، فإنه يعلوه زبد منه كما يعلو ذلك زبد منه، " كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ " أي إذا اجتمعا، لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يُسبك فى النار، بل يذهب ويضمحل، ولهذا قال " فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ " أي لا ينتفع به بل يتفرق ويتمزق، ويذهب فى جانبي الوادي، ويعلق بالشجر، وتنسفه الرياح، وكذلك خَبث الذهب والفضة والحديد والنحاس، يذهب ولا يرجع منه شيء ولا يبقى إلا الماء، وذلك الذهب ونحوه ينتفع به ". [2]

"﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ أي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الله الأمثال فى كل باب، لكمال العناية بعباده واللطف بهم " [3]، " وقال بعض السَّلف: كنت إذا قرأت مثلاً من القرآن فلم أفهمه، بكيت على نفسي ؛ لأن الله تعالى يقول " وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ [العنكبوت: 43]، " [4]، " فمثل ذلك التشبيه يسوق الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ؛ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون، فإنه الوعد الحق من الله، الحق أن يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ". [5]

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله – : " واعلم أن وجه المماثلة بين الزبدين فى الزبد الذي يحمله السيل، والزبد الذي يعلو الأجسام المنطرقة، أن تراب الأرض لما خالط الماء وحمله معه صار زبداً رابياً فوقه، وكذلك ما يوقد عليه فى النار حتى يذوب من الأجسام المنطرقة، فإن أصله من المعادن التي تنبت فى الأرض فيخالطها التراب، فإذا أذيبت صار ذلك التراب الذي خالطها خبثاً مرتفعاً فوقها". [6]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج669/2).
(2) المرجع السابق (ج669/2).
(3) الشوكاني، فتح القدير (ج104/3).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج669/2).
(5) تعيلب، فتح الرحمن فى تفسير القرآن (ج1675/3).
(6) الشوكاني، فتح القدير (ج104/3).

" وما ضرب هذا المثل الرائع إلا لخير الإنسان، الذي عليه أن يقدر مآل أمره، وما ينتظره من سعادة وشقاوة فى المعاد، فإذا كان يوم القيامة وعرض الناس وأعمالهم على ربهم، فيزيغ الباطل ويتلاشى، وينتفع أهل الحق بالحق " [1]

وخلاصة القول فى ذلك أن الباطل وإن ظهر على الحق فى بعض الأحوال، فإن الله سبحانه سيمحقه ويبطله، ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]، ويجعل العاقبة للحق وأهله ، فهو كرغوة الماء وغثاء السيل الذي يضمحل ويتبدد فوراً، وهو عديم النفع سريع الزوال ، وكخبث هذه الأجسام فإنه وإن علا عليها فإنه يستبعد ويُلقى جانباً، فهذا مثل الباطل ، وأما الماء الذي ينتفع به العباد وينبت المراعي فإنه يمكث ويثبت فى الأرض، وكذلك الصفو من هذه الأجسام فإنه يبقى خالصاً لا شوب فيه وهو مثل الحق.

فالقرآن الكريم هنا يُجسد الحق ونور الإيمان بإحياء القلوب، كما يحيي الأرض بعد موتها، وكما ينفع المعدن الصافي النقي الناس فى منافع كثيرة، أما الكفر والضلال فهو عديم النفع والفائدة، يزول ويتبدد على الفور.

أما عن قوله جل وعلا ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: 14] [2]

أي الآلهة الذين يدعونهم يعني – الكفار – من دون الله عز وجلَّ لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه منهم، كائناً ما كان، إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد، فإنه لا يجيبه، " لا يستجيبون لهم بشيء، ولا ينفعونهم فى أشد الأوقات إليهم حاجة ؛ لأنهم فقراء كما أن من دعوهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، وما لهم فيها من شرك، وما له منهم من ظهير " [3] ، فهم عاجزون عن ذلك وهم أعجز عما فوقه " والمقصود من الجملة الكريمة نفى استجابة الأصنام لما يطلبه المشركون منها نفياً قاطعاً " [4] ؛ لأنه جماد لا يشعر بحاجته إليه، ولا يدري أنه طلب منه أن يبلغ فاه وما الماء ببالغ فيه. [5]

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير (ج160/7).

(2) تم التحدث عن هذه الآية بشكل مفصل عند الحديث عن نواقض توحيد الألوهية، تحت بند صرف شيء من العبادات لغير الله سبحانه وتعالى صفحة (100).

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (369).

(4) الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج41/11).

(5) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج100/3).

"حتى يتمزع عنقه ويهلك عطشاً " [1]، " فكذلك لا ينفعهم ما كانوا يعبدون من دون الله " [2] " فيذهب سعيه، وتعبه باطلاً ". [3]

قال ابن كثير – رحمه الله –: "ومعنى هذا الكلام أن الذي يبسط يده إلى الماء إما قابضاً وإما متناولاً له من بعد، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل فيه الذي جعله محلاً للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلها غيره، لا ينتفعون بهم أبداً فى الدنيا ولا فى الآخرة". [4]

قال الشوكاني – رحمه الله – : "أعلم الله سبحانه أن دعائهم الأصنام كدعاء العطشان إلى الماء يدعوه إلى بلوغ فمه ، وما الماء ببالغه. وقيل: المعنى: أنه كباسط كفيه إلى الماء يدعوه إلى بلوغ فمه، وما الماء ببالغه. وقيل: المعنى: أنه كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه فلا يحصل فى كفه شيء منه " [5]، " والتشبيه تشبيه تمثيلي، فيه تشبيه حال بحال، ففيه حال من يدعو ما لا يضر ولا ينفع ولا يجيب، ولا يدرك معنى الطلب أو العبادة، بحال العطشان الذي أَمَّضَّه العطش، فيطلب من الماء أن يرتفع إلى فمه إذا بسط يده، ومد أنامله إليه على قرب أو بعد، فإن الماء لا يجيء إليه ولا يستطيع أن يتناول منه بهذه الطريقة ما ينقع غلته ويطفئ ظمأه" [6]، " ويلاحظ ما عليه هذا التشبيه من واقعية ومن بسط الكفين كما يبسطها الداعي إلى الله" [7]

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي– رحمه الله – : " وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله، بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة ؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون فى نفى الشيء كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ﴾ [الأعراف: 40] ". [8]

---

(1) السيوطي، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور (ج101/4).
(2) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج109/13).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج667/2).
(5) الشوكاني، فتح القدير (ج100/3).
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3916/7).
(7) الزحيلي، التفسير المنير (ج146/7).
(8) السعدي، تيسر الكريم الرحمن (369).

" وهذا مثل ضربه الله للدعاة من أهل الأهواء والبدع، يدعون الخلق إلى الله لغير الله، فلا يستجيبون على الحقيقة، وإن استجابوا فى الظاهر ؛ لأنهم استجابوا لهم على الضلال يدل على ذلك قوله " وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ " [1] " أي يضل عنهم ذلك الدعاء، فلا يجدون منه شيئاً، ولا ينفعهم بوجه من الوجوه، بل هو ضائع ذاهب ". [2]

وخلاصة القول فى ذلك أن الذين يدعون من دون الله من الأصنام والأوثان، لا يجيبونهم إطلاقاً، ولا يسمعون لهم دعاءً ولا نداءً، وما استجابتهم إلا كاستجابة الماء لمن بسط كفيّه إليه من بعيد، طالباً منه الوصول إلى فمه وهو عطشان، والماء جماد لا يعقل ولا يشعر به، وليست عبادة الكافرين الأصنام إلا فى ضياع ؛ لأن دعائهم غير مجاب لأنهم مشركون، وبناءً على ذلك تكون إجابة الأصنام لهم من المحال.

إضافة إلى ما سبق من أهمية ضرب الأمثال فى القرآن الكريم ، أنها تتعلق بأشرف وأجلّ العلوم وهو توحيد الله عز وجلّ.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله - : " وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال، بحيث إن كل سورة فى القرآن ففيها الدلالة على هذا التوحيد، ويسمى هذا النوع توحيد الإلهية ؛ لأنه مبني على إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله وحده ". [3]

قال الشوكاني –رحمه الله تعالى– : " ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: 58]، أي: من الأمثال التي تدلهم على توحيد الله، وصدق رسله، واحتججنا عليهم بكل حجة تدل على بطلان الشرك ". [4]

وقال فى موضع أخر: " ﴿ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: 25]، يتفكرون أحوال المبدأ والمعاد، وبديع صنعه سبحانه الدالة على وجوده ووحدانيته، وفى ضرب الأمثال زيادة تذكير وتفهيم وتصوير للمعاني ". [5]

---

(1) البروسوي، روح البيان (ج375/4).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج101/3).

(3) ابن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ج21/1).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج268/4).

(5) المرجع السابق (ج128/3).

" فإن فى ضرب الأمثال تقريباً للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبيَّن المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه ، فلله أتمّ الحمد وأكمله وأعمه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، فى قلب المؤمن ". [1]

ومما يؤكد على أهمية موضوع ضرب الأمثال أنه يعني بأسلوب طالما اعتني به العرب، لما له من أثر فى إيضاح المعاني، وتقريبها فى ذهن السامع، مما يؤدي إلى سرعة الفهم، ووضوح الأمر.

قال الماوردي – رحمه الله – [2] : " وللأمثال من الكلام موقع فى الأسماع، وتأثير فى القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها ؛ لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وامقه، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال فى كتابه العزيز، وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه ؛ لأنها فى العقول معقولة، وفى القلوب مقبولة ". [3]

قال الشوكاني – رحمه الله – : " ويضرب الله الأمثال للناس أي يبيِّن الأشياء بأشباهها ونظائرها تقريباً لها إلى الأفهام وتسهيلاً لإدراكها ؛ لأن إبراز المعقول فى هيئة المحسوس وتصويره بصورته يزيده وضوحاً وبياناً، والله بكل شيء عليم لا يغيب عنه شيء عنه شيء من الأشياء معقولاً كان أو محسوساً، ظاهراً أو باطناً ". [4]

فبالأمثال تتضح الحقائق وتعرف الأمور وتنقطع الحجج، وهذا عام فى الأمثال التي يضربها الله فى تقريب الأمور المعقولة بالمحسوسة. وفى الإخبار بما سيكون ، وجلاء حقيقته حتى كأنه وقع.[5]

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج425/1).

(2) هو على بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد فى البصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء فى بلدان كثيرة، ثم جعل " أقضى القضاة " فى أيام القائم بأمر الله العباسي. انظر: الزركلي، الأعلام (ج327/4).

(3) الماوردي، أدب الدنيا والدين (ج285/1).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج40/4).

(5) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج645/1).

ومما يزيد الأمر أهمية: أن الله عز وجلّ قد امتدح من عقل الأمثال الواردة فى كتابه الكريم، قال جلّ شأنه ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

قال الشوكاني – رحمه الله – فى بيانه للآية الكريمة : " هذا المثل وغيره من الأمثال التي فى القرآن، نضربها للناس تنبيهاً لهم، وتقريباً لما بعد من أفهامهم، وما يعقلها أي: يفهمها ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله إلا العالمون بالله الراسخون فى العلم، المتدبرون، المتفكرون لما يتلى عليهم". (1)

وفى هذا توجيه لطلاب العلم إلى تفَّهم وتعَّقل الأمثال القرآنية، وتكليف لهم بشرحها وبيانها للناس، وأيضاً فيه حث على تعلمها وتعليمها.

وهذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ تدل على أهمية الأمثال من وجوه:

الوجه الأول: الإشارة إليها بـ " تِلْكَ " وفى هذا ذلك سر بلاغي، وهو:

الإشارة إلى علو شأنها وبعدها عن غيرها من الكلام ، وتميزها وتفردها بالمعاني العظيمة والحكم البالغة ، كيف لا وهي جزء من كلام اللّه عز وجلَّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومثله استخدام " تلك" بدل "هذه" لنفس الغرض ، وقال النسفى مبيناً الحكمة من التعبير بـ "ذلك" بدل "هذا" فى قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: 2] " إشارة إلى معنى علو شأنه وبعده عن غيره من الكلام، وتميزه وتفرده بالمعاني العظيمة والحكم البالغة ". (2)

الوجه الثاني: الذي يدل على أهمية الأمثال مستفاد من قوله تعالى " نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ " قال الشيخ عبد الرحمن السعدي مبيناً ذلك "أي لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، لأنها تقرب الأمور المعقولة، بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس". (3)

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج235/4).
(2) انظر: تفسير النسفى (ج11/1).
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج631/1).

الوجه الثالث: فى بيان أهمية الأمثال مستفاد من قوله تعالى: " وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ " فتخصيص أهل العلم بتعَّقُلها يدل على عُلو قدرها، فأهل العلم هم أهلها الطالبون لها المدركون لأهميتها، والمتدبرون لها والمنتفعون بها.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – : " وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقُلها، ومدح لمن يعقِلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقِلها ليس من العالمين، والسبب فى ذلك، أن الأمثال التي يضربها اللَّه فى القرآن إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم، يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء اللَّه بها، وحثه عباده على تعقلها، وتدبرها، فيبذلون جهدهم فى معرفتها، وأما من لم يعقلها مع أهميتها، فإن ذلك، دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى، ولهذا، أكثر ما يضرب اللَّه الأمثال فى أصول الدين ونحوها " [1]، " وقال بعض السَّلف: كنت إذا قرأت مثلا من القرآن فلم أفهمه، بكيت على نفسي ؛ لأن الله تعالى يقول " وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ". [2]

ولقد ضرب الله سبحانه وتعالى للناس فى هذا القرآن من كل مثل؛ لأن ضرب الأمثال فيه فوائد كثيرة كالتذكير والوعظ، والحث والزجر، والتقرير وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس ، وتشبيه الخفى بالجلي، فلضرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفي فى إبراز الخفيات والحقائق ، حتى يرى المتخيل فى صورة المتحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد. [3]

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – :" فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغرابة والوحدة وعدم النظير ؛ ففى الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثلة من الحق أمر لا يجده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المراد، ومزكية له، فهي ﴿ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: 29] وهي خاصة العقل ولبه وثمرته ". [4]

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج631/1).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج669/2).

(3) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج34/1)، السيوطي، الإتقان فى علوم القرآن (ج45/4).

(4) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج183/1).

فاللَّه سبحانه ما ضرب الأمثال للناس فى كتابه العزيز وسائر كتبه إلا لما لها من الأثر البالغ فى تفهيمهم وتعليم هم، فضربها سبحانه وصرفها رحمة بعباده ليتعلموا من ربهم ويفهموا عنه بمختلف أساليب البيان.

قال الزركشي [(1)]– رحمه اللَّه – مبيناً أهمية المثل:

" ومن حكمته تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان... وفى ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى، إذ الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلي، والشاهد بالغائب... وقد أكثر تعالى فى القرآن وفى سائر كتبه من الأمثال ". [(2)]

وخلاصة القول فى هذا المبحث أن الأمثال لها دور كبير وأهمية بالغة فى تقرير كثير من مسائل العقيدة وتوحيد الله عز وجلَّ، والاستدلال عليها، من خلال تقريب المعقول فى صورة المحسوس وإيضاح الغائب فى صورة الشاهد، فيتضح المعنى المراد غاية الوضوح، فيثبت فى ذهن السامع، ويكون أقرب إلى فهمه وضبطه وتعقله وإدراكه واستحضاره ، فالأمثال تسهل للناس التفكر، والتعقل، والتذكر بما تشتمل عليه من مقايسة الأمور وإلحاق النظير بنظيره، والمساواة بين المتشابهات فى الأحكام، وتوضح الغامض أو المجهول بالمعلوم المحسوس أو المعقول، وهذا هو الاعتبار المؤدي إلى استخلاص العبر والحكم مما ورد فى الكتاب الكريم من الأمثال بمختلف أنواعها.

---

(1) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، له تصانيف كثيرة فى عدة فنون. انظر: الزركلي، الأعلام (ج60/6).

(2) الزركلي، البرهان فى علوم القرآن (ج487/1).

المبحث الثاني

أقسام المثل فى القرآن

يمكن تقسيم المثل فى القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول:

" الأمثال المصرحة: وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة فى القرآن ". [1]

منها قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: 17]

قال ابن كثير– رحمه الله – : " وتقدير هذا المثل: أن الله سبحانه، شبههم فى اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد التبصرة إلى العمى، بمن استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنس بها، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، وصار فى ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع ذلك أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصر؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون فى استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى، واستحبابهم الغي على الرشد. وفى هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا، كما أخبر عنهم تعالى فى غير هذا الموضع [2]، والله أعلم ". [3]

قال الشوكاني – رحمه الله – : " ضرب الله هذا المثل للمنافقين لبيان أن ما يظهرونه من الإيمان مع ما يبطنونه من النفاق لا يثبت لهم به أحكان الإسلام، كمثل المستوقد الذي أضاءت ناره ثم طفئت، فإنه يعود إلى الظلمة ولا تنفعه تلك الإضاءة إلسيرة، فكان بقاء المستوقد فى ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق فى حيرته وتردده، وإنما وصفت هذه النار بالإضاءة مع كونها نار باطل ؛ لأن الباطل كذلك تسطع ذوائب لهب ناره لحظة ثم تخفت ". [4]

---

(1) القطان، مباحث فى علوم القرآن (ج293/1).

(2) قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾، [المنافقين: 3].

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج186/1).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج55/1).

ثم قال أيضا " أن لضرب الأمثال شأناً عظيماً فى إبراز خفيات المعاني، وفع أستار محجبات الدقائق، ولهذا استكثر الله من ذلك فى كتابه العزيز، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من ذلك فى مخاطباته ومواعظه ". [1]

والخلاصة: أن النفاق يُضيء الطريق لصاحبه مدة قصيرة، ولكن سرعان ما ينطفئ ويتبدد كما تنطفئ النار ؛ لأنه لا دوام له ولا استمرار فى وجه الحق، فالمنافقون عطلوا أسماعهم وأبصارهم عن كلام الله تعالى، فكأنهم صم عن سماع الحق، وكأنهم بكم لا يتكلمون به.

وأيضا قوله تعالى فى سورة الرعد ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد: 17] [2]

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – عند شرحه لهذه الآية : " شبه تعالى الهدى، الذي أنزل على رسوله لحياة القلوب والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأشياء، وشبه ما فى الهدي من النفع العام الكثير، الذي يضطر إليه العباد، بما فى المطر من النفع العام الضروري، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها، بالأودية التي تسيل فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيراً، كقلب كبير يسع علماً كثيراً، وواد صغير يأخذ ماء قليلاً، كقلب صغير يسع علماً قليلاً وهكذا ". [3]

" وشَبه ما يكون فى القلوب من الشهوات والشبهات، عند وصول الحق إليها، بالزبد الذي يعلو الماء، ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له، حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي، والحلية الخالصة ". [4]

والخلاصة: إن القرآن الكريم الذي تجسد فيه الحق الواضح والنور والهدي مثله فى إحياء القلوب به مثل الماء الذي يحيي الأرض الميتة، ومثل المعدن النقي الصافي الذي يحقق منافع

(1) الشوكاني، فتح القدير (1/55-56).

(2) هذه الآية تم التحدث عنها بشكل مفصل فى هذا الفصل عند الحديث عن أهمية المثل فى تقرير العقيدة، صفحة321.

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص370).

(4) المرجع السابق، ص370 .

كثيرة للناس، وأما الكفر والبدع والضلالات، فهو عديم النفع سريع الزوال، فهو كرغوة الماء وغثاء السيل، الذي سرعان ما يتبدد ويضمحل، ويُبقى به الريح فى مكان سحيق.

القسم الثاني من الأمثال:

" **الأمثال الكامنة:** وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة فى إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها". [1]

ومن أمثلة هذا القسم [2] قوله تعالى الصلاة ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110].

قال الإمام الشوكاني– رحمه الله – فى بيان معناها: " وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا " أي بقراءة صلاتك على حذف المضاف للعلم بأن الجهر والمخافتة من نعوت الصوت لا من نعوت أفعال الصلاة، فهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء، يقال: خفت صوته خفوتاً إذا انقطع كلامه وضعف وسكن، "وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ " أي الجهر والمخافتة المدلول عليها بالفعلين " سَبِيلًا " أي: طريقاً متوسطاً بين الأمرين، فلا تكن مجهورة ولا مخافتاً به ". [3]

" أي ولا تجهر بقراءة صلاتك، حتى لا يسمع المشركون فيسبوا القرآن، ويسبوا من أنزله، ومن جاء به، ولا تخافت بها عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك، وابتغِ بين الجهر والمخافتة سبيلاً وسطاً، فهذه هي الطريقة المثلى فى القراءة، وهي الحد الوسط بين الجهر بالصوت والإسرار والإخفات فيه، ففى الجهر حتى لا يتفرقوا عنه ويأبوا أن يسمعوا منه، أو يسبوا القرآن، وفى الإسرار ليسمع من أراد السماع فينتفع به ". [4]

وقوله تعالى فى الإنفاق ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29].

---

(1) القطان، مباحث فى علوم القرآن (ج295/1).

(2) المرجع السابق، ص295.

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج315/3).

(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج192/15–193).

قال ابن كثير – رحمة الله تعالى عليه – فى تفسيرها : " يقول تعالى آمرا بالاقتصاد فى العيش، ذاماً للبخل ناهياً عن السرف "﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ" أي: لا تكن بخيلاً منوعاً، لا تعطي أحداً شيئاً...

وقوله " وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ " أي لا تسرف فى الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد ملوماً محسوراً،

وهذا من باب اللف والنشر أي: فتقعد إن بخلت ملوماً، يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك"[1]، " ويتحصل من ذلك مشروعية التوسط، وهو العدل الذي ندب الله إليه ". [2]

قال الشوكاني – رحمه الله – : " وقد مثَّل الله سبحانه فى هذه الآية حال الشحيح بحال من كانت يده مغلولة إلى عنقه بحيث لا يستطيع التصرف بها، مثل حال من يجاوز الحد فى التصرف بحال من يبسط يده بسطاً لا يتعلق بسببه فيها شيء مما تقبض الأيدي عليه، وفى هذا التصوير مبالغة بليغة ". [3]

وقوله فى إبراهيم – عليه السلام – ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ ﴾ [البقرة: 260].

وخلاصة القصة: كان إبراهيم عليه السلام محباً للاستطلاع، فلما أوحى الله تعالى إليه أنه سيحيي الموتى ويحشرهم يوم القيامة، ليجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، أحب أن يرى ميتاً عاد حياً، فسأل الله ذلك، ليطمئن قلبه، فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة طيور، فيذبحها، ويفَّرِق أجزاءها على الجبال، ثم يدعوها إليه، وحينئذ يرى كيف يعود الميت حياً، ففعل ودعا الطيور إليه، فجاءت صحيحة، كأنها لم تمت أصلاً.

وخلاصة القول فى ذلك أن الأصل فى الإنفاق هو الاقتصاد والتوسط فى العيش والإنفاق، دون بخل ولا إسراف، فالبخل هو الإفراط فى الإمساك، والتبذير هو الإفراط فى الإنفاق، وكلاهما مذموم، وخير الأمور التوسط بينهما.

قال الدكتور وهبة الزحيلي – رحمه الله – : " هذه القصة دليل آخر على إثبات قدرة الله على إحياء الموتى، مهما تلاشت أجزاؤها، وتفتت ذراتها، وتطاول الزمان على موتها. ولم يكن

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج70/5).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج264/3).

(3) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

إبراهيم عليه السلام شاكّاً فى القدرة الإلهية على ذلك، وإنما ليثبت الاعتقاد بالتجربة الحسية أو الخبر والمعاينة، وهذا يشير إلى أهمية العلم التجريبي، والاختبارات العملية، لمعرفة كيفية تركيب الأشياء ". [1]

" والحكمة فى اختيار الطير على غيره: أن الطير أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان، ولسهولة إجراء التجربة عليها، ولأن الطير أكثر نفوراً من الإنسان فى الغالب، فإتيانها بمجرد الدعوة أبلغ فى المثل ". [2]

القسم الثالث من أقسام الأمثال:

" **الأمثال المرسلة** فى القرآن: وهي جمل أرسلت إرسالًا من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال ". [3]

ومن أمثلة هذا القسم ما يلي [4]:

﴿ ٱلۡـَٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾ التفسير المنير [يوسف: 51]، أي " الآن تبين الحق وظهر وبرز". [5]

قال الشوكاني " وأصله حصحص كما قيل فى كببوا كبكبوا، قاله الزجاج، وأصل الحص: استئصال الشيء... والمعنى أنه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ". [6]

﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم: 58]، " أي: لا يدفعها إذا من دون الله أحد، ولا يطلع على علمها سواه ". [7]

قال الشوكاني " والمعنى: أنه لا يقدر على كشفها إذا غشيت الخلق بشدائدها وأهوالها أحد إلا الله ". [8]

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير (ج38/3).

(2) الزحيلي، التفسير المنير (39/3).

(3) القطان، مباحث فى علوم القرآن (ج296/1).

(4) المرجع السابق.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج394/4).

(6) الشوكاني، فتح القدير (ج41/3).

(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج468/7).

(8) الشوكاني، فتح القدير (ج142/5).

" فقوله: كاشِفَةٌ أي نفس تكشف وقت وقوعها وتبيّنه ؛ لأنها من المغيبات. والتاء للتأنيث، لتأنيث الموصوف المحذوف، أي نفس قادرة على كشفها إذا وقعت، لكنه سبحانه لا يكشفها ". [1]

﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود: 81].

قال الشوكاني– رحمه الله – فى فتح القدير: " والمعنى: أن موعد عذابهم الصبح المسفر عن تلك الليلة " [2]، " وسبب اختيار هذا الوقت كونهم متجمعين فى مساكنهم ". [3]

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43]،" أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم ". [4]

قال الشوكاني – رحمه الله – فى معناها : " أي: لا تنزل عاقبة السوء إلا بمن أساء. قال الكلبي: يحيق بمعنى يحيط، والحوق الإحاطة، يقال حاق به كذا إذا أحاط به، وهذا هو الظاهر من معنى يحيق فى لغة العرب ". [5]

" ومكر السيء: أي مكر العمل السيء، والمكر: هو الحيلة والخداع والعمل القبيح، وهو هنا الكفر وخداع الضعفاء، وصدهم عن الإيمان ليكثر أتباعهم". [6]

وخلاصة القول فى هذا المبحث أن الأمثال فى القرآن الكريم تنقسم إلى ثلاث أقسام وهي الأمثال الصريحة: وهي ما صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة فى القرآن الكريم ، والأمثال الكامنة: وهي ما لا يذكر فى النص لفظ المثل وإنما يكون حكمه حكم الأمثال، فالمثل هنا يؤخذ من مكنون النص ودلالته.

أما عن الأمثال المرسلة فهي جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجري الأمثال.

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير (ج137/27).
(2) الشوكاني، فتح القدير (ج584/2).
(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج116/12).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج559/6).
(5) الشوكاني، فتح القدير (ج408/4).
(6) الزحيلي، التفسير المنير (ج283/22).

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، الحمد لله فى الأول والآخر والظاهر والباطن، والشكر والفضل له سبحانه بأن وفقني ويسر لي بعد هذا العناء و سهر الانتهاء من كتابة هذه الرسالة، وأصلى وأسلم وأبارك على سيدنا محمد، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى أله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أهم النتائج:

وقد خلصت من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج، يمكن تلخيصها فيما يلي: -

1- سورة الرعد من السور التي تتحدث عن الدلائل السماوية والأرضية التي تدلل على توحيد الله عز وجلّ، وتدل على قدرته تعالى وعظيم سلطانه، منها رفع السماء بغير عمد، وتسخير الشمس والقمر لمصالح الإنسان، وبسط الأرض طولاً وعرضاً، وتعاقب الليل والنهار، إلى غير ذلك.

2- أهمية التوحيد فى حياة الانسان المسلم، بأشكاله التي ذكرتها سورة الرعد (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات).

3- الإمام ابن كثير- رحمه الله - سلفى العقيدة والمذهب، ومنهجه قائم على أصول سليمة فى إثبات مسائل العقيدة.

4- تفَقُّه الشوكاني رحمه الله على مذهب الزيدية، إلا أنه لم يلبث أن تخلى عن التقليد والتمذهب، واعتمد اعتماداً مباشراً على الكتاب والسنة.

5- بينت السورة أن التوكل على الله لا ينافى الأخذ بالأسباب، بل التوكل لا يتم إلا إذا اتخذ الإنسان لكل عمل يريده الأسباب التي توصله إلى تحقيقه، فالله عز وجلَّ ربط السبب بالمسبب، فلا بد من الأخذ بالأسباب التي توصل الإنسان إلى تحقيق حاجاته ومتطلباته، مع الإيمان بأن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله سبحانه وتعالى.

6- دعت سورة الرعد إلى العديد من العبادات الظاهرة والباطنة، التي يجب إخلاصها لله تعالى، وهي عبادة الخوف من الله، والتسبيح والسجود له، والتوكل عليه.

7- دلت السورة على أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، سواء كان مؤمناً أو كافراً، ولا يدل البسط للكافر على الكرامة، ولا القبض والتقتير على المؤمن على الإهانة ؛ لأن الدنيا دار ابتلاء واختبار ولا تساوي عند الله جناح بعوضة.

8- دلت السورة الكريمة على أن النَّفع والضُّر كله بيد الله تعالى وحده، وليس لأحد من المخلوقين فى ذلك شيئاً.

9- دلت السورة على أن الدعاء عبادة كاملة ومؤكده لله عز وجلَّ، ولا يجوز لأحد أن يدعو غيره كائناً من كان.

10- الحق فى صفات الله تعالى هو إمرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تجسيم، وهذا هو مذهب السَّلف والتابعين وعلماء هذه الأمة قاطبة.

10 - تحدثت السورة عن صفات المؤمنين التي يجب توافرها فى الفرد المسلم، وعن صفات الكفار الواجب على كل مسلم الابتعاد عنها.

11 - أثبتت السورة بعضاً من أسماء الله الحسنى، وهذه الأسماء هي (الكبير، المتعال، الهادي، الخالق، الحكم، الشهيد).

12 ثبت فى السورة الكريمة بعضاً من صفات الله تعالى الذاتية والفعلية ، التي أثبتها الله لنفسه فى كتابه، وهي: صفة العلم، وصفة الوحدانية والقهر، وصفة الشدة، وصفة الإرادة والمشيئة، وصفة الاستواء ، وصفة البسط والقبض، وصفة الأخذ، وصفة الإرسال، وصفة العهد والوعد، وصفة السرعة، وصفة المكر والمحال، وصفة الهداية والضلال، وصفة المغفرة.

13 - دلت السورة الكريمة على مراتب القضاء والقدر الأربع وهذه المراتب هي: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل كونها، ومشيئته لها، وخلق الله للأعمال وإيجاده لها.

14 - الملائكة من عوالم الغيب التي امتدح الله المؤمنين بها، تصديقاً بخبر الله سبحانه وإخبار رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

15 - دلت السورة على أن للملائكة بعض الأعمال الموكلون بها، والأعمال هي: حفظ بني آدم، والتسبيح، والدخول على أهل الجنة والتسليم عليهم.

16 - دلت السورة دلالة واضحة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان، لا تبيدان ولا تفنيان وهذا هو مذهب أهل السُّنة والجماعة.

17 - تكشف السورة اليهود وحقيقة عدائهم للمسلمين، وإنكارهم لبشارة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، بالرغم من ذكر البشارة به فى كتبهم.

18 - بيَّنت السورة أن للأمثال القرآنية دور كبير وأهمية بالغة فى تقرير كثير من مسائل الاعتقاد، من خلال تقريب المعقول فى صورة المحسوس وإيضاح الغائب فى صورة الشاهد.

19 – من خلال دراستي لمنهج ابن كثير والشوكاني فى العقيدة فى ضوء سورة الرعد تبين لي أن الإمام الشوكاني موافق للإمام ابن كثير وأهل السنة والجماعة فى جميع أركان الإيمان، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر، والقضاء والقدر، والبعث والنشور، ولم يخالفهم إلا فى مسائل قليلة.

20 – أوَّلَ الشوكاني صفة العلو فى فتح القدير، وهذا التأويل مناقض لمنهجه فى رسالة التحف فى إثبات الصفات على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيِّيف ولا تمثيل، فهنا خالف الشوكاني– رحمه الله – ابن كثير– رحمه الله – فى إثبات علو الذات الذي هو أحد معاني العلو الثابت له سبحانه، فهو المتعالى على كل شيء بقهره، والمتعالي عن كل سوء ونقص بكماله، و علو الله تعالى يشمل النوعين، فذكر علو القهر وتعطيل علو الذات تعطيل بحت.

21 – أما فى مسألة خلق القرآن فقد ذهب الشوكاني مذهب الواقفية، فلم يجزم برأي هل هو مخلوق أو غير مخلوق، وهنا خالف رأي ابن كثير الذي كان يرى أن القرآن كلام الله وهو غير مخلوق، وهو صفة من صفاته.

22– أما فى المحو والإثبات فقد جوز الشوكاني – رحمه الله – المحو و الإثبات فى الكتاب بمشيئة الله ويثبت غيره فى الكتاب ، وفى الأرزاق والآجال ، أما ابن كثير– رحمه الله – فيري خلاف ذلك .

التوصيات:

1– أوصي نفسي أولاً وأوصي جميع طلبة العلم بتقوى الله عز وجل.
2– الاهتمام بسور القرآن الكريم بالبحث والدراسة، واستنباط القضايا العقدية منها، فإنه لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من المضامين العقدية التي جاءت لترسيخها فى نفوس الناس.
3– أوصي بأن دراسة العقيدة الإسلامية الصحيحة هي أهم الدراسات ؛ لأنها بمثابة السَّد المنيع والجدار الأقوى فى مواجهة العقائد الفاسدة والبدع والضلالات والأهواء المنحرفة.
4– أوصي شباب المسلمين بالالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من التعصبات والتمذهبات المنحرفة.

وبعد، فهذه جملة من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها فى بحثي المتواضع هذا، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان فيها من خطأ فاستغفر الله منه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى أله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد الأثري. (1424هـ -2002م). *الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة. ط1.* الرياض: مدار الوطن للنشر

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. (1424هـ -2002م). *الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة*. ط1. الرياض: مدار الوطن للنشر

الأثري، أبو سيف خليل بن إبراهيم العراقي (د.ت). *تيسير الوصول إلى معرفة الثلاثة الأصول*. (د.م): (د.ن).

الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله. (1420هـ-1999م). *الشريعة*. ط2. تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي الرياض: دار الوطن.

الأزهري، محمد بن أحمد الهروي أبو منصور. (2001م). *تهذيب اللغة*. ط1. تحقيق: محمد عوض مرعب بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأشعري، على بن إسماعيل بن أبي بشر. (1397م). *الإبانة عن أصول الديانة. ط1.* تحقيق: د فوقية حسين محمود القاهرة: دار الأنصار

الأشعري، على بن إسماعيل. (د.ت). *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*. ط3. تحقيق: هلموت ريتر بيروت: دار إحياء التراث العربي

الأشقر، الدكتور عمر سليمان. (1415هـ-1995م). *اليوم الأخر*. ط6. الأردن: دار النفائس، الأردن

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبدالله. (1419هـ-1999م). *العقيدة فى الله*. ط12. الأردن: دار النفائس

الأشقر، محمد سليمان عبدالله. (1427هـ-2006م). *زبدة التفاسير بهامش مصحف المدينة النبوية*. ط5. الأردن: دار النفائس.

الأشقر، محمد سليمان عبدالله. (1427هـ-2006م). *زبدة التفاسير بهامش مصحف المدينة النبوية*. ط5. الأردن: دار النفائس.

الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي. (1419هـ-1999م). *الحجة فى بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة*. (د.ط). (360/1) تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي. الرياض: دار الراية.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب. (1983م). *تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين*. (د.ط). بيروت: دار مكتبة الحياة.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. (1412هـ). *المفردات فى غريب القرآن*. ط1. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.

الأكوع، القاضي إسماعيل. (1416هـ-1995م). هجر *العلم ومعاقله فى اليمن* . ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر. (د.ت). *صحيح الجامع الصغير وزيادته*. (د.ط). المكتب الإسلامي

الألباني، محمد ناصر الدين. (2008م). *صحيح الجامع الصغير وزيادته*. ط5. بيروت: المكتب الإسلامي.

الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله البغدادي. (1415هـ). *روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: على عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415هـ). *روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: على عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد. (1997م). *المواقف*. ط1. تحقيق: د عبدالرحمن عميرة. بيروت: دار الجيل

الباقلاني، القاضي أبو بكر المالكي، محمد بن الخطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم. (1422هـ-2001م). *الانتصار للقرآن*. ط1. تحقيق: د. محمد عصام القضاة. عمان: دار الفتح. بيروت: دار ابن حزم

البخاري، أبو عبد الله الجعفى، محمد بن إسماعيل. (1407هـ-1987م). *الجامع الصحيح المختصر*. ط3. تحقيق: مصطفى ديب البغا. اليمامة، بيروت: دار ابن كثير.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. (د.ت). *خلق أفعال العباد*. (د.ط). تحقيق: عبدالرحمن عميرة .الرياض: دار المعارف

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1419هـ-1998م). *الأدب المفرد*. ط1. تحقيق: سمير بن أمين الزهيرى مستفدا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث محمد ناصر الألباني. الرياض: مكتبة المعارف

البخاري، محمد بن إسماعيل. (د. ت). *التاريخ الكبير*. (د. ط)، حيدر آباد: المعارف العثمانية.

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. (1988هـ-2009م). *مسند البزار*. ط1. (المطبوع باسم البحر الزخار) تحقيق: محفوظ عبدالرحمن زين الله وآخرون. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

البغدادي، المؤلف إسماعيل باشا. (1413هـ-1992م). *هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني. (1977م). *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية*. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة

البغدادي، أحمد بن على أبو بكر الخطيب. (د.ت). *تاريخ بغداد*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

البغوي، الحسين بن مسعود. (1420هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف ب"تفسير البغوي"*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبي بكر. (1408هـ-1987م). *مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور*. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.

البقاعي، الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم (د.ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. ط3. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو بكر الجزائري. (1407هـ-1987م). *أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير*. ط1. (د.ن).

البليهي، لصالح (1404هـ). *عقيدة المسلمين والرد على الملحدين*. ط2. الرياض: المطابع الأهلية.

ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن على العسقلاني. (1389هـ–1996م). *انباء الغمر بأبناء العمر*. تحقيق: د حسن حبشي. مصر: المجلس الأعلى للشئون الاسلامية– لجنة إحياء التراث الاسلامي

ابن رجب الحنبلي، عبدالرحمن بن أحمد. (1422هـ–2001م). *جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم. ط7.* تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس بيروت: مؤسسة الرسالة

ابن عبد الوهاب، عبدالرحمن بن حسن بن محمد. (د.ت). *قرة عيون الموحدين فى تحقيق: دعوة الأنبياء والمرسلين*. تحقيق: بشير محمد عيوب. الطائف: مكتبة المؤيد، دمشق: مكتبة دار البيان.

ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي. (1399هـ–1979م). معجم *مقاييس اللغة*. (د.ط). تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر.

البيضاوي، المؤلف إمام المحقيقين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي. (د.ت). *تفسير البيضاوي المسمي أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. بيروت: دار الكتب العلمية

البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخرساني. (1423هـ–2003م). *شعب الإيمان*. ط1. تحقيق: عبد العلى عبد الحميد حامد. الرياض: مكتبة الراشد. بومباي: الدار السلفىة.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن على الخرساني (1413هـ–1993م). *الأسماء والصفات*. ط1. تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي. جدة: مكتبة السوادي.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخراساني أبو بكر. (1413هـ–1993م). *الأسماء والصفات للبيهقي*. ط1. تحقيق: عبدالله بن محمد الحاشدي، جدة: مكتبة السوادي.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخرساني أبو بكر. (1401هـ). *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث*. ط1. تحقيق: أحمد عصام الكاتب، بيروت: دار الأفاق الجديدة.

تأليف عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد. (د.ت). *نضرة النعيم فى مكارم أخلاق الرسول الكريم–صلى الله عليه وسلم*–ط4. دار الوسيلة.

الترمذي، محمد بن عيسي أبو عيسي. (د.ت). *الجامع الصحيح (سنن الترمذي)*. (د.ط). تحقيق: أحمد شاكر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي

ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي. (د.ت). *النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة*. (د.ط). مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب

ابن تغري بردي، يوسف بن عبدالله الظاهري الحنفي. (د.ت). *المنهل الصافى والمستوفي بعد الوافي*. (د.ط). تحقيق: الدكتور محمد محمد أمين تقديم سعد عبدالفتاح عاشور. الهيئة المصرية العامة للكتاب

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله. (1401هـ–1981م). *شرح المقاصد فى علم الكلام* (د.ط). باكستان: دار المعارف النعمانية

تقي الدين، أبي الطيب محمد بن أحمد الفارسي المكي المالكي. (1410هـ–1990م). *ذيل القييد فى رواة السنن والمسانيد*. ط1. تحقيق: كمال يوسف الحوت. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تيمية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني. (1420–1999م). *التسعينية*. ط1. تحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان السعودية: مكتبة المعارف.

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني. (1415هـ). *شرح العقيدة الأصفهانية*. ط1. تحقيق: إبراهيم سعيداوي. الرياض: مكتبة الرشد.

ابن تيمية ، الحراني. (1977م). *الكلم الطيب*. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن تيمية ، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي. (1423هـ–2002م). *التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم*. ط1. جمع ودراسة وتحقيق: أبي سعيد عمر العمروي. بيروت: دار الفكر.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي. (1425هـ–2004م). *الفتوى الحموية الكبرى*. ط2. تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري. الرياض: دار الصميعي.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. (1416هـ–1995م). مجموع *الفتاوى*. (د.ط). تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (1419هـ–1999م). *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*. تحقيق: على بن حسن وآخرون. ط2. السعودية: دار العاصمة.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1406هـ–1986م). *منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية*. ط1. تحقيق: محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي. (د.ت). *الحسنة والسيئة*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1422هـ–2001م). جامع *الرسائل*. ط1. تحقيق: د. محمد رشاد صالح. الرياض: دار العطاء.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم الحراني. (1426هـ–2005م). *العبودية*. ط7. تحقيق: محمد زهير الشاويش. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد السلام. (1417هـ–1997م). *درء تعارض العقل والنقل*. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، شيخ الاسلام. (1422هـ–2001م). *قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة*. ط1. تحقيق: ربيع بن هادي المدخلي. عجمان: مكتبة الفرقان

الجرجاني، على بن محمد بن على الزين الشريف. (1403هـ–1983م). *كتاب التعريفات*. ط1. تحقيق: جماعة من العلماء. لبنان: دار الكتب العلمية بيروت.

الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد. (1399هـ–1979م). *النهاية فى غريب الحديث والأثر*. (د.ط). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي. بيروت: المكتبة العلمية

الجزري، شمس الدين محمد بن محمد. (2006م). *غاية النهاية فى طبقات القراء*. ط1. تحقيق: برجستراير. (د.م) دار الفكر العربي

الجصاص، أبي بكر أحمد بن على الرازي (1424هـ-2003م). *أحكام القرآن*. ط2. ضبط نصه وخرج آياته عبدالسلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية.

جعفر شرف الدين. (1420م). *الموسوعة القرآنية -خصائص السور*. ط1. تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي. بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

الجليند، محمد السيد. (1403هـ-1983م). *ابن تيمية وقضية التأويل*. ط3. شركة مكتبة عكاظ.

الجليند، محمد السيد. (د.ط). الوحي والإنسان – قراءة معرفية، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

جمعة عبد العزيز. (1411هـ-1991م). *منهج القرآن فى عرض قضايا الاسلام*. ط2 دار الدعوة

ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على. (1404هـ-1984م). *نزهة الأعين والنواظر فى علم الوجوه والنظائر*. ط1. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على. (1409هـ). *مناقب الإمام أحمد بن حنبل*. ط2. تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن على بن محمد. (1404هـ). *زاد المسير فى علم التفسير*. ط3. بيروت: المكتب الاسلامي

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (1407هـ-1987م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. ط4. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار.

الجويني، إمام الحرمين أبي المعإلى. (1369هـ-1950م). *الإرشاد إلى قواطع الأدلة وأصول الاعتقاد*. (د.ط). تحقيق: محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد. مصر: مكتبة الخانجي، دار السعادة.

أبو جيب ، سعدي. (1408هـ-1988م). *القاموس الفقهي لغة واصطلاحا*. ط2. دمشق: دار الفكر

ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن على بن محمد ابن حجر العسقلاني. (1392هـ-1972م). *الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثمانية*. ط2. تحقيق: محمد عبد المعيد ضان. حيدر آباد مجلس دائرة المعارف العثمانية.

ابن حجر، أحمد بن على أبو الفضل العسقلاني. (د.ت). *الإصابة فى معرفة الصحابة*. (د.ط). تحقيق: مركز هجر للبحوث

ابن حجر، أحمد بن على أبو الفضل العسقلاني. (د.ت). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. (د.ط). رتب كتبه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة.

حسن خان، (د.ت). *فتح البيان فى مقاصد القرآن تفسير أثري خال من الإسرائليات والخرفات*. (د.ط). تحقيق: صديق حسن خان.

الحسيني، أحمد رافع القاسمي الطهطاوي الحنفي. (1348هـ). *التنبيه والإيقاظ لما فى ذيول تذكرة الحفاظ*. (د.م). مطبعة الترقي.

الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن على الدمشقي. (1419هـ-1998م). *ذيل تذكرة الحفاظ*. ط1. دار الكتب العلمية

الحسيني، محمد بن مجمد بن عبدالرازق. (1414هـ). *تاج العروس من جواهر القاموس*. ط1. بيروت: دار الفكر.

الحكمي، المؤلف حافظ بن أحمد بن على. (1410هـ-1990م). *معارج القبول فى شرح سلم الوصول إلى علم الأصول*. ط1. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. الدمام: دار ابن القيم

الحكمي، حافظ بن أحمد بن على. (1410هـ-1990م). *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*. ط1. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر الدمام: دار ابن القيم

الحكمي، حافظ بن أحمد بن على. (1422هـ). *أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة*. تحقيق: حازم القاضي. ط2. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

ابن حنبل ، أبو عبد الله أجمد بن محمد.(د.ت). *الرد على الجهمية والزنادقة*. ط1. تحقيق: صبري بن سلامة شاهين. دار الثبات

ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. (1342 هـ-2010م). *مسند أحمد بن حنبل*. ط1. مكتب البحوث بجمعية المكنز جمعية المكنز الإسلامي.

ابن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن محمد. (د.ت). *الرد على الجهمية والزنادقة*. ط1. تحقيق: صبري بن سلامة شاهين دار الثبات.

أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي. (1422هـ-2001م). *تفسير البحر المحيط*. ط1. دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية

أبو حيان ، محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. (1420هـ). *البحر المحيط فى التفسير*. ط1. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر.

الخازن، الإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي وبهامشه تفسير البغوي، الصوفى. (د.ت). *لباب التأويل فى معاني التنزيل (تفسير الخازن)*. (د.ط). المكتبة التجارية الكبري.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب. (1412هـ-1992م). *شأن الدعاء*. ط2. تحقيق: أحمد يوسف الدقاق دار الثقافة العربية.

الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم. (1402هـ). *غريب الحديث*. تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي. مكة المكرمة جامعة أم القرى.

خفاجي، محمود أحمد. (القاهرة، 1399هـ-1979م). *العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة*. (د.ط). طبعة الأمانة.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي. (1994هـ). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. آخر طبعة. تحقيق: حسان عباس. بيروت: دار صادر

الدارمي، عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد. (1995م). *الرد على الجهمية*. ط2. تحقيق: بدر بن عبد الله البدر الكويت: دار ابن الأثير

الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد السجستاني. (1418هـ-1998م). *نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد*. ط1. تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي مكتبة الرشد.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي، السِّجِسْتاني. (د.ت). *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.

الداية، فايز. (1410هـ). معجم *المصطلحات العلمية والعربية*. ط1. دمشق: دار الفكر، دمشق

دروزة محمد عزت. (1383م). *التفسير الحديث*. (د.ط). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الدوسري، المؤلف فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك. (1413هـ). *التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية*. ط3. مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّماز. (1427هـ-2006م). *سير أعلام النبلاء*. (د.ط). القاهرة: دار الحديث

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّماز. (1991م). مختصر *العلو للعلى العظيم*. ط2. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّماز. (د.ت). *العبر فى خبر من غبر*. (د.ط). تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية

الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. (1382هـ-1963م). *ميزان الاعتدال فى نقد الرجال*. ط1. تحقيق: على محمد البجاوي بيروت: دار المعرفة

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (1419هـ -1998م). *تذكرة الحفاظ*. ط1. تحقيق: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. (1408هـ). *المعجم المختص بالمحدثين*. ط1. تحقيق: د محمد الحبيب الهيلة. الطائف: مكتبة الصديق.

الرازي، للإمام محمد بن العلامة ضياء الدين عمر. (1401هـ-1981م). *تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب*.ط1. بيروت: دار الفكر

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (1415هـ-1995م). *مختار الصحاح*. (د.ط). تحقيق: محمود خاطر. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون

الرضواني، محمود عبد الرزاق. (د.ت). *أسماء الله الحسنى الثابتة فى الكتاب والسنة*. (د.ط). (د.ن).

رعاية وإشراف أحمد عفنف. (2003م). *الموسوعة اليمنية*. ط2. صنعاء: مؤسسة العفيف الثقافية. ومركز بيروت: دراسات الوحدة العربية

الرومي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. (1414هـ–1993م). معجم *الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. ط1. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. (1424هـ–2003م). *دراسات فى علوم القرآن الكريم*. ط12. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل. (د.ت). *تفسير أسماء الله الحسنى*. (د.ط). تحقيق: أحمد يوسف الدقاق دار الثقافة العربية

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق. (1406هـ–1986م). *اشتقاق أسماء الله*. ط2. تحقيق: عبد المحسن المبارك بيروت: مؤسسة الرسالة.

الزحيلي، الدكتور وهبة. (1418هـ). *التفسير المنير*. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر

الزحيلي، وهبة. (1427هـ–2006م). *التفسير الوسيط*. ط2. دمشق: دار الفكر.

الزحيلي، وهبه. (1424هـ . 2003م). *التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج*. ط2. دمشق: دار الفكر.

الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر. (1376هـ–1957م). *البرهان فى علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

الزركلي، لخير الدين محمود بن محمد الدمشقي. (2002م). *الأعلام*. الطبعة الخامسة عشر. دار العلم للملايين

السُبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (1413هـ). *طبقات الشافعية الكبري*. ط2. تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، وآخر، دار هجر.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. (د.ت). *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*. (د.ط). بيروت: دار مكتبة الحياة

ابن سعد ، لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي. (1410هـ-1990م). *الطبقات الكبرى*. تحقيق: لمحمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

السعدي، الشيخ عبدالرحمن. (1421هـ). *تفسير أسماء الله الحسنى*. تحقيق: عبيد بن عاي العبيد. المدينة المنورة: الجامعة الاسلامية

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1416هـ-1996م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ط1. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو السعود، قاضي القضاة الإمام محمد بن محمد العمادي. (1414هـ-1994م). *تفسير أبي السعود المسمي إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. ط4*. بيروت: دار إحياء التراث العربي

سعود بن عبدالعزيز بن الخلف. (1420هـ). *أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدع*. (د.ط).

سعيد حوي. (1424هـ-2003م). *الأساس في التفسير*. الطبعة السادسة. القاهرة: دار السلام.

السفاريني، محمد. (1402هـ-1982م). *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*. ط2. دمشق: مؤسسة الخافقين

السَّقاف، علوي بن عبد القادر. (1426هـ-2006م). *صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة*. ط3. الدرر السنية دار الهجرة

سلطان العلماء، أبي عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي. (1416هـ-1996م)، *تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)* ط1. تحقيق: الدكتور عبدالله بن إبراهيم الوهبي. بيروت: دار ابن حزم.

سليمان بن عبد الله بن عبدالوهاب. (1423هـ-2002م). *تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد*. ط1. تحقيق: زهير الشاويش. بيروت، دمشق: المكتب الاسلامي

السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي. (1382هـ-1962م). *الأنساب*. ط1. تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمى إلىماني وغيره. حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية

سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي. (1412هـ). *فى ظلال القرآن*. ط17. بيروت: دار الشروق.

السيد محمد صديق حسن. (د.ت). *الدين الخالص*. (د.ط). (د.م). دار التراث

السيوطي ، جلال الدين. (1424هـ-2004م). *الدر المنثور فى التفسير بالمأثور*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية

السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي جلال الدين. (د.ت). *بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة*. (د.ط). تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. صيدا: المكتبة العصرية .

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (د.ت). *ذيل طبقات الحفاظ* (د.ط). تحقيق: زكريا عميرات. الناشر: دار الكتب العلمية

السيوطي. (1430،1429هـ-2009م). *حاشية الصاوي على تفسير الجلالين مذيلا بلباب النقول فى أسباب النزول*. (د.ط). إشراف ومراجعة وتقديم محمد صدقي العطار. (د.م). دار الفكر للنشر والتوزيع.

السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. (1394هـ). *الإتقان فى علوم القرآن* تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب

السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. (1424هـ-2004م). *الدر المنثور فى التفسير بالمأثور*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. *أسرار ترتيب القرآن*. دار الفضيلة

السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن. (د.ت). *بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة*. (د.ط). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم بيروت المكتبة العصرية صيدا.

السيوطي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1998م)، المزهر فى علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: فؤاد على منصور. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشحود، على بن نايف. (1431هـ-2010م). *أركان الإيمان*. ط4. (د.ن).

الشحود، على نايف (2009م). *الواضح فى أركان الإيمان*. ط1. بهائج: دار معمور.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. (1393هـ-1973م). *الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً* المدينة المنورة: الجامعة الاسلامية

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. (1404هـ-1984م). *منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات*. ط4. الكويت: الدار السلفية

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني. (1404هـ-1984م). *منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات*. ط4. الكويت: الدار السلفية

الشنقيطي، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. (1415هـ-1995م). *أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت: دار الفكر.

ابن شهبه ، أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد. ابن قاضي الدمشقي (1407هـ). *طبقات الشافعية*. تحقيق: الحافظ عبدالعليم خان. بيروت: عالم الكتب.

الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. (د.ت). *الملل والنحل*. (د.ط). مؤسسة الحلبي.

الشوكاني، المؤلف محمد بن على بن محد. (د.ت). *نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقي الأخبار*. (د.ط). إدارة الطباعة المنيرية .

الشوكاني، المؤلف محمد بن على. (د.ت). *العذاب النمير فى وجوب مسائل عالم بلاد عسير ضمن رسائله*. (د.ط). تحقيق: أبو مصعب (محمد صبحي) بن حسن حلاق. صنعاء: مكتبة الجيل الجديد.

الشوكاني، لمحمد بن على بن محمد بن عبدالله (1418هـ-1997م). *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*. الطبعة الثانية تحقيق: الدكتور عبدالرحمن عميرة

الشوكاني. (د.ت). *تنبيه الأفاضل على ما ورد فى زيادة العمر ونقصه من الدلائل*. (د.ط). تحقيق: أبو مصعب "محمد صبحي " بن حسن حلاق صنعاء: مكتبة الجيل الجديدة

الشوكاني، (د.ت). *الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد*. (د.ط). تحقيق: أبو مصعب (محمد صبحي) بن حسن الحلاق. صنعاء: مكتبة الجيل الجديد

الشوكاني، للإمام محمد بن على (د.ت). *رفع الريبة فيما يجوز وما لا يجوز من الغيبة*. تحقيق: أبو مصعب (محمد صبحي) بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، اليمن

الشوكاني، للإمام محمد بن على(د.ت). *الأذكار الواردة فى التسبيح ضمن رسائل الشوكاني*. تحقيق: أبو مصعب (محمد صبحي) بن حسن حلاق، صنعاء، اليمن : مكتبة الجيل الجديد.

الشوكاني، للإمام محمد بن على. (د.ت). *بحث عن تفسير قوله " ثم جعلناه نطفة "*. تحقيق: أبو مصعب (محمد صبحي) بن حسن حلاق، صنعاء مكتبة الجيل الجديد.

الشوكاني، للإمام محمد بن على. (د.ت). *بحث فى وجود الجن*. تحقيق: أبو مصعب (محمد صبحي) بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، اليمن .

الشوكاني، لمحمد بن على بن محمد بن عبدالله اليمني. (1404هـ-1984م). *إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات*. تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. لبنان دار الكتب العلمية.

الشوكاني، محمد بن على بن محمد بن عبد الله. (1414هـ). *فتح القدير*. ط1 دمشق: دار ابن كثير. بيروت: دار الكلم الطيب

الشوكاني، محمد بن على بن محمد بن عبد الله. (1415هـ). *التحف فى مذهب السلف. ط1.* تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الشوكاني، محمد بن على بن محمد بن عبدالله اليمن ي. (1984م). *تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين*. ط1. بيروت: دار القلم.

الشوكاني، محمد بن على بن محمد بن عبدالله. (د.ت). *قطر الولي فى حديث الولي = ولاية الله والطريق إليها*. (د.ط). تحقيق: إبراهيم إبراهيم هلال القاهرة: دار الكتب الحديثة.

الشوكاني، محمد بن على بن محمد بن على. (1998م). *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*. ط1. تحقيق: حسين بن عبدالله العمري. دمشق: دار الفكر

الشوكاني، محمد بن على بن محمد. (1412هـ-1992م). *إرشاد الفحول إلى علم الأصول*. (د.ط). تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب. بيروت: دار الفكر

الشوكاني، محمد بن على. (1411هـ-1990م). *الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد*. ط1. تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق صنعاء: دار الهجرة، صنعاء

الشوكاني، محمد بن على. (1411هـ-1990م). *تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام*. ط1. تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق. صنعاء: دار الهجرة

الشوكاني، محمد بن على. (1418هـ-1997م). *فتح القدير للشوكاني*. ط2. تحقيق: الدكتور عبدالرحمن عميرة : دار الوفاء

الشوكاني، محمد بن على. (1419هـ-1998م). *أدب الطلب ومنتهى الأرب*. ط1. تحقيق: عبد الله يحيى السريحي. بيروت: دار ابن حزم

الشيباني، أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف ابن الأثير. (1417هـ-1997م). *الكامل فى التاريخ*. ط1. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري بيروت: دار الكتاب العربي.

الشيباني، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن محمد ابن عبدالكريم ابن الأثير. (د.ت). *جامع الأصول فى أحاديث الرسول*. ط1. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان

ابن أبي شيبة ، الحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفى (د.ت). *المصنف*. (د.ط). تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة

الصابوني، لمحمد على، صفوت التفاسير. دار الصابوني.

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ. (1424هـ-2003م). *التمهيد لشرح كتاب التوحيد. ط1*. دار التوحيد

الصلابي، على محمد محمد. (1422هـ-2001م). *الوسطية فى القرآن الكريم*. ط1. الشارقة: مكتبة الصحابة، القاهرة: مكتبة التابعين.

الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم. (1412هـ). *الدعاء للطبراني*. ط1. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبراني، أبي القاسم. (د.ت). *المعجم الأوسط*. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وآخر. القاهرة: دار الحرمين.

الطبراني، سليمان بن أحمد. (د. ت). المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفى. ط2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير. (1428هـ-2007م). *جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري)*. ط2. تحقيق: أحمد البكري، محمد عادل محمد، محمد خلف، محمود الحميد. دار السلام

الطنطاوي، فضيلة الدكتور محمد سيد. (د.ت). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. ط2. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

الطنطاوي، على بن مصطفى. (1409هـ-1989م). *تعريف عام بدين الإسلام*. ط1. جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

الطيالسي، أبو داود الفارسي البصري. (د.ت). *مسند أبي داود الطيالسي*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن عاشور، للإمام الشيخ محمد الطاهر. *التحرير والتنوير*. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1420هـ-2000م).*التحرير والتنوير* ط1 بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.

أبو العباس ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسنى الأنجري الفاسي الصوفى. (1419هـ). *البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد*. تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان. القاهرة: الناشر الدكتور حسن عباس زكي

عباس، سناء فضل (د.ت). *إعجاز القرآن الكريم*. (د.ط). (د.ن).

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. (1387هـ). *التمهيد لما فى الموطأ من المعاني والأسانيد*. (د.ط). تحقيق: مصطفى أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله. (1992). *الاستيعاب فى معرفة الأصحاب*. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل.

عبد الرحمن بن على بن محمد أبو الفرج. (1399هـ-1979م). *صفوة الصفوة. ط2*. تحقيق: محمود فاخوري وآخر بيروت: دار المعرفة

عبد الغفار، محمد حسن. (د.ت). *أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*.(د.ط). (د.ن).

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي. (1403هـ). معجم *ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*. ط3 بيروت: عالم الكتب

ابن عبد ربه، أبو عمر، لشهاب الدين أحمد بن محمد. (1404هـ). *العقد الفريد*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

عبدالقادر محمد النعيمي الدمشقي. (1410هـ-1990م). *الدارس فى تاريخ المدارس*. ط1. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية

عبدالمنعم تعيلب. (د.ت). *فتح الرحمن فى تفسير القرآن*. (د.ط). (د.م)

ابن عثيمين. (د.ن). *شرح حلية طالب العلم*. (د.م).(د.ن).

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (1424ه). *القول المفيد على كتاب التوحيد*. ط2. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. (1433ه). *عقيدة أهل السنة والجماعة*. ط4. المدينة المنورة: الجامعة الاسلامية.

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد. (1421هـ-2001م). *القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى*. ط3. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية

ابن أبي العز الحنفي. (1391ه). *شرح العقيدة الطحاوية*. ط4. بيروت: المكتب الإسلامي.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. (د.ت). *الفروق اللغوية*. (د.ط). تحقيق: محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

العطار، حسنى محمد. (د.ت). *أشراط الساعة وأحداث يوم القيامة بين التأصيل الديني والعقلي*. (د.ن).

ابن عطية، القاضي أبي محمد بن غالب الأندلسي. (1422هـ-2001 م). *المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز*. ط1. تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية

العفاني، جمع وترتيب سيد بن حسين. (1424هـ-2004م). *زهرة البساتين من مواقف العلماء الربانيين*. ط1. القاهرة: دار العفاني.

ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد بن محمد. (1406هـ-1986م). شذرات الذهب فى أخبار من ذهب. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط1. دمشق: دار ابن كثير.

عمر بن رضا بن محمد كحالة. (د.ت). معجم *المؤلفن*. (د.ط). بيروت: مكتبة المثنى. بيروت: دار إحياء التراث العربي

العيني، بدر الدين، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد. (د.ت). عمدة *القارئ بشرح صحيح البخاري*. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير. (1410هـ-1990م). *البرهان فى تناسب سور القرآن*. تحقيق: محمد شعباني. المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الغنيمات، عبد الله بن محمد. (د.ت). *شرح كتاب التوحيد. (د.ط)*

الغنيمات، عبدالله بن محمد. (1405هـ). *شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري*. ط1. المدينة المنورة: مكتبة الدار

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د. ت). العين. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (د. ط). (د. م). دار ومكتبة الهلال.

الفوزان ، صالح (د.ت). *شرح العقيدة الواسطية*. (د.م).(د.ن).

ابن الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله. (1420هـ-1999م). *الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد*. ط4. دار الجوزي

ابن الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله. (1423هـ-2002م). *إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد*. ط3. مؤسسة الرسالة

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1426هـ-2005م). *القاموس المحيط*. ط8. مكتب تحقيق: التراث فى مؤسسة الرسالة. بيروت: مؤسسة الرسالة

الفيومي، أبو العباس، المؤلف أحمد بن محمد بن على ثم الحموي. (د.ت). *المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير*. (د.ط). بيروت: المكتبة العلمية.

أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي. (1407هـ). *غوامض الأسماء المبهمة الواقعة فى متون الأحاديث المسندة*. ط1. تحقيق: د. عز الدين على السيد، وآخر. بيروت: عالم الكتب.

القاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد. (1380هـ-1961م). *المغني فى أبواب التوحيد والعدل*. ط1. دار الكتب العلمية

ابن قتيبة الدينوري. (1412هـ-1991م). *الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة. ط1*. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. دار الراية

القحطاني، الدكتور سعيد بن على ، مطبعة سفير. (د.ت). *عقيدة المسلم فى ضوء الكتاب والسنة، المفهوم، والفضائل*. (د.ط). الرياض. (د.ن).

القحطاني، الدكتور سعيد بن علي بن وهف. (د.ت). *الثمر المجتبى مختصر شرح أسماء الله الحسنى فى ضوء الكتاب والسنة*. الرياض: مطبعة سفر.

القحطاني، سعيد بن على بن وهف. (د.ت). *شرح أسماء الله الحسنى فى ضوء الكتاب والسنة*. (د.ط). الرياض: مطبعة سفر، مؤسسة الجريسي.

ابن قدامة ، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد المقدسي. (1420هـ-2000م). *لمعة الاعتقاد*. ط2. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

القدومي، سامي وديع عبد الفتاح. (د.ت). *التفسير البياني لما فى سورة النحل من دقائق المعاني*. (د.ط). عمان: دار الوضاح

القرضاوي، يوسف. (د.ت). *الإيمان والحياة*. ط5، مصر: مكتبة وهبة.

القطان، مناع بن خليل. (1421هـ-2000م). *مباحث فى علوم القرآن*. ط3. (د.م): مكتبة المعارف.

القناوي، ضياء الدين المعروف بابن الحاج، شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة أبو الحسن القفطي. (1405هـ). حز *الغلاصم فى إفحام المخاصم عند جريان النظر فى أحكام القدر*. تحقيق: عبدالله عمر البارودي. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية

القنوجي، المؤلف أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن على ابن لطف الله. (1421هـ). *قطف الثمر فى بيان عقيدة أهل الأثر*. ط1. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

ابن القيم (1417هـ). *متن القصيدة النونية*. ط2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية

ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أب بكر الجوزية. (1422هـ-2001م). *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة* (499/1). اختصار محمد ابن الموصلى دار الحديث.

ابن القيم ، الإمام العلامة محمد بن أبي بكر المعرف الجوزية. (1419هـ-1998 م). *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم ، الجوزية. (1393هـ-1973م). *الفوائد*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم ، الجوزية. (1406هـ-1986م). *الأمثال فى القرآن*. تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد. ط1. مكتبة الصحابة-مصر، طنطا-بجوار محطة القطار.

ابن القيم، الناظم شمس الدين الجوزية. (1415هـ). *شرح القصيدة النونية. ط2.* الشارح محمد خليل هراس. (200/1) بيروت: دار الكتب العلمية

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية. (1398هـ-1978م). *شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*. (د.ط). تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي بيروت: دار الفكر، بيروت

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية. (1393هـ). *دار الهجرتين ومفتاح السعادتين*. ط2. القاهرة: دار السلفية

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية. (1411هـ، 1991م). *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. ط1. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم بيروت: دار الكتب العلمية

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن شمس الدين الجوزية. (1416هـ-1996م). *مدارج السالكين من منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. ط3. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن شمس الدين الجوزية. (1415هـ-1994م). *زاد المعاد فى هدي خير العباد*. ط27. بيروت: مؤسسة الرسالة. الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية. (1417هـ). *متن القصيدة النونية. ط2.* القاهرة: مكتبة ابن تيمية

الكتاني، عبدالحي عبدالكبير. (د.ت). *فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*. (د.ط). باعتناء: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي

ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (1408هـ-1988م). *البداية والنهاية. ط1.* تحقيق: على شيرى. دار إحياء التراث العربي.

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي. (1408هـ-1988م). *النهاية فى الفتن والملاحم*. (د.ط). تحقيق: محمد أحمد بن عبد العزيز بيروت: دار الجيل.

ابـن كثيـر ، إسـماعيل بـن عمـر الدمشـقي. (1420هـ). *تفسـير القـرآن العظـيم*. تحقيـق: سامي بن محمد سلامة. ط2. (د.م). دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن كثير ، الدمشقي. (1426هـ-2005م). *شعب الإيمان*. تحقيق: وليد بن محمد بن عبدالله العلى. ط1. دار البشاير الإسلامية.

كمال ابن الهمام فى علم الكلام. (1347هـ). *المسامرة لكمال ابن أبي يوسف فى شرح المسايرة*. ط2. مصر: مطبعة السعادة

اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي. (1423هـ-2003م). *كرامات الأولياء من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*. ط8. تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. السعودية: دار طيبة.

اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور. (1402هـ). *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة. (د.ط).* تحقيق: د أحمد سعد حمدان الرياض: دار طيبة

لجنة القرآن والسنة فى المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (1431هـ-2010م). *المنتخب فى تفسير القرآن*. ط23. القاهرة: مؤسسة الأهرام للطباعة.

لسعود بن عبد العزيز الخلف. (1425هـ-2004م). *دراسات فى الأديان اليهودية والنصرانية*. ط4. الرياض: مكتبة أضواء السلف.

لعبدالعزيز بن محمد بن على اللطيف. (1427هـ). *نواقض الإيمان القولية والعملية*. ط3. مدار الوطن للنشر.

لعبدالكريم يونس الخطيب *التفسير القرآني للقرآن* القاهرة: دار الفكر العربي.

الماتريدي، أبي منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندي. (د.ت). *كتاب التوحيد*. (د.ط). تحقيق: الدكتور فتح الله خليفة بيروت: دار المشرق.

ابن ماجه ، أبو عبدالله محمد بن يزيد (د.ت). *سنن ابن ماجه*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية-فيصل عيسي البابي الحلبي.

ماذا عن اليوم الأخر، أسماء راشد الرويشد، دار الوطن للنشر.

الماوردي، أبو الحسن على بن محمد بن محمد البصري البغدادي (1986م). *أدب الدنيا والدين*. (د.ط). دار مكتبة الحياة.

المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمإلى الأزدي. (د.ت). *المقتضب*. تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة. بيروت: عالم الكتب.

المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي أبو العباس(د.ت). *الكامل فى اللغة والأدب*. موقع الوراق.

مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير. (د.ت). *جامع الأصول فى أحاديث الرسول*. ط1. تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان،

محمد الأمين بن عبدالله الأرمي العلوي الهرري الشافعي. (1421هـ-2001م). *تفسير حدائق الروح والريحان فى روابي علوم القرآن*. تحقيق: هاشم محمد على بن حسين مهدي. بيروت: دار طوق النجاة

محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي. (1393 هـ). *الرد الوافر*. ط1. تحقيق: زهير الشاويش. بيروت: المكتب الإسلامي

محمد بن رزق بن طهروني. (1409هـ). *موسوعة فضائل سور وآيات القرآن*. ط1. دار ابن القيم

محمد جمال الدين القاسمي. (د.ت). *تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل*. (د.ط). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

محمد جمال الدين بن محمد بن قاسم الحلاق. (د.ت). *قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية

محمد زبارة. (1305هـ) *نيل الوطر*. المطبعة السلفية.

محمد فاروق فارس الزين. (1429هـ-2004م). *بيان النظم فى القرآن الكريم*. ط1. دمشق: دار الفكر.

محمد محمود حجازي. (1424هـ-2003م). *التفسير الواضح*. ط12. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

محمد ناصر الألباني. (د.ت). *السلسلة الصحيحة*. (د.ط). الرياض: مكتبة المعارف.

محمد ياسين. (1412هـ-1991م). *الإيمان*. ط1. مكتبة السنة.

محمود بن عبد الرحمن الخميس. (1425هـ-2004م). *شرح الرسالة التدمرية*. (د.ط). دار أطلس الخضراء.

المحمود، لعبد الرحمن بن صالح بن صالح. (1415هـ-1995م). *موقف ابن تيمية من الأشاعرة*. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

المراغي، أحمد مصطفى. (1365هـ-1946م). *تفسير المراغي*. مصر: شركة ومكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

المرصفى، سعد. (د.ت). *موقف اليهود من الرسالة والرسول*. (د.م): مكتبة المنار الإسلامية.

مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي. (1046هـ). *أقاويل الثقات فى تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات*. ط1. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة

المزيد، أحمد بن عثمان. (1422هـ-2011م). *تعظيم الله جل جلاله "تأملات وقصائد"*. ط1. الرياض: مدار الوطن للنشر

مصطفى، إبراهيم و الزيات، أحمد، وآخرون. (د.ت). *المعجم الوسيط*. (د.ط). تحقيق: مجمع اللغة العربية. دار الدعوة.

مصطفى الشكعة. (1411هـ-1991م). *إسلام بلا مذاهب*. ط8. الدار المصرية اللبنانية

المعتصر شرح كتاب التوحيد، على بن خضير الخضير.

مقاتل، لأبو الحسن بن سليمان بن بشير الاذ دي بالولاء البلخي (1424هـ-2003م). تفسير مقاتل بن سليمان. ط1 تحقيق: أحمد فريد بيروت: دار الكتب العلمية

المقريزي، أحمد بن على. (1418هـ-1997م). *السلوك لمعرفة الدول الملوك*. ط1. تحقيق: محمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية

ابن منظور. (د.ت). *لسان العرب*. (د.ط). تحقيق: عبدالله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف

الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة. (1409هـ–1989م). ط2. الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلام.

المؤلف ناصر بن عبدالكريم العلى العقل. (د.ت). *شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث*. (د.ط)

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. (1406هـ–1986م). *السنن الصغرى*. ط2. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

النسائي، أبو عبدالرحمن بن شعيب بن على الخرساني. (1406هـ). *عمل اليوم والليلة*. ط2. تحقيق: د فاروق. بيروت: مؤسسة الرسالة

النسفى، الجليل عبدالله بن أحمد بن محمود. (د.ت). *تفسير النسفى*. (د.ط). تحقيق: مجدي منصور. القاهرة: المكتبة التوقيفية

ابن نفطويه، المؤلف أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة الأزدي الواسطي. (1422هـ–2001م). مجموعة *أجزاء حديثية، مسألة سبحان. ط1.* قدم لها وعلق عليها وخرج أحاديثها أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان. السعودية: دار الخراز، بيروت: دار ابن حزم

نمر جبر سدر. (1435هـ). *المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (رسالة علمية محكمة)، دراسة تطبيقية لسورتي يونس وهود).*

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (1414هـ–1994م). *الأذكار*. (د.ط). تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط بيروت: دار الفكر

النيسابوري، أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله. (د.ت). *المستدرك على الصحيحين*. ط1. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (د.ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

هراس، محمد بن خليل. (1415هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. ط3. ضبطه وخرج أحاديثه علوي عبدالقادر السقاف الخبر: دار الهجرة

أبو يعلى الموصلي، أحمد بن على بن المثني بن يحيى بن عيسي بن هلال التميمي. (1410هـ-1989م). مسند *أبي يعلى*. ط2. تحقيق: حسين سليم أسد جدة: دار المأمون للتراث.

ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد. (د.ت). *طبقات الحنابلة*. (د.ط). تحقيق: محمد حامد الفقي بيروت: دار المعرفة.

يوسف سركس. (د.ت). *معجم المطبوعات العربية والمعربة*. (د.ط). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية

فهرس الآيات القرآنية

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة			
.1	﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾	19	10
.2	﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	153	47
.3	﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾	22	65
.4	﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾	155	69
.5	﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ	216	74
.6	﴿ لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾	89	78
.7	﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَٱلۡأَسۡبَاطِ	140	107
.8	﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ	148	134
.9	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ تَتَّقُونَ	185	136
.10	﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ	29	141
.11	﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾	247	143
.12	﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾	245	144
.13	﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾	30	190
.14	﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾	56	202
.15	﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ	281	232
.16	﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ	261	232
.17	﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم	156	233
.18	﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾	197	253

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.19	﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾	3	265
.20	﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ	177	279
.21	﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ	285	282
.22	﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ	121	314
.23	﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ	17-20	320
.24	﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن	260	333
	سورة ال عمران		
.25	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾	102	1
.26	﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾	185	59
.27	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ	14	210
.28	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ	5	231
.29	﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ	44	272
	سورة النساء		
.30	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا	1	1
.31	﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ	77	59
.32	﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ	166	123
.33	﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾	164	172

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
34.	﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا	56	220
35.	﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ	78	258
سورة المائدة			
36.	﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	27	99
37.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	1	135
38.	﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن	6	135
39.	﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾	64	144
40.	﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ	98	155
41.	﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ		171
سورة الانعام			
42.	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	162	67
43.	﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ	106	92
44.	﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾	19	123
45.	﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ	59	127
46.	﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ	135	136
47.	﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ	39	153
48.	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾	115	154
49.	﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	92	170
50.	﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ	114	188
51.	﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ	29	222
52.	﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾	67	244

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.53	﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ	38	244
.54	﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾	28	267
.55	﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ ﴾	73	272
.56	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ	83	275
سورة الاعراف			
.57	﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ	-55 56	83
.58	﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ﴾	180	102
.59	﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾	191	164
.60	﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ مِن	45	176
.61	﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ ﴾	200	176
.62	﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾	143	182
.63	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا	57	224
.64	﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ هُمْ	187	242
.65	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾	172	299
.66	﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ هُم	-156 157	313
.67	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ	40	324
سورة الانفال			
.68	﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾	33	100
.69	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ		151

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التوبة			
70.	﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ	128	158
71.	﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ	6	172
72.	﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾	51	260
73.	﴿ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	61	273
سورة يونس			
74.	﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا	5	51
75.	﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ ﴾	16	175
76.	﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ	75	202
77.	﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾	101	248
78.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾	96	249
79.	﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾	26	290
سورة هود			
80.	﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا	88	ث
81.	﴿ ١٠٠ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾	107	135
82.	﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ	6	244
83.	﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾	36	253
84.	﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴾	81	335
سورة يوسف			
85.	﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا	105-108	16

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيــة	م.
16	39	﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ	86.
17	111	﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ	87.
129	22	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا	88.
168	103	﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾	89.
273	17	﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾	90.
		سورة الرعد	
10	13	﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ	91.
12	43	﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ	92.
16	2	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ	93.
16	3	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗا	94.
17	1	﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ	95.
17	34	﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا	96.
18	37	﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم	97.
18	38	﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾	98.
18	30	﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ	99.
19	17	﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ	100.
19	33	﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ	101.
20	22	﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ	102.
20	19	﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓ	103.
51	49	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾	104.
54	4	﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ	105.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيـة	م.
58	26	﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ	.106
59	25	﴿ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾	.107
61	16	﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ	.108
73	12	﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا	.109
73	11	﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم	.110
81	14	﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾	.111
84	36	﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ	.112
113	9	﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾	.113
116	31	﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى	.114
121	41	﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ إِلَيۡكَ	.115
126	8	﴿ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ	.116
126	42	﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۖإِلَيۡكَ	.117
133	6	﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾	.118
134	27	﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾	.119
135	39	﴿﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ خجـ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	.120
146	32	﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ	.121
146	102	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ	.122
148	20	﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾	.123
212	18	﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ	.124
213	40	﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ	.125
218	5	﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا	.126

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
127.	﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾	28	276
128.	﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ	24	286
129.	﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ	35	288
سورة ابراهيم			
130.	﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ	1	18
131.	﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾	11	18
132.	﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ	12	18
133.	﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ	18	19
134.	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ	19	19
135.	﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ	46	19
136.	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ	32	20
137.	﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟	31	20
138.	﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ	52	20
139.	﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾	7	133
140.	﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ	47	148
141.	﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ	25	325
سورة الحجر			
142.	﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾	86	120
143.	﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ	-49 50	154
144.	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	9	171
سورة النحل			

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
145.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾	128	47
146.	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾	50	72
147.	﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ	48	86
148.	﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	60	103
149.	﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ	37	116
150.	﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ	89	124
151.	﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا	61	154
152.	﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	17	164
153.	﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾	102	188
154.	﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾	96	232
155.	﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ	81	253
156.	﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا	80	253
	سورة الاسراء		
157.	﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	85	52
158.	﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ	44	76
159.	﴿ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ثُمَّ	96	82
160.	﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾	110	102
161.	﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا	29	144
162.	﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا	88	170
163.	﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	82	170
164.	﴿ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ	13-14	214

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
165.	﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا	97	220
166.	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ	36	269
167.	﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟	107-108	314
168.	﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	81	323
سورة الكهف			
169.	﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ	32	55
170.	﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ	109	167
171.	﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا	12	204
172.	﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا﴾	99	225
173.	﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ	110	234
سورة طه			
174.	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾	110	105
175.	﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	50	117
176.	﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	5	140
177.	﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾	14	187
178.	﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ	55	224
سورة الانبياء			
179.	﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم	49	70
180.	﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾	28	79
181.	﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾	74	129

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
182.	﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾	32	153
183.	﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾	26	280
184.	﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾	27	280
185.	﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾	19	280
186.	﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾	20	280
187.	﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ رَّبِّهِۦ	13	285
188.	﴿لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾	98	285
189.	﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾	102	288
190.	﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم	48	289
191.	﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ	-87 88	290
سورة الحج			
192.	﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾	65	49
193.	﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ	73	61
194.	﴿وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ	78	124
195.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ	5	206
196.	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ	70	241
197.	﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	77	253
سورة المؤمنون			
198.	﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ	-55 56	59
199.	﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ	28	141

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
200.	﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا	117	211
سورة النور			
201.	﴿ر ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ	55	148
سورة الفرقان			
202.	﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ	2	46
203.	﴿ بِذُنُوبِ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ	59	140
204.	﴿ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ	60	162
205.	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ	1	169
206.	﴿ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ﴾	40	202
207.	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا	47	203
سورة الشعراء			
208.	﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ	192-195	171
سورة النمل			
209.	﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ ﴾	88	51
210.	﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ		222
211.	﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ٱللَّهُ	65	270
سورة القصص			
212.	﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ يَوۡمَ	68	135
213.	﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي	56	153
214.	﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي	30	172

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة العنكبوت		
215.	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ	61-63	22
216.	﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾	49	191
217.	﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ	43	327
	سورة الروم		
218.	﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ﴾	56	204
219.	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ	27	209
220.	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا	58	325
	سورة لقمان		
221.	﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾	11	61
222.	﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ﴾	34	126
223.	﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴿٢٨﴾	28	133
	سورة السجدة		
224.	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾	24	117
225.	﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾	13	188
226.	﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم	17	227
227.	﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	6	267
	سورة الاحزاب		
228.	﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ	39	70
229.	﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ	40	169
230.	﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا	63	270
	سورة سبأ		

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.231	﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ	2	127
.232	﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ	14	272
	سورة فاطر		
.233	﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾	28	71
.234	﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾	9	208
.235	﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ	44	246
.236	﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ	38	267
.237	﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ٱلَّذِينَ	43	335
	سورة يس		
.238	﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ	37−40	50
.239	﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	82	176
.240	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥ ٱللَّهِ	78	209
.241	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ	−78 79	219
.242	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ	7−8	231
.243	﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾	12	245
	سورة الصافات		
.244	﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾	96	252
	سورة ص		
.245	﴿هَٰذَا أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ	5	44
.246	﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ مِنَ	75	105
.247	﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ	28	214

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
248.	﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ	29	215
سورة الزمر			
249.	﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ	65	1
250.	﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ	38	60
251.	﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ	3	95
252.	﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا	9	234
253.	﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴾	62	252
254.	﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	14	254
255.	﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ	45	276
256.	﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ ﴾	47	298
سورة غافر			
257.	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾	60	81
سورة فصلت			
258.	﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾	11	87
259.	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾		153
260.	﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ	42	168
261.	﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ	31	288
262.	﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي	34	306
سورة الشورى			
263.	لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	11	23
264.	﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	52	153
265.	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن	51	193

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الزخرف		
266.	﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ ﴾	87	118
267.	﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾	13	141
268.	﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾	4	245
269.	﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا	72	254
270.	﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ	71	289
	سورة الدخان		
271.	﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ٣٤ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ	34–37	221
	سورة الجاثية		
272.	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾	13	188
273.	﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾	24	274
	سورة الاحقاف		
274.	﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ	4	61
275.	﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾	25	186
276.	﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ	33	218
	سورة محمد		
277.	﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾	17	117
278.	﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾	5	118
279.	﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ	15	288
	سورة الفتح		
280.	﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾	29	133
	سورة الحجرات		

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
281.	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾	10	300
	سورة الذاريات		
282.	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ تنفعُ	65	43
283.	﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾	21	58
284.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ تنفعُ	58	133
285.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾	85	157
	سورة الطور		
286.	﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴾	20	221
287.	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ	21	307
	سورة النجم		
288.	﴿ كَانُوٓاْ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم	32	97
289.	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾	4-3	107
290.	﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾	58	334
	سورة القمر		
291.	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾	49	237
292.	﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾	1	270
	سورة الرحمن		
293.	﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾	6	85
	سورة الواقعة		
294.	﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩	55	225
	سورة الحديد		

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
295.	﴿مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾	4	47
296.	﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ	22	257
	سورة الحشر		
297.	﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ	22	111
298.	﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ	20	297
	سورة الجمعة		
299.	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	10	203
	سورة التغابن		
300.	﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ	7	207
301.	﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ	4	242
302.	﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ	11	259
	سورة الطلاق		
303.	﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ	3	262
	سورة التحريم		
304.	﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾	6	282
	سورة الملك		
305.	﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾	14	127
306.	﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ	2	258
307.	﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا	10	298
	سورة الحاقة		
308.	﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ	19–24	216

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الجن		
.309	﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾	18	83
.310	﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ	3-1	268
.311	﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾	26	271
	سورة القيامة		
.312	﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ	4-3	225
	سورة المرسلات		
.313	﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم	27	53
	سورة النبأ		
.314	﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا نَوۡمَكُمۡ	10-11	56
	سورة النازعات		
.315	﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴾	27	224
	سورة التكوير		
.316	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	29	136
.317	﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨	28	253
	سورة الانشقاق		
.318	﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ	9-7	214
.319	﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا	10-12	215
.320	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	25	273
	سورة الغاشية		
.321	﴿ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴾	19	52

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيـة	م.
211	25-26	﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾	322.
سورة القدر			
238	1	﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾	323.
سورة البينة			
95	5	﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ	324.
سورة قريش			
275	3-4	﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ	325.
سورة المسد			
190	1	﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾	326.
سورة الاخلاص			
103	1-4	﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢	327.
سورة الفلق			
155	2	﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾	328.

فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
اتقوا النار ولو بشق تمره	232
أتى رجل سول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقرئني يا رسول الله	13
احرص على ما ينفعك واستعن بالله	261
أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين	13
إن الله هو الحَكم، وإليه الحُكم	122
إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى	243
أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله	238
إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً	111
آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب	299
ثم يرسل إليه الملك فيكتب رزقه	283
الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا	209
خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار	282
الدعاء هو العبادة	81
رجلاً إلى رجل من فراعنة العرب	15
سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة	76
في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت	227
كان النبي صلى الله عليه وسلم – بارزاً يوماً للناس	208
كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق	238
لأخشاكم لله واتقاكم له	72
لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى	93
اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت	103
اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب	103
ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً	208
ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل	225
ما نقُص مالٍ من صدقة	276

الحديث	رقم الصفحة
من خاف أدَّلج، ومن أدَّلج بلغ المنزل	72
من سَّره أن يبسط له فى رزقه	300
من كانت الأخرة همه	233
من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التَّامة	176
من نُوقش الحساب عذب	214
ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأني	172
يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم	214
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون	284

فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم

اسم الراوي	رقم الصفحة
ابن الأثير	124
ابن الأنباري	88
ابن الجوزي	179
ابن حجر العسقلاني	136
ابن حجي	28
ابن رجب	155
ابن سينا	228
ابن شهبة	24
ابن عبد البر	115
ابن عبد ربه	319
ابن فارس	44
أبو الحسن الأشعري	187
أبو علي الجبائي	127
أبي الدرداء	178
الآجري	174
أحمد بن أبي دؤاد	180
الأزهري	121
الأصبهاني	172
الأصفهاني	72
أنس بن مالك	15
الباقلاني	12
بشر المريسي	176
البقاعي	90
البيضاوي	11
البيهقي	131

اسم الراوي	رقم الصفحة
التفتازاني	135
الجعد بن درهم	138
جَّهم بن صفوان السمرقندي	174
الجوهري	45
الحكمي	124
الحليمي	123
خالد بن عبد الله القسري	179
الخزاعي	23
الدارمي	174
الزجاج	48
الزركشي	329
السفاريني	128
سفيان بن عيينه	176
الشنقيطي	161
الصابوني	105
الطحاوي	142
طلحة بن عبيد الله	75
عبد الله ابن سلام	314
عبد الله بن المبارك	43
عبدالله بن الزبير	76
العز بن عبدالسلام	11
عمرو بن دينار	177
العيني	28
الغزالي	69
القاضي عبد الجبار	184
قتادة بن دعامة السدوسي	11

اسم الراوي	رقم الصفحة
الماوردي	326
المبرد	75
محمد بن كرام	194
محمد بن نصر الخزاعي	173
معبد الجهني	138
مقاتل بن سليمان	11
موسى بن ميمون اليهودي	226
نعيم بن حماد	23
نفطويه	75
واثلة بن الأسقع	13
وهب بن منبه	256